الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة الجـــزائـــر 2 بـــوزريعـــة

كليـــة العـلـــوم الإنسانية و الاجتماعية

قـــســـم التـــاريخ

المذهب المـالكي في المغـرب الأوسـط -
- دخـولـه وانتشـاره -
(3 - 5 هـ/9 - 11 م)

مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة

- سعيدة لوزري

إشراف الدكتورة

- بشاري لطيفة بن عميرة

السنـــة الجـامعيـــة: 1430 - 1431هـ/ 2009 م - 2010 م

&

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة الجـــزائـــر 2 بـــوزريعـــة

كليـــة العـــلـــوم الإنسانية و الاجتماعية

قـــســـم التـــاريخ

المذهب المـالكي في المغـرب الأوســط

- دخـــوله وانتشـــاره -

(3 - 5 هـ/9 - 11 م)

مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط

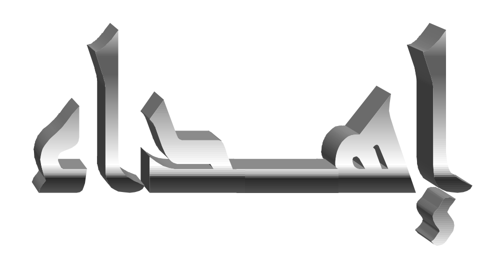
إعداد الطالبة	إشراف الدكتورة
- سعيدة لوزري	-بشاري لطيفة بن عميرة

لجنـــة المناقشـــة :

- د/ صـــاحي بـــوعـــلام : أستاذ محاضر رئيسا
- د/ لطيفة بن عميـــرة : أستاذ محاضر مقررا
- د/ بن الذيب عيسى : أستاذ محاضر عضوا
- د/ بوكنة عبد العزيز: أستاذ محاضر عضوا

السنـــة الجـــامعيـــة: 1430 - 1431هـ/ 2009 م - 2010 م

&



إلى روح أمي الطاهرة

إلى أبي

إلى إخوتي

إلى أخواتي

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

أهدي له هذا العمل المتواضع


المقدمة

مقدمة

يعتمد البحث الأكاديمي التاريخي في تحديد الموضوع بالفترة الزمنية والمكانية، وموضوع هذا البحث هو المذهب المالكي دخوله وانتشاره، والمكان حددته بالمغرب الأوسط من القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) إلى غاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

وينسب هذا المذهب إلى مالك بن أنس، الذي ولد سنة 93هـ- 711م بالمدينة، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب السنية الأربعة المشهورة، وقد انتقل علمه إلى المغرب الإسلامي بداية بإفريقية، التي دخل إليها موطأه، في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) على يد علي بن زياد (ت. 183هـ- 799م)، وتلاه آخرون كعبد الله بن فروخ (ت.185هـ-801م)، وعبد الله بن غانم (ت.190هـ-805م)، وأسد بن الفرات (ت.213هـ-828م)، وعبد السلام بن سعيد التنوخي ويكنى بسحنون(ت.240هـ-854م). وقد أخذ هؤلاء العلم إمّا عن مالك بن أنس مباشرة، أو عن تلامذته، كابن القاسم وابن وهب وغيرهما، ثم انتقل المذهب إلى المغرب الأوسط، وهذا مجال بحثنا.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت موضوع" المذهب المالكي في المغرب الأوسط دخوله وانتشاره" للأسباب التالية:

1 - وقد لفت انتباهنا قلة الدّراسات التاريخية المتعلقة بالمذهب المالكي وانتشاره في المغرب الأوسط، مقارنة بالدّراسات حول دول المغرب الأخرى بداية بإفريقية التي أخذت القسط الوافر من اهتمام الباحثين، وكذلك المغرب الأقصى، والأندلس، ومن أهم هذه الدراسات: تلك التي قام بها الباحث نجم الدين الهنتاتي وموضوعها" **المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي**"، والجيدي عمر "**المحاضرات في المذهب المالكي**"، داوود محمد أبو العزم "**الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**" وغيرها.

2 - كما أن أغلب الدّراسات التي اهتمت بالمغرب الأوسط، ركّزت على الخوارج والأوضاع السياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية.

4 - كان اهتمام المشارقة والمستشرقين بدراسة المذهب المالكي عموما، بشكل أوفر، وعزوف أهل المنطقة عنه، والمتمثلة في الدّراسات التي قام بها هادي روجي إدريس وجوزف شاخت ميكلوش موراني، وألفراد بل وغيرهم.

5 - ولأنني أنتمي لمنطقة المغرب الأوسط، ارتأيت أن أجتهد في هذا الميدان، وأساهم بدراسة متواضعة- بطبيعة الحال- استنادا إلى الدّراسات السابقة في هذا المجال، للتوصل إلى معرفة كيفية دخول وانتشار هذا المذهب إلى المغرب الأوسط، بعيدا عن مهده الأوّل (المشرق).

إشكالية الموضوع.

يفرض هذا الموضوع عددا من الأسئلة أهمها:

- لماذا تأخر انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط علما أن المنطقة كانت معروفة بتردد العلماء، والتجار، والرّحالة؟
- أين تكمن إسهامات الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط أثناء حكم الأغالبة؟
- ماهي نتائج المناظرات التي كانت بين المالكية والخوارج؟ وبين المالكية والشيعة؟
- هل ألغى المذهب المالكي غيره من المذاهب في المغرب الأوسط أم بقي موازيا لها؟
- ماهي العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط؟
- أين تبرز جهود الفقهاء المالكية في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط؟ وماهي أهم منجزاتهم؟.

خطة الموضوع

وضعت لهذه الدرّاسة أربعة فصول تناولت فيها دخول وانتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

تناولت في الفصل الأوّل المغرب الأوسط والمذاهب السنية في بلاد المغرب الإسلامي، وقد شمل ثلاث مباحث أساسية أولها: موقع بلاد المغرب بما فيها المغرب الأوسط ثانيها المذاهب السنية في بلاد المغرب، أما المبحث الأخير فعالجت فيه أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي.

وتناولت في الفصل الثاني انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب (إفريقية، الأندلس، المغرب الأقصى، المغرب الأوسط)، في القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي).

أما الفصل الثالث فعنوانه المالكية في المغرب الأوسط خلال العصر الفاطمي، وهو الآخر يشمل ثلاث مباحث أساسية، بداية بالمبحث الأول وهو: المغرب الأوسط والدولة الفاطمية، والثاني معارضة المالكية للتشيع والذي تفرع بدوره إلى مطلبين، أولها المعارضة السلمية المتمثلة في المناظرات والتأليف والرحلات، وثانيها المعارضة المسلحة المتمثلة في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني، وآخر المباحث محنة المالكية، وقد حاولت في هذا الفصل أن أتقيد بحجم الفصول الأخرى، إلا أنني أخفقت فهذا الفصل وحده يشكل أطروحة دكتوراه.

وتناولت في الفصل الرّابع والأخير المالكية في المغرب الأوسط في العصر الزيري والحمادي، ويشمل مبحثين أساسيين، الأول المذهب المالكي والدولة الزيرية، ويتفرع بدوره إلى ثلاث مطالب: أولها الزيريون وعلاقتهم بالفاطميين، والثاني الفقهاء المالكية وبنو زيري، أما الأخير دور الزيرين في القطيعة،

وتناولت في المبحث الثاني: المذهب المالكي في الدولة الحمادية ويتفرع إلى أربع مطالب، صدى القيروان في القلعة، بنو حماد والمذهب المالكي، دور الفقهاء المالكية في استقرار الحكم الحمادي، وأهم الفقهاء المالكية في دولة بني حماد.

وأتبعت الفصول الثلاثة الأخير بجداول توضيحية عن الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط حسب ما استطعت جمعه وترتيبه من المصادر والمراجع.

المنهج المتبع في كتابة البحث

اعتمدت في انجاز هذه الدّراسة أساسا على المادة التاريخية المتوفرة في المصادر، من كتب الطبقات والتراجم وكتب التاريخ، وكتب الجغرافيين، ذات الصلة المباشرة بالموضوع وحسب ترتيبها الزمني الأقدم فالأقدم، كما حرصت على توظيفها حسب مواضيع الفصول.

أهمية الموضوع :

- تسليط الضوء على أهم المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة في الفترة التي ذكرناها سابقا.

- دور تلاميذ الإمام مالك بن أنس في نشر المذهب في الأمصار مغربا ومشرقا.

- علاقة فقهاء المغرب الأوسط بغيرهم مشرقا ومغربا.

- تفوق المذهب المالكي على المذاهب الأخرى ببلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة.

- إبراز أهم الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي).

- تسليط الضوء على أهم مؤلفات الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط.

تقييم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

واعتمدت في انجاز هذه الدّراسة، بالدّرجة الأولى على المصادر والمراجع حسب ترتيبها.

1 - كتب الطبقات والتراجم

كتاب "**طبقات علماء إفريقية وتونس**" لأبي العرب(محمد بن أحمد بن تميم التميمي،ت333هـ-945م)، يعتبر من الصادر الأولى التي أفادتني بمعلومات تاريخية عن دخول المذهب المالكي وانتشاره في افريقية وعن أهم تراجم فقهاء القرن الثالث (التاسع الميلادي) من مالكية القيروان والمغرب الأوسط.

والمالكي(أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد،ت474هـ-1082م)، كتابه "**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، من الفتح العربي إلى آخر سنة 300هـ**"، التي أخذها عن (أبي العرب والخشني) بكثير من الايضاحات، وأخذ من مصادر قديمة لم تصل إلينا كقطع من كتاب المغرب في أخبار إفريقية والمغرب لأبي الحسن بن أبي سعيد المعروف بالوكيل (ت346هـ/957م)، فقد أفادني بمعلومات عن بعض التراجم لفقهاء القيروان وعبادهم ، وعن المغرب الأوسط في تلك الفترة، ومناطق انتشارهم.

وكتاب "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**"، للقاضي عياض(أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت544هـ-1149م)، أفادني بمعلومات جد هامة عن تراجم المالكية في بلاد المغرب، من إفريقية والمغرب الأقصى، والأندلس، ومن المشرق كالعراق ومصر وغيرهما، وعن أهم التيارات المذهبية من مالكية وحنفية وشافعية وظاهرية ...الموجودة بها، ومن خلالها استطعت التعرف على تراجم مالكية المغرب الأوسط، وعن الدور الذي قاموا به خاصة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، والقرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي) في انتشار وترسيخ

المذهب المالكي مع الوجود الشيعي الذي كان مناهضا له في تلك الفترة، ولمن يعود الفضل في دخوله إلى المغرب. وعن المذاهب التي عَرفت انتشارا في البداية، ثم اندثرت سواء لموت من يتزعمها، أم لتغلب أحد المذاهب عليها، كما اعتمدت عليه خاصة في ترجمته للإمام مالك بن أنس الوافية وشيوخه وتلاميذه الذين أخذوا عنه مباشرة أو عن أحد تلاميذه من بلاد المغرب أو المشرق.

واعتمدت على كتب التراجم الأندلسية في جزء كبير من البحث، بداية بكتاب "**تاريخ علماء الأندلس**" لابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت403هـ-1013م)، وكتاب "**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**" للحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت488هـ-1095م)، وكتاب "**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**" لضبي(أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ت599هـ/1202م)، وغيرها فقد استفدت من مادتها الخبرية عن فقهاء مالكية المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) الذين هاجروا إلى الأندلس وأخذوا عن فقهائها علم الإمام مالك، وفي القرن الرّابع الهجري(العاشر الميلادي)، كانت رحلة الفقهاء المالكية للمغرب الأوسط أكثر قصد الاستزادة من العلم أو فرارا من الشيعة التي كانت تطاردهم حيث ما وجدوا.

2 - كتب التاريخ

أهمها كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذاري (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت712هـ-1312م)، الذي أخذ معلوماته عن الوراق وعن الرقيق القيرواني، وهو من أهم المصادر المغربية التي استفدت منها جغرافيا في تعريفه لأهم مدن بلاد المغرب، وسياسيا عن أهم الدول التي تعاقبت على مناطقه والحكام الذين تداولوا على السلطة، بدءًا من دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى وجزءا من المغرب الأوسط، والدولة الرستمية التي امتدت إلى نفوسة بطرابلس والجريد بافريقية، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى والدولة الأموية بالأندلس، ثم دولة الفاطميين ودولة الزيريين والحماديين، وأهم التيارات المذهبية التي انتشرت بها، وعن الفقهاء المالكية خاصة أولئك الذين عاشوا في كنف الدولة الفاطمية وأساليب مقاومتهم للشيعة، والمحن التي تعرضوا لها.

وكتاب ابن خلدون(عبد الرحمن، ت808هـ/1405م): "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"، وهو من المتأخرين زمنيا بالنسبة للكتب التي اعتمدت عليها في تاريخ المغرب، كما استفدت منه في تحديد حدود بلاد المغرب، لأنّه كان أكثر دقة، خاصة في تحديده للجهة الغربية للمغرب الأوسط. لقد جعل نهر ملوية الحد الفاصل بينه وبين المغرب الأقصى. كما زودني بمعلومات عن أصل البربر ومواطنهم، ومن الناحية السياسية فذكر أهم الدول التي تعاقبت على بلاد المغرب والثورات التي شهدها، ومذهبيا استفدت منه حول الأسباب التي جعلت أهل المغرب يأخذون بمذهب مالك بن أنس دون غيره من المذاهب.

ومن المصادر المشرقية اعتمدت أولا: على كتاب "**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ- 1238م)، الذي استفاد من كتاب"**الجمع والبيان**" لابن شداد الصنهاجي الذي كان حيا سنة 571هـ-1175م والذي عاصر الأحداث، فأَرَّخَ ابن الأثير لبلاد المغرب كتب عن أهم أحداثها السياسية، والمذهبية، أهمها العهد الفاطمي، والزيري، والحمادي، ثانيا: كتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" للنويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت677هـ-733م)، اعتمدت عليه خاصة في ما كتبه عن الدولة الفاطمية والدولة الزيرية والحمادية في الجزء 24، ذلك أنّ معظم نصوصه مأخوذة من الرقيق القيرواني.

كما اعتمدت على المصادر الإباضية التي زودتني بمعلومات عن الدولة الرستمية، والأئمة الذين تعاقبوا عليها، والعلاقة التي كانت بين الإباضية والمالكية، وطوائف أخرى كالشيعة والمعتزلة، والواصلية. ما أكده ابن الصغير(حي القرن 3هـ-9م) في كتابه "**أخبار الأئمة الرستميين**"، أمّا المصادر الأخرى فكانت عبارة عن كتب الطبقات، ككتاب "**طبقات**" الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت670هـ/1271م)، وكتاب "**السيّر**" المعروف بتاريخ أبي زكريا (يحي بن أبي بكر) وكتاب_"**السيّر الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ/9م**" للشماخي(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت928هـ-1522م)، زودتني كذلك بمعلومات هامة عن سقوط الدولة الرستمية في يد أبي عبد الله الشيعي بالتآمر مع العائلة الرستمية نفسها، وعن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني.

3 - كتب الجغرافيين والرحالة:

كتاب"**البلدان**" لليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت284هــ - 898م) الذي زار المغرب، ودوّن ملاحظاته وقد استفدت من كتابه في وصفه لبلاد المغرب والمسافة التي تفصل كل بلد عن الآخر، وأهم الطرق التي تربط بين منطقة وأخرى، كما بين أصل سكان المغرب، والقبائل التي تسكنه.

كتاب **المسالك والممالك** للإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي،ت346هــ - 957م)، زودني بمعلومات مفيدة عن امتداد المغرب وحدوده.

وكتاب صورة الأرض لابن حوقل (أبي القاسم محمد النصيبي، ت بعد 367هــ-977م)، أمدّني بمعلومات عن حدود بلاد المغرب وامتداد بحر الروم (المتوسط) الذي يدخل ضمن حدود المغرب من الناحية الشمالية بما فيها الأندلس، ثم وصف أهم مدنه، والأبعاد بين منطقة وأخرى.

وكتاب "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" للمقدسي (أبي القاسم شمس الدين بن أبي عبد الله محمد النصيبي، ت 388 - 998م) أفادني بمعلومات عن حدود المغرب وأهم المدن التي زارها.

وكتاب"**المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**" للبكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد487هــ-1094م استفدت منه في تحديده لبلاد المغرب وامتداداته، وأهم مدنه، وظهر عنده مصطلح المغرب الأوسط أوّل مرة في كتب الجغرافيين والرّحالة، فوصف بعض القرى ونسب إليها بعض فقهاء المالكية للمغرب الأوسط، وذكر المذاهب المندثرة ومكان استقرارها.

وكتاب "**المغرب العربي من نزهة المشتاق**" للإدريسي (عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس، ت.ق. 6هــ-12م)، حدد بلاد المغرب عامة، والمغرب الأوسط خاصة، والمدن التي يتكون منها، ووصف كل مدينة على حدى، والطرق التي تربط بين منطقة وأخرى.

4 - كتب الديانات والمذاهب

اعتمدت أولا: على مجموعة من الكتب المذهبية منها، كتاب "**مقالات الإسلاميين**" للأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت330هــ-941م)، وكتاب "**الفرق بين الفرق**" للبغدادي(عبد القادر بن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني)، وكتاب "**الملل**

والنحل" للشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت548هـ-1153م) أفادتني بتعريفات لأهم المذاهب التي كانت موجودة في بلاد المغرب، ولمن يعود الفضل في زعامتها؟ وأين كان منبعها، ثانيا كتب الفقه وأصوله زودتني بمعلومات عن مصادر التشريع الإسلامي التي اعتمد عليها الإمام مالك بن أنس في موطئه؟ ككتاب "**الإحكام في أصول الأحكام**" للآمدي (سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي محمد).

5 - الدّراسات الحديثة

1 - المراجع

اعتمدت على المؤرخين المتخصصين في المذهب المالكي ببلاد المغرب (افريقية - المغرب الأقصى)، ككتاب "**محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**" لعمر الجيدي، وكتاب "**المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**" لنجم الدين الهنتاتي، كتاب "**الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**" لأبي العزم داود محمد وغيرها من المراجع فقد استفدت منها في مقارنتي بين ما جاء فيها وبين المصادر التاريخية وكيف كانت قراءتهم لهذه المادة الكثيرة التي تتعلق خاصة بإفريقية والمغرب الأقصى. وحاولت استخلاص بعض المعلومات منها خاصة تلك المتعلقة بالمغرب الأوسط.

والمراجع الإباضية التي أرّخت للدولة الرسمية ككتاب الدولة الرستمية لبحاز إبراهيم، وكتاب "**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع**" لمحمود إسماعيل، وكتاب "**العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**" لجودت عبد الكريم، الذي أخذت عنه بعض المعلومات خاصة فيما يتعلق بالمذهب المالكي والمذهب الإباضي الذي تميز هذا الأخير بالتسامح مع المذاهب الأخرى (المعتزلة، الواصلية، الشيعة)، والتعايش السلمي فيما بينها.

ومن المراجع التي أرخت للدولة الفاطمية منها كتاب دور كتامة لموسى لقبال، وكتاب الخلافة الفاطمية بالمغرب لفرحات الدشراوي، وكتاب الدولة الصنهاجية لهادي روجي إدريس.

كما لا يمكن تجاهل الأبحاث التي قام بها مجموعة من الباحثين وهي على التوالي: دراسة بن عميرة محمد في أطروحته، "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين"، فقد استفدت من الفصل الأول منها في

تحديده للمغرب الإسلامي، ودراسة بوبة مجاني في أطروحتها، "النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296-362هـ/909-973م)"، ودراسة دلال لواتي في رسالتها "عامة القيروان في العصر الأغلبي (184-296هـ/800-908م)"، ودراسة بوعقادة عبد القادر في رسالته "المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد".

كما زودتني بعض الكتابات الفرنسية كانت بأقلام عربية أو إستشراقية، في دراستي سواء ما تعلق بالمذهب المالكي أو الخارجي من بينها ما كتبه الشيخ البكري عن الخوارج في الدولة الرستمية Le kharijisme Berbère ، و محمد الطالبي Chronique D`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert والمستشرق لو تورنو La révolte de Abu-Yazid au X$^{em}$ siècle ومؤرخ الدولة الفاطمية هادي روجي إدريس Sur le retour des Zirides a l`obédience Fatimide وغيرها.

2- الحوليات والملتقيات

1 - الحوليات

من أهمها مجلة الأصالة التي استفدت من مجموعة مقالات فيها كتلك التي تتعلق بالدولة الرستمية، ومجلة الكراسات التونسية باللغتين الفرنسية والعربية، زودتني بمعلومات هامة عن المذهب المالكي وعن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.

2 - الملتقيات

منها الملتقيات التي نظمتها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، كالملتقى الوطني للمذهب المالكي، وملتقيات المغرب الأدني كملتقى القاضي النعمان وملتقى سحنون وملتقى القيروان، كذلك ملتقيات المغرب الأقصى كملتقى القاضي عياض وملتقى الإمام مالك وغيرهما...

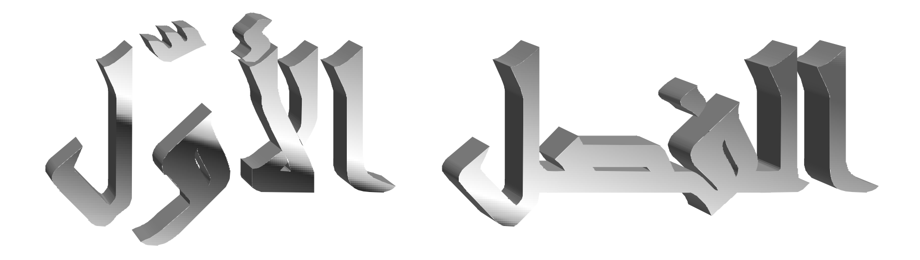
الصعوبات التي واجهتني أثناء هذا العمل

لقد واجهتني صعوبات في انجاز هذا البحث، وتتمثل في نقص المادة التاريخية التي تتحدث عن المغرب الأوسط خاصة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، فهي قليلة جدًا مقارنة بالمادة التاريخية المتوفرة حول مدن المغرب الأخرى، واعتمادا على بعض المعلومات التي ذُكرت في بعض المصادر السنية والإباضية والشيعية (كتب التاريخ

وكتب الطبقات والتراجم)، عن إفريقية (المغرب الأدنى)خاصة والمغرب الأقصى والأندلس عامة، فاجتهدت استنادا إليها وقمت بهذا العمل المتواضع على ما يعتريه من نقص مقارنة بالدراسات التي خصصت لافريقية والمغرب الأقصى والأندلس.

الشكر والعرفان

يطيب لي في نهاية هذه الرسالة أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورة المشرفة بن عميرة لطيفة التي لم تبخل علي بنصائحها القيمة وتوجيهاتها، وأشكر كل الذين ساعدوني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع من رئيس القسم الدكتور أحمد شريفي وأعضاء الإدارة، وهيئة التدريس التي لم تبخل علي بالكتب وإرشاداتها ونصائحها، دون أن أنسى الطلبة الذين ساعدوني والذين قصرت معهم في بعض الأحيان، والذين سيساعدونني من أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بتوجيهاتهم.


الفصل الأول

الفصـــل الأوّل

المغرب الأوسط والمذاهب السنية في بلاد المغرب الإسلامي

أولا: موقع بلاد المغرب الجغرافي

ثانيا: المذاهب السنية في بلاد المغرب الإسلامي

الرحلة العلمية

- إلى الحجاز
- إلى مصر

الإمام مالك والمغاربة

ثالثا: أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي

المغرب الأوسط والمذاهب السنية في بلاد المغرب

أولا- موقع المغرب الجغرافي:

أ- موقع بلاد المغرب

كتب الجغرافيون المسلمون مؤلفات، وصفوا فيها أقاليم البلاد الإسلامية، وتحدثوا عن مسالك وممالك البلدان، وحدّدوا مواقعها وامتدادها من ضمنها إقليم المغرب [1].

ومن خلال ما وفرته هذه المؤلفات من معلومات يتبيّن أنّ بلاد المغرب تمتد ما بين برقة شرقا إلى المحيط (الأطلسي) غربا، ومن بحر الروم (المتوسط) شمالا، إلى الصحراء بداية أرض السودان جنوبا. و في بعض الفترات ضمّ الأندلس وصقلية.

وكان اليعقوبي (ت.284هـ-897م)، وابن خرداذبة (ت.300هـ- 912م)، من أوائل الجغرافيين الذين وصفوا بلاد المغرب، فقد قام الاثنان برسم المسافات التي تفصل بين منطقة وأخرى، والمسالك التي يجب إتباعها للانتقال من مكان إلى آخر، كما بيّنا أصل سكان المغرب[2]، والقبائل التي تسكنه[3]، وتحدثا عن حكام بعض مناطقه[4]، إلاّ أنهما لم يتعرضا إلى حدود المغرب وامتداده.

---

[1] عرّفه ابن خلدون بأنّه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق والمشرق بالإضافة إلى جهة المغرب،(أنظر: ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن، ت808هـ-1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر،1421هـ/2000م، ج6، ص128)؛ أما ياقوت الحموي فقد عرّفه بأنّه ضد المشرق، فأهل مصر يسمّون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سميت بلاد افريقية وما وراءها بلاد المغرب (أنظر: الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ت 626هـ- 1228م): معجم البلدان، ط3، دار صادر، بيروت، 2007م،ج1، ص228 وج5، ص 161)؛ وقال عنه سعد زغلول عند تحقيقه لكتاب الاستبصار " إنّه من الصعب تحديد الحدود الجغرافية للمغرب بدقة للتداخل فيما بينها فافريقية تختلط والمغرب يتداخل في الأندلس" (أنظر: مجهول (كاتب مراكشي 6هـ- 12م): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره وترجم قسما منه إلى الفرنسية سعد زغلول عبد الحميد، إصداراتفضاد سزكين، معهد التاريخ والعلوم العربية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1418هـ / 1997م، هامش أ، ص176)؛ وانظر أيضا: G.Yver, art. « Al- Maghreb »dans Encyclopédie de l`Islam, Leiden Ej. Brill, nouvelle édition, , T.V, Paris, 1986, p1173-1174 ؛ وانظر أيضا الملحق(7).

[2] كتاب البلدان: دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م، ص104 وما بعدها؛ والمسالك والممالك: حققه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص83-84.

[3] كانت فلسطين دارا للبربر وملكهم جالوت بن ضريس بن جانا وهو أبو زناتة المغرب، وجانا ابن لوي بن بر بن قيس بن الياس بن مضر، فلما قتل داود عليه السلام جالوت رحلت البربر إلى المغرب وتفرقت إلى: البتر والبرانس. فنفزة ومكناسة وهوارة ومديونة من البتر، أمّا كتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة فمن البرانس، أمّا زناتة فأوطانها بناحية تاهرت أما كتامة فأوطانها بناحية سطيف وسائر البربر الذين هم من البرانس (أنظر: الإصطخري(أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت346هـ - 957م): المسالك والممالك، تحقيق، ي، دي خويه، إصدارات فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1413هـ/1992م، ص44؛ ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ - 977م): صورة الأرض، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت،1992م، ص91؛ الإدريسي(عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ق.6هـ-12م): المغرب العربي من نزهة المشتاق، حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد حاج صادق، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1983م، ص72-73؛ موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص58 وما بعدها).

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص103؛ ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص81-82.

أما الإصطخري (ت.340هــ-951م)، فقد قسم هذه البلاد إلى منطقتين تمتدان حول بحر الروم(المتوسط) وتتمثل المنطقة الأولى في الأندلس، أما الثانية فتشمل:"برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم..."[1].

ويقع بعض المغرب عند ابن حوقل (ت.368هــ- 978 م) على البحر من جهة الشرق وبعضه الآخر يمتد من جهة الغرب، فالجهة الغربية للبحر تمتد من مصر وبرقة إلى إفريقية[2]، ... حتى سبتة وطنجة، أما الجهة الشرقية فهي بلاد الروم ويضم إليها الأندلس..."، وهذا التعريف يلتقي مع ما ذكره الإصطخري. وفي موضع آخر قال:"...أما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبر الأصغر من جهة جِلّيقِيَّة[3] وافرنجة[4] وهي في جملة المغرب "، وتقابلها من الجهة الغربية تونس، وطبرقة وجزاير بني مزغنة[5]، وتنس[6]، ووهران، ونُكور، وسبتة. ثم وازيلي. ويرسم حدود المغرب بدقة حيث يقول:" وحدّه من مصر الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة آخذًا إلى البحر المحيط وممتدًا إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض

---

(1) المسالك والممالك، المصدر السابق، ص 36.

(2) اختلف في تسمية المجال الإفريقي إلى قولين: القول الأول يعتبر أن افريقية هو ذلك المجال الممتد من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا (أنظر: البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد487هـ-1094م): المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، طبعة البارون دوسلان، الجزائر، 1857م، ص21؛ مجهول، المصدر السابق، ص111-112). أمّا القول الثاني فيرى أنّ افريقية هي تونس الحالية، إضافة إلى طرابلس وبرقة (أنظر: أبو الفدا، ص122. أما صاحب الاستبصار فمرة يتفق مع البكري في تعريفه، ومرة أخرى يجعله مجالاً مستقلا لذاته(البكري، المصدر السابق، ص 179وص 110 وما بعدها).

(3) يعرّف ياقوت الحموي جِلّيقيَّة بكسر الجيم على أنها : ناحية قرب ساحل البحر المحيط (الأطلسي) في أقصى شمال الأندلس من جهة الغرب، وقال ابن ماكولا:" نسبة إلى بلدة من بلاد الروم المتاخمة للأندلس يقال لها جلّيقية (أنظر: ياقوت الحموي، نفس المصدر،ج2، ص157).

(4) هي مجاورة لرومية، والروم هم في شمال الأندلس نحو الشرق إلى رومية... وهي أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى، ينسبون إلى جد لهم واسمه أفرنجش، وهم يقولون فَرَنك (أنظر: ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج1، ص228).

(5) ذكرت بأسماء مختلفة عند الجغرافيين:"جزيرة بني مزغناية" عند المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي المعروف بالبشاري،ت387هـ-997م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1987م، ص63 وهنا وهناك)؛ "جزائر بني مزغنّان" (عند ابن حوقل: المصدر السابق، ص65 وما بعدها)؛ "الجزاير بني مزغنى" عند البكري(المصدرالسابق، ص66-82)؛ "جزاير بني مزغنّاي" عند أبي الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن علي بن علي محمد بن عمر صاحب حماه، ت732هـ-1331م): تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، دار لكتاب العربي اللبناني، 1840م، ص 126-137؛ مجهول، المصدر السابق، ص132)؛ "جزائر بني مزغنة" عند الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كان حيا 532هـ-1137م): كتاب الجعرافية، تحقيق حاج صادق، دمشق، 1968م، ص107) وهي مدينة الجزائر في وقتنا الحالي.

(6) هي مدينة قديمة ساحلية بينها وبين البحر ميلان، وهي من المدن الكبيرة التي يقصدها التجار الأندلسيون والقرويون، ومحطة للانتقال إلى غيرها. بناها الأندلسيون سنة 262هـ- 876م. وسكنها أهل تدمير والبيرة (أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص78؛ البكري، نفسه، ص61-69؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص104؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص48؛ خلف محمد نجيب: أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبيد الله البكري، ضمن مشاريع الوطنية للبحث في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص251 وما بعدها).

غانه وأرض أودغست. ثم يستمر عاطفًا إلى الشمال مارًا على بلاد برغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم(مضيق جبل طارق)، الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس، وراجعا حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية[1]، من أرض افريقية مقبلاً على أرض طرابلس وبرقة إلى الإسكندرية"، ثم وصف مدن المغرب وأبعادها والطريق بين مدينة وأخرى.[2]

وحدّد المقدسي(ت.380هـ- 990م)، المناطق التي يتكون منها المغرب وذكر أهم مدنه وقد جعله كهيطل وخراسان [3]، "...أوّل كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية ثم تاهرت[4] ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى ثـم جزيرة صقلية والأندلس وراء البحر على أرض الروم..."[5]، لكنّه لم يدخل الأندلس. كما تميز المقدسي عن الجغرافيين الذين سبقوه بذكر أهم مدن بلاد المغرب.

ويستعمل الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري (ت.487هـ-1094م) ، مصطلح إفريقية مرادفا لمصطلح المغرب، ويذكر امتداده وحدوده، فقد جعل طول افريقية من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، وعرضها من البحر المتوسط إلى الرمال، التي هي أول بلاد السودان، وتتكون من جبال، ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق[6].

ويبدو أنّه لا يوجد اختلاف كبير في تعريف الجغرافيين للمغرب، فقد قسموا هذه البلاد عموما إلى ثلاثة مناطق: إفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، أما افريقية فتمتد من برقة شرقا إلى بجاية[7] غربا. وهناك من يجعلها تنتهي عند مدينـة مليانـة[8]. وأوّل مدنها طرابلس على ساحل البحر، أمّا عرضها فمن البحر المتوسط إلى الصحـراء التـي

---

[1] مدينة بناها عبيد الله المهدي فنسبت إليه وهي في جهة البحر وتحوّل إليها من رقادة القيروان في سنة 308هـ- 921م (أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص73؛ البكري، المصدر السابق، ص29؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص144).

[2] المصدر السابق، ص64-65.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص183.

[4](تسمى عراق المغرب)، وهي مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة، " وقد قيل أن كورة تاهرت من إفريقية تقع غربي سطيف وهي قاعدة المغرب الأوسط، وكانت عاصمة الرستميين حتى سقطت على يد الفاطميين.."(أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص109؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص139).

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص183-184.

[6] البكري ، المصدر السابق، ص21.

[7] هي مدينة ساحلية أزلية، على ضفة البحر، عامرة بأهل الأندلس، بينها وبين بسكرة أربعة أيام، وبينها وبين قسنطينة مرحلتان، عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين فانتقل أهلها إليها كما تنسب إليها دولة بني حماد، واتخذوها دار مملكتهم ، بناها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود 457هـ - 1059م. وذكرها الإصطخري "بجانة"(المصدر السابق، ص38؛ البكري، المصدر السابق، ص82؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص116، 117، 125، 127؛ مجهول، المصدر السابق، ص128- 129).

[8] الحموي، المصدر السابق، ج1، ص228، ج5 ، ص161.

تمتد بين بلاد افريقية وبلاد السودان [1].

ب - المغرب الأوسط

وإلى الغرب من إفريقية يقع المغرب الأوسط مجال هذه الدرّاسة. فهذا المصطلح لم يكن معروف المعالم عند اليعقوبي الذي زار بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وهو حديث السن، فكان يتقصى أخبار البلدان، والمسافات بين منطقة وأخرى، ويدون كل المعلومات التي يتأكد من صحة مصدرها[2]. وكذلك فعل ابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، و تجول في المغرب والأندلس، وفي القرن الخامس الهجري ظهر مصطلح المغرب الأوسط أوّل مرّة عند البكري الذي كتب في حديثه عن موقع مدينة تلمسان"[3] ...وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط...وهي مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر..."[4]، وذكر الحصون التي بساحل المدينة وما يتصل بها جنوبا، دون أن يتعرض لمدن المغرب الأوسط الأخرى. عكس الإدريسي، الذي ذكر عددا كبيرا منها حيث كتب "وفيه من بلاد المغرب الأوسط تنس، وبَرِشْك[5]، وجزاير بني مزغنة، وتدَلّس،[6] وبجاية، وجيجل،[7] ومليانة،[8] والقلعة،[9]

---

[1] أبو الفدا، المصدر السابق، ص122؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص133 وما بعدها؛ مجهول، المصدر السابق، ص110-111.

[2] كراتشكوفسيكي اغناطيوس لوليانوفتش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمه من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1987م، ص172-173.

[3] مدينة قديمة ، ذكرها ابن خرداذبة ب "تلمسين" (المصدر السابق)، ص82؛ أما ابن حوقل فكتبها "تنمسان"، (المصدر السابق، ص88)؛ وأنظر أيضا(البكري، المصدر السابق، ص76؛ وابن عذاري: (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت712هـ-1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج، س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م ، ج1، ص200؛ الحموي، المصدر السابق،ج2، 44).

[4] البكري ، نفس المصدر ، ص76 وما بعدها.

[5] هي مدينة قريبة من مدينة شرشال، كانت مسورة فتهدم، فيها مياه جارية وآبار وغالبية أهلها من البربر(أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص78؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص130).

[6] بينها وبين مرسى الدجاج أربعة وعشرون ميلا (أنظر: الإدريسي، نفس المصدر ، ص115، 130).

[7] مدينة قديمة على ساحل البحر ، يوجد بها جبل كتامة ويسمى بجبل زَلَدَوى، وفيه كثير من البربر، وهذا المكان كانت فيه دعوة أبي عبد الله الشيعي، وبين جيجل وبجاية خمسون ميلا(نفس المصدر، ص123؛ مجهول، المصدر السابق، ص128؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص196).

[8] مدينة بالمغرب الأوسط، قديمة ، من بنيان الروم، وحولها قبائل من البربر، جدد بنيانها زيري بن مناد، بينها وبين نهر الشلف مرحلة، ومنها إلى مليانة في البر مرحلتان، وبين مليانة وتاهرت ثلاث مراحل(أنظر: ابن حوقل،المصدر السابق، ص89؛ البكري، نفس المصدر، ص60-61؛ الإدريسي، نفس المصدر، ص106-107؛ مجهول، نفس المصدر، ص171).

[9] بناها حمّاد (بن يوسف) بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وتنسب إليهم دولة بني حماد في حدود سنة 370هـ - 980م وتقع قرب أشير (أنظر: الإدريسي، نفس المصدر، ص117؛ مجهول، نفس المصدر، ص122-129؛ الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 72).

والمسيلة،[1] والغدير[2]، ومَقَّرة،[3] ونِقاوس[4]، وطبنة،[5] والقسنطينة،[6] وتيجس،[7] وباغاية،[8] وتيفاش، ودار مَدْيَن، وَبَلَزْمة،[9] ودار مَلُّول،[10] ومِيلَة "[11]، كما ذكر الإدريسي في موضع آخر أن بجاية في وقته (أي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي) "مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق..."[12]، فبجاية كانت حاضرة المغرب الأوسط ووصلت إلى ذروة الازدهار كونها قلعة بني حماد التي كانت مقصدا للتجار من كل الأقطار مغربا ومشرقا، وهو ما نتج عنه تبادل الأفكار وتنوع في الثقافات.

---

[1] من مدن الزاب، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله المهدي سنة 313هـ - 925م، وقام ببنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، وبقي فيها إلى أن مات في ثورة مخلد بن كيداد، وسكنها بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة (أنظر: البكري، المصدر السابق، ص59؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص108-119 ؛ مجهول، المصدر السابق، ص171-172؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص215 ؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص130).

[2] مدينة كبيرة محدثة، بينها وبين القلعة ثمانية أميال، أهلها بدو، تخرج منها عيون نهر سهر وهو نهر المسيلة، وسكانها من هوارة يقدرون بستين ألفا(أنظر: البكري، نفس المصدر، ص54-59؛ الإدريسي، نفس المصدر، ص117).

[3] منها إلى المسيلة مرحلة، وإلى طبنة مرحلة، قريبة من قلعة بني حماد، تقع في وسط الزاب، وكانت محطة ينزل فيها الولاة، لها حصون كثيرة، أهلها قوم من بني خبة، وبها قوم من العجم، وبها قوم من بني تميم من بني سعد(أنظر: اليعقوبي: المصدر السابق، ص108؛ البكري، نفس المصدر، ص51؛ الإدريسي، نفس المصدر، ص119؛ ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج5، ص175).

[4] مدينة كبيرة قديمة، كثيرة العمارة، حولها من البربر من مكنانة وهي بطن من زناتة، وحولها أوربة، كثيرة الأنهار والثمار والمزارع، يحمل الجوز منها إلى قلعة بني حماد وبجاية وإلى مدن أخرى، ومن دار ملول ثلاث مراحل(أنظر: اليعقوبي، نفس المصدر، ص108؛ ابن حوقل،المصدر السابق، ص91؛ مجهول، المصدر السابق، ص172).

[5] من مدن الزاب، فيها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم، والبربر، مدينة كبيرة ، فُتحت على يد موسى بن نصير، بينها وبين بجاية سبعة مراحل(أنظر: اليعقوبي، نفس المصدر، ص107؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص172؛ مجهول، نفس المصدر، ص172؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21).

[6] هي مدينة كبيرة قديمة، حصينة، بينها وبين القل مرحلتان، وهي آخر مدينة بجاية وأول إفريقية (أنظر: الإدريسي، نفس المصدر، ص121، 122، 125؛ مجهول، نفس المصدر، ص166؛ أبو الفدا، المصدر السابق، 139).

[7] هي مدينة قديمة من عمل باغاية، وبها قوم من قبائل البربر، من نفزة وورغروسة، وبنوونموا وكريانو وحمزة من زناتة(أنظر: اليعقوبي، نفسه، ص107؛ البكري، المصدر السابق، ص63،35؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص85؛ خلف محمد نجيب، المرجع السابق ، ص245).

[8] مدينة كبيرة، تقع على جبل الأوراس، وتعتبر من مدن الزاب، فيها قبائل من الجند والعجم من أهل خرسان، ومن حولها قوم من بربر هوارة، بينها وبين قسنطينة ثلاث مراحل(أنظر: اليعقوبي، نفسه؛ ابن حوقل، نفس المصدر، ص67، 84؛ البكري، نفس المصدر، ص52؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص158).

[9] مدينة حديثة، أهلها من بني تميم، خالفوا بني الأغلب، ومنها إلى بجاية مرحلتان أو أكثر (أنظر: اليعقوبي، نفس المصدر، ص108؛ بن حوقل، نفس المصدر، ص92؛ الإدريسي، نفس المصدر، ص116، 126).

[10] من دار ملول إلى طبنة شرقا مرحلة كبيرة، كنت فيما سبق مدينة عامرة وأسواقها قائمة، بينها وبين نقاوس ثلاث مراحل (أنظر: الإدريسي، نفس المصدر ، ص120).

[11] تقع شرق قلعة بني حماد وهي قريبة من قسنطينة، وفي 378هـ- 989م خرج المنصور ناويا قتل أهل ميلة، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال، فلما رآهم بكى وأمر بنقلهم إلى باغاية ولم يقتل أحدا منهم، ثم أمر بهدم سورها(أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص107؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85، 91؛ البكري، المصدر السابق، ص76؛ الإدريسي، نفس المصدر، ص121،72، 122؛ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص244).

[12] الإدريسي، نفس المصدر، ص116.

ويتفق الإدريسي مع صاحب الاستبصار على أن للمغرب الأوسط مدنا كثيرة[1] إلاّ أنهما يختلفان في تحديد قاعدته، فيقول الأوّل أنّ بجاية قاعدته[2]. أمّا الثاني فيجعل قاعدته تلمسان [3]. و حدّد هذا الأخير موقع المغرب الأوسط بقوله:"...من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق، بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان (شرقا) إلى بلاد تازا (غربا)،...ومن البحر (المتوسط)... في البلاد الساحلية، مثل مدينة وهران[4] ومليلة وغيرها (شمالا) ... إلى مدينة تنزل[5] (جنوبا)... وهي مدينة واقعة في أول الصحراء على الطريق الرابط بين سجلماسة وورقلان وغيرها [6].

أما أبو الفدا فقد حدّد موقع المغرب الأوسط بقوله: "... من شرقي وهران ... إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق..." [7]، وذكر ابن خلدون الحدود الغربية للمغرب الأوسط فقال إنّ:" نهر ملوية أخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازا[8]، ويصب في البحر الرومي عند غساسة..."[9]، فهذا يعني أنّ الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى هو نهر ملوية.

ويلاحظ أن حدود المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، غير قارة ، وهذا راجع إلى عدّة أسباب منها: حركة القبائل البربرية[10] كبني يفرن الذين افترقوا وارتحلـــوا عن

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص72؛ مجهول، المصدر السابق، ص179.

[2] نفس المصدر، ص116؛ أبو الفدا،المصدر السابق، ص137.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص176؛ البكري، المصدر السابق، ص76.

[4] هي مدينة بحرية تقابلها مدينة المرية من الأندلس، أسست سنة 289هـ- 902م على يد محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين، واستوطنها الأندلسيون. لها مرسى، ما يجلب إليه ليس له مثيل(أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص79؛ البكري، نفس المصدر، ص71؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص105؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص136؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص385-386).

[5] عند البكري " تيزل" ، نفس المصدر، ص77.

[6] نفس المصدر، ص 76 وما بعدها؛ مجهول، المصدر السابق، ص176؛ بن عميرة محمد: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، 2004 هـ/2005م، ص39، 61.

[7] أبو الفدا، المصدر السابق، ص139.

[8] جاءت عند ابن خلدون "تازى" : المصدر السابق، ج6، ص133.

[9] نفسه.

[10] الإدريسي، المصدر السابق، ص111.

طبنة[1]، والقبائل الوافدة على تاهرت[2] وفاس[3] لمّا أُسستا، وإلى تقلص وتوسع السلطة السياسية التي تعاقبت على بلدان المغرب، فقد انتقل الحكم في المغرب الأوسط من الرستميين إلى الفاطميين، إلى الزيريين، ثم الحماديين.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص147.

[2] ابن الصغير(حي القرن 3هـ-9م): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1986م، ص32-36؛ المقدسي، المصدر السابق، ص189.

[3] ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، حي 724هـ-1324م): الأنيس المطرب في روض القرطاس، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص14؛ ابن القاضي(أحمد بن محمد، ت1025هـ-1616م): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، 1309هـ/1891م، ص21.

ثانيا- المذاهب السنية في بلاد المغرب الإسلامي

إنّ المقصود بالمذاهب[1] السنية، مذاهب الفقهاء الأربعة، الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي. وهي أشهر المذاهب التي انتشرت بين المسلمين منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا، فقد استطاعت أن تبقى وتتغلب على المذاهب السنية الأخرى التي زالت بسرعة، كمذهب سفيان الثوري بالكوفة ومذهب الحسن البصري بالبصرة، ومذهب الأوزاعي بالشام و الأندلس[2]. حيث انضم لكل إمام منهم أتباع ومقلدون، وصاروا فيما بعد يجمعون أقوالهم وفتاويهم ويبثونها في الناس، بواسطة مؤلفات التزمت كل جماعة فيها أقوال إمامهم[3]. وظهرت المدارس الفقهية التي انقسمت بعد ذلك إلى مدرستين هما: مدرسة الرأي بالعراق، ومدرسة الأثر بالمدينة.

وكان الصحابة - رضي الله عنهم- عندما لا يجدون حكما في كتاب الله، ولا في سنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- يجتهدون في المسائل التي تعترضهم معتمدين في ذلك على حديث معاذ بن جبل[4]مع الرسول- صلى الله عليه وسلم- لما بعثه إلى اليمن حيث قال له:"كَيْفَ تقضي إن عرض لك قضاء؟" قال:" أقضي بكتاب الله"، قال الرسول- صلى الله عليه وسلم:" فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فسنّة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:" فإن لم يكن في سنّة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؟". قال:" اجتهد رأيي ولا آلو"، قال معاذ: فضرب صدري فقال: " الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لما يرضى رسوله" [5].

---

[1] مفردها مذهب : وهو ما ذهب إليه الفقيه أو الإمام في المسائل الاجتهادية، وكذلك ما ذهب إليه أتباعه على القواعد والأصول التي وضعها. ما كان منصوصا عليه في الكتاب والسنة وعليه الإجماع فلا يعد مذهبا، لعدم انفراد أو اختصاص الفقيه به: فمسائل الخلاف هي التي يعد القول فيها مذهبا يعزى لصاحبه (أنظر: أبو الأجفان: المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان، بحوث الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ/2004م، ص212).

[2] القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت544هـ-1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، منشورات دار الحياة، بيروت، ودار الفكر، ليبيا، ج1، ص79.

[3] عمر الجيدي: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، 1407هـ/1987م، ص9.

[4] من كبار التابعين، ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن سلمة أبو عبد الرحمن الخزرجي شهد بدرا، وهو من الذين جمعوا القرآن في عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- روى عنه كثير من الصحابة، وتوفي بالطاعون سنة 17هـ 23م(أنظر: ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكتاني المصري، ت852هـ- 1448م): الإصابة في تمييز الصحابة القاهرة، 1853م ، ج6، ص106-107).

[5] رواه أحمد بن حنبل عن وكيع، عن عفان، عن شعبة بإسناده ولفظه بطرق مختلفة (أنظر: المسند: باب مسند الأنصار، من حديث معاذ بن جبل، رقم 22122 و 22161، ضبطه وعلق عليه، صدقي محمد جميل العطار، ط2، دار الفكر الإسلامي، 1414هـ-1994م، ج8، ص245، 256-257؛ ابن كثير(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، ت774-1372م): البداية والنهاية، راجع نصه وضبطه وقدم له، سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 1426هـ-2005م، ص1267.

فلما انقضى عهد الصحابة جاء بعدهم التابعون، فأصبحوا يأخذون فتوى من كان قبلهم من الصحابة، فلا يتعدونها إلاّ في اليسير ممّا بلغهم، فأهل المدينة اتبعوا فتاوي عبد الله بن عمر وأهل الكوفة عملوا بفتاوي عبد الله بن مسعود[1]، وأهل مكة أخذوا بفتاوي عبد الله بن عباس[2]، وأهل مصر اعتمدوا فتاوي عبد الله بن عمرو بن العاص. وبعد التابعين ظهر جماعة من الأئمة كأبي حنيفة[3]، ومالك[4] ، والشافعي[5]، وأحمد بن

---

[1] هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمان عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أحد السابقين الأولين للإسلام ومن المهاجرين إلى الحبشة، وكان من أوعية العلم، ومن المكثرين في الفتيا توفي سنة 32هـ/ 652م، وقيل 33هـ/ 653م (أنظر: ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص129).

[2] هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس، غزا افريقية مع ابن أبي السرح سنة 27هـ/647م، ومر ببرقة وطرابلس، و تولى قسمة الغنائم في غزوة العبادلة، وهو من أكثر الصحابة فتوى ورواية، نفسه ، ص90).

[3] هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التميمي الكوفي فقيه العراق وإمام أصحاب الرأي، روى عن عطاء والزهري، صاحب المذهب الحنفي، وهو من أقدم المذاهب السنية الأربعة، ولد سنة 80هـ/699م في الكوفة، اتجه في أوّل حياته لحفظ القرآن الكريم، ثم درس الفقه واستخرج الأحكام من الكتاب والسنة والبناء عليهما، وتتبُّع أثار السلف الصالح، وكانت له حلقة في مسجد الكوفة، قال عنه الشافعي:" الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، توفي ببغداد سنة 150هـ/767م (أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 86؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن، ت916هـ-1505م): طبقات الحفاظ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص 80-81؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 346-348؛ أحمد تيمور: المذاهب الفقهية الأربعة، دار الآفاق العربية، القاهرة،1431هـ/2001م، ص50).

[4] هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خيثل بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني، لقد اختلف في نسبه قال القاضي عياض:" إلاّ أنه في الأخير يقول أنّ لا خلاف من أنّه ولد قحطان"، واختلف في تاريخ ولادته، فالشيرازي يقول: أنّه ولد سنة خمس وتسعين للهجرة، و ذكر غيره أنه ولد بين90هـ-708م، و97هـ- 715م، والأرجح مارُوي عن بكر من أنّه ولد سنة 93هـ/ 711م في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، من أبوين عربيين من قبائل يمنية فأبوه ينتهي إلى قبيلة ذي أصبح، واسمه أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي، كان عالما فقيها، وأمه هي العالية بنت أبي بكار شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية، وَجَدُ أبي مالك من أصحاب الرسول- صلى الله عليه وسلم- وممّن شهد المغازي كلها ما عدا بدراً، نزل جد مالك المدينة فاستقر بها، وكان من كبار التابعين، وجلة فقهائهم وعلمائهم يروي عن عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعائشة أم المؤمنين وعن آخرين. وكان عماه ربيع ونافع، عالمين ومحدثين، فمالك إذن من عائلة أصحاب علم ورواية للحديث وأثار الصحابة وفتاويهم. ونشأ مالك في المدينة المنورة، دار الهجرة، وموطن الرسول- صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين من بعده رضوان الله عليهم، فتأثر مالك بآرائهم وأفكارهم، وحفظ فتاويهم ومسائلهم، وتتبع أخبارهم وتعرف على أقضيتهم وأحكامهم، وكان حريصا على الأخذ بما جرى به عمل أهل المدينة وجعله حجة في الأحكام الشرعية العملية، فكان يرى سلوك أهلها من سلوك الرسول -صلى الله عليه وسلم- والعمل به يضيء الطريق أمام الفقيه للوصول إلى استنباط الأحكام وتطبيقها. وقد أخذ مالك علمه عن جلة من شيوخ المدينة أبرزهم ربيعة، وابن هرمز، وشهاب الزهري ونافع، حتى قال أهل الحديث عن نافع أنّه " أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر"، وتميز مالك بكثرة الحفظ بشهادة شيوخ، وقد اختلف في سنة وفاته وعلى الأرجح هي سنة 179 هـ-795م في خلافة هارون الرشيد،(أنظر: ابن سعد الواقدي (محمد بن منيع الهاشمي البصري): الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج5، ص465- 466؛ الشيرازي(أبو إسحاق الشافعي، ت479هـ- 1086م): طبقات الفقهاء، حققه إحسان عباس، دار رائد العربي، بيروت، 1970، ص67-68؛ القاضي عياض: المصدر السابق: ج1، ص103،104، 110، 120 وما بعدها من عدة صفحات؛ السيوطي: تنويرالحوالك شرح على موطأ مالك، المكتبة الثقافية، بيروت، ج1، ص 2 وما بعدها؛ أبو زهرة، نفس المصدر، ص177، 373 وما بعدها؛ أحمد تيمور، نفس المصدر، ص64 وما بعدها؛ الجيدي، محاضرات، ص11-12).

[5] هو محمد بن إدريس الشافعي الإمام القرشي، ولد سنة 150هـ-767م باليمن، أبوه قرشي ينتهي إلى بني المطلب أخى هاشم، جد النبي- صلى الله عليه وسلم- مذهبه ثالث المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين، لزم الشافعي مالكا شيخ الحجاز وكان يعتبر نفسه تلميذه، وهو ممّن أخذ عنه ثم استقل بمذهب خاص به، فقد مزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق ، وخالف مالكا -رحمه الله - في كثير من مذهبه، توفي بمصر سنة 204هـ/819م،(أنظر: الشيرازي، نفس المصدر، ص86؛ محمد أبو زهرة، نفس المرجع، ص 424 وما بعدها من عدة صفحات؛ أحمد تيمور، نفس المرجع، ص75).

حنبل[1]، وأصبح كل واحد منهم فقيه عصره ومصره.

ساد المذهب الحنفي إفريقية[2] إلى أن دخل موطأ الإمام مالك بن أنس على يد، علي بن زياد التونسي (ت.183هـ-799م)، وابن الأشرس(ت.170هـ-768م)، والبهلول بن راشد(ت.183هـ-799م)، وبعدهم أسد بن الفرات(ت. 213هـ-828م). ودرس عليهم كثير من التلاميذ إلى أن جاء سحنون بن سعيد التنوخي(ت.240هـ-854م) فغلَّب في أيامه مذهب مالك، وفض حلق المخالفين، فاستقر المذهب بعده وشاع في الأقطار.

كما أخذ قوم قلة بالمذهب الشافعي ومذهب داوود [3] في إفريقية[4]، أما الأندلس فكانت في البداية على مذهب الأوزاعي، ثم غلب عليها المذهب المالكي، قال عياض فقد:" أدخل قوم من الرحالين والغرباء من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداوود، فلم يتمكنوا من نشره، فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم، إلا من تدين به في نفسه، ممّن لا يؤبه لقوله"[5]. فالمذهب الشافعي كان يمنع حتى في مجالس العلم بمدينة الأندلس، ويمكن تفسير ذلك إمّا لبغض المالكية للإمام الشافعي لأنّه أخذ العلم عن مالك ثم خالفه، أو حبهم للإمام مالك، والإقتداء به دون غيره، فقد ذكر المقدسي أنّه كان يوما يدرس بعضهم في مسألة فذكر قول الشافعي -رحمه الله- فقال أحدهم:" اسكت من هو الشافعي إنّما كان

---

(1) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، سمي بحنبل على اسم جده، ولد سنة 164هـ-780م ببغداد، عربي النسب ينتهي إلى قبيلة شيبان العدنانية، يلتقي مع النبي- صلى الله عليه وسلم- في نزار، ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين، لم يكتف مِنْ تَلَقي الحديث ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة، بل ذهب إلى اليمن، وهمَّ بأن يذهب إلى مصر وراء أستاذه الشافعي- رضي الله عنه- توفي سنة 241هـ/855م (أنظر: الشيرازي، نفس المصدر، ص19-92؛ محمد أبو زهرة، نفس المرجع، ص468 وما بعدها من عدة صفحات؛ أحمد تيمور، نفس المرجع، ص88).

(2) القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص80؛ المقدسي، المصدر السابق، ص195؛ الإصطخري، المصدر السابق، ص45.

(3) هو سليمان بن علي بن خلف الأصفهاني المعروف بالظاهري. اختلف في سنة ولادته على أقوال منها في سنة202هـ - 817م أو في سنة 200هـ -815م. أخذ علمه عن إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد. سمي بالظاهري نسبة إلى مذهبه الذي يأخذ بظاهر النصوص - القرآن والسنة- فإن لم يجد نصا أخذ بالإجماع، إلا أنه يرفض القياس ولا يعمل به. له العديد من التصانيف منها" كتاب إبطال القياس"، وكتاب الحجة وغيرهما. واستمر مذهبه إلى منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ثم اندثر. اختلف في سنة ولادته كما اختلف في سنة وفاته وأرجحها سنة 270هـ -884 م.(أنظر: الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت1089هـ- 1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص159؛ محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، دار شريفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص267-268؛ بوعقادة، المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة(الثامن والتاسع الميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، 2004، ص198 وما بعدها من عدة صفحات).

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص195؛ القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص54؛ أحمد تيمور، المرجع السابق، ص76 وقد اعتمد ألفراد بل على بعض المصادر التي تنفي ذلك (الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عبد الرحمان بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص 129).

(5) القاضي عياض، المصدر السابق: ج1، ص55.

بَحْرَين أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب افنتركهما ونشتغل بالساقية"[1]. ثم ألزم هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أهل الأندلس بمذهب الإمام مالك[2].

وأوّل ما دُوِّن في الحديث والفقه موطأ الإمام مالك بن أنس، فإنه جمع فيه ما صح عنده من السنّة من فتاوي الصحابة والتابعين وتابعيهم. فكـــان موطـــأه هذا كتاب حديث وفقه، وهو أساس فقه الحجازيين.

الرحلات العلمية:

كانت الرحلات العلمية إلى المدينة المنورة من جميع الأقطار، وأكثرها من بلاد المغرب، للتفقه والتعلم عن الإمام مالك ، إمام دار الهجرة مباشرة، أو عن تلاميذه. فقد بلغ أهل المغرب درجة عالية في روايتهم موطأ مالك، أمثال علي بن زياد التونسي، الذي يعتبره محمد الشاذلي النيفر "مؤسس المدرسة التونسية بأجلى مظاهرها التي لا تزال إلى اليوم ممتدة الفروع، ثابتة الأصول"[3]، والبهلــول بن راشد وعبــد الله بن غـــانم[4]، ومن بعـــدهم أســـد

---

[1] المقدسي:المصدر السابق، ص195.

[2] نفس المصدر، ص54 -55.

[3] مالك بن أنس: قطعة من موطأ عليا بن زياد التونسي العبسي ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، 1399هـ/1978م، ص26؛ أبو الأجفان، المدرسة المالكية، ص228.

[4] كان مالكا يجلسه بجانبه، وإذا وردت عليه مسائل وعبد الله بن غانم حاضر يقول له أجب يا عبد الله فيجيب... ثم يلتفت لأصحابه فيقول هذا فقيه المغرب..." (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص341).

بن الفرات [1] ، الذي كتب الأسدية [2]. ثم بعدهم الإمام عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني[3]، الذي انتهت إليه الرئاسة في العلم بالقيروان. وهو صاحب المدونة [4]، ومن الأندلسيين زياد بن عبد الرحمن، وغازي بن قيس ويحي بن يحي الليثي، وعبد الملك بن حبيب وغيرهم. وقد ساهمت هذه الرحلات العلمية إلى الحرمين، بشكل مباشر، في توسع وانتشار علم مالك في أنحاء المعمورة، والإمام مالك على قيد الحياة.

---

[1] يكنى أبو عبد الله مولى بني سليم بن قيس، ذكر أبو العرب أنّه من خرسان، من نيسابور، وُلد بنجران سنة 142هـ-760م وقيل سنة 145هـ - 763م، لازم علي بن زياد التونسي فتعلم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلى الإمام مالك بن أنس بالمشرق سنة 172هـ - 782م، فسمع منه، كان طلبه للعلم كثير، فقد ذكرت المصادر أنّه لما طلب من مالك أن يزيده قال له:" حسبك ما للنّاس"، وسمع كذلك من أصحاب أبي حنيفة: القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو وغيرهم، وسمع الفقه بمصر على عبد الرحمن بن القاسم، فكان أسد يسأل وابن القاسم يجيب بما حفظه عن مالك بقوله:" وفيما شك قال، أخال، واحسب، وأظن به، ومنها ما قال فيه، سمعته يقول في مسألة كذا وكذا، ومسألتك مثله، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك، وما دونه عنه سماه بالأسدية. ولما أراد أسد الخروج إلى إفريقية دفع إليه ابن القاسم سماعه عن مالك وقال له:" أجبتك وأنا على شغل ولكن أنظر في هذا الكتاب فما خالفه مما أجبتك فيه فأسقطه". ولما عاد إلى القيروان سمع منه الكثيرون، منهم: سحنون بن سعيد التنوخي. وفي سنة 204هـ-820م، ولاّه زيادة الله القضاء مع أبي محرز الكناني، ولم يزل قاضيا إلى أن خرج على رأس جيش إلى صقلية يغزوها سنة 212هـ- 828م . ذكر القاضي عياض أنّ أسدا قال لزيادة الله لما ولاه الفتح:"...من بعد القضاء والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟ فقال:لا ولكنني وليتك الإمارة، وهي أشرف، وأبقيت لك اسم القضاء..."توفي وهو محاصر سرقوسة، واختلفت المصادر في وفاته بين 213هـ-829م،214هـ-830م، 217هـ- 833م، (أنظر: أبو العرب(محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت333هـ-945م)، طبقات علماء إفريقية، جمع وتحقيق محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص81 وما بعدها؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص465 وما بعدها من عدة صفحات؛ الدباغ: (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت696هـ-1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت 839هـ -1435م)، تحقيق محمد أبو النور، ومحمد الماضور، تونس 1313هـ/1993م، ج2، ص3 وما بعدها من عدة صفحات).

[2] لقد رجح حمزة أبو فارس في بحثه عن مدونة الإمام سحنون أنه كانت لهذا الأخير رحلة واحدة إلى المشرق بعد عودة أسدابن الفرات من هناك سنة 185هـ - 802م، لأنه لا يعقل في نظره أنّه أخذ الأسدية من أسد بن الفرات وهو بالمشرق (أنظر: محمد أبو فارس: محاضرات ملتقى الإمام سحنون،7-8-9جمادى الثانية 1412هـ الموافق ل 13- 14- 15- ديسمبر 1991م ، ص99 وما بعدها من عدة صفحات؛ أبو الأجفان، المدرسة المالكية، ص233).

[3] هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن الحبيب التنوخي، وسحنون لقبه، واسمه عبد السلام، ذكر عياض أنّه:"سمي سحنون باسم طائر (حديد) لحدته في المسائل"، من صليبة العرب، أصله من الشام من حمص، قدم أبوه مع جند حمص، كان مولده سنة 161هـ-778م. جمعت فيه خصال لم تجمع في غيره، الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة. وقال عنه أبو العرب:"...كان أوّل من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع وكان فيه حلقات للصفرية والإباضية وظاهرين لزيغهم ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه". أخذ سحنون علمه من علي بن زياد التونسي، وابن غانم وابن الأشرس ومعاوية الصمادحي، وأبي زياد الرعيني وغيرهم. ثم رحل إلى المشرق لطلب العلم سنة 188هـ- 804م، وحسب أبو العرب والخشني، فقد ذكر ابنه أنّه سافر إلى مصر سنة 178هـ- 795م، وإذا كان هذا صحيح فإن لسحنون رحلتان: الأولى سمع منها من ابن نافع من المدنيين والثانية من ابن القاسم، كم سمع من ابن وهب، وأشهب، وسفيان بن عيينة، وابن ماجشون وغيرهم، قال عنه الشيرازي:" إليه انتهت الرئاسة في العلم بالمغرب"، ولاه الأمير الأغلبي محمد القضاء على القيروان، فلم يباشر ذلك إلاّ بعد مضي حول، وبعد اتفاقهما على شروط وضعها سحنون. توفي وهو قاض سنة 240هـ- 855م، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب(أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص 101- 103؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص585 وما بعدها من عدة صفحات؛ الدّباغ، المصدر السابق، ج2، ص353 وما بعدها) .

[4] أخذ أسد وسحنون المسائل عن علي بن زياد التونسي أثناء رحلتهما إليه بتونس، فكتب أسد المدونة عن علي ولاحظ سحنون أنّ فيها اختلافات، فسافر إلى مصر، وسمع من صاحب مالك عبد الرحمن بن القاسم (كان مالك قد توفي)، فقام بتصحيحه (أنظر: أبو الأجفان، المدرسة المالكية، ص232-233؛ الجيدي، محاضرات، ص177، الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص77).

وقد بدأت رحلة فقهاء المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). فالفقيه أبو القاسم الزواوي رحل إلى المدينة، وسمع من مالك[1]. ثم رحل بعده بكر بن حماد التاهرتي[2] إلى القيروان، فسمع من الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي.[3] ثم قام بعد ذلك بعدة رحلات إلى مدن المغرب والمشرق، من بينها رحلته إلى البصرة سنة 217هـ- 833م[4]، التي أخذ فيها عن مسدد الأسدي[5] مسنده، وتفقه عن عمر بن مرزوق وابن الأرابي والرياشي وأبو حاتم السجستاني وغيرهم، وكذلك الفقيه أبو حاتم يحي بن خالد السهمي الذي رحل إلى مصر في القرن الثالث وتفقه عن عثمان بن صالح[6]، واقتصر الباقون على التنقل إلى مدن المغرب ومدن الأندلس[7]. فساهموا مع غيرهم في نشر مذهب الإمام مالك في المغرب الأوسط. لكن أكثر الرحلات في هذه الفترة كانت نحو القيروان، وازدادت الرّحلات نحو المشرق في القرن الرابع والخامس الهجريين(العاشر والحادي عشر الميلاديين) .[8]

كما يعود انتشار مذهب الإمام مالك إلى نزاهته وإخلاصه فأحبه النّاس والتفوا حوله، وكسب جموعا غفيرة رغم تواضعه، وعدم سعيه لذلك.

---

(1) أبو العرب، المصدر السابق، ص154؛ المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت) ، ج1، ص248.

(2) المالكي، نفس المصدر ،(ط. بيروت)، ج2، ص21؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص281.

(3) قال عنها الإدريسي:" أم الأمصار وقاعدة الأقطار وكانت أعظم مدن الغرب قطرا وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وأتقنها بناءً..." فتح عقبة بن نافع افريقية فقال:" إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه للإسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر" ففي سنة 50هـ 670 شرع عقبة بن نافع في عملية بناء مدينة القيروان التي شاور أصحابه فيها، فاتفقوا معه ، وعلى أن يكون أهلها من المرابطين، فقالوا له:" نقرب من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط" فقال لهم عقبة:"إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها! ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها صاحب البحر، إلا وقد علم به، وإذا كان بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون"، ولها فضائل كثيرة تميزت به عن سائر المغرب أنّ بها قبر زمعة البلوي، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال الرسول عله الصلاة والسلام :" أيما رجل من أصحابي مات ببلدة، فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة"رواها البخاري في صحيحه، وذكر الدباغ في جزئه الثاني فضائل كثيرة من ص4 إلى صفحة27؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص146؛ الزهري، المصدر السابق، ص109؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص19).

(4) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص281

(5) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص184-185؛ الضبي، المصدر السابق، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب،2008م، ص448.

(6) أبو العرب، المصدر السابق، ص161.

(7) نفس المصدر، ص115-116، 161؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص281؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص401.

(8) نفس المصدر، ص115-116؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص401.

1- الرحلة إلى الحجاز

سمى مالك مؤلفه الموطأ لأنّه عرضه على سبعين فقيها كلهم وطأه عليه[1]. فكان أوّل من استعمل هذا الاسم ودرّسه للفقهاء واعتمدوا عليه لأهميته. فقد ذكر القاضي عياض أنّه:" ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ، وقال ابن وهب:" ما كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئا"، وقال الشافعي:" ما في الأرض كتاب العلم أكثر صوابا من كتاب مالك"، وأضاف :"ما على الأرض كتاب أصَح من كتاب مالك"، وجاء في رواية أخرى إنّ "ما كتب الناس بعد القرآن الكريم شيئا هو أنفع من موطأ مالك... [2] ". وكان أوّل ما وضع مالك في موطأه عشرة ألاف حديث. وكان كلما نظر فيه أسقط منه أحاديث، فمات ولم يبق منها أكثرمن ألف حديث [3]، وجمع فيه من السنة، ومن فتاوي الصحابة والتابعين وتابعيهم، فهو كتاب حديث وفقه، والروايات التي جاءت في المصادر عن مالك وموطئه متعددة[4]. و لمكانة مالك العلمية كُتب عنه وعن موطأه هذه الأبيات الشعرية التي ذكرها القاضي عياض، وبابا التنبكتي:[5]

أقــول لمــن يروي الحديــث ويكتــب	ويسلك سبيــل الفقه فيــه ويطلــب
إذا أحببت أن تدعى لدى الخلق عالمًــا	فلا تعدُ ما تحوي من العلــم يثــرب
أتتــرك دارًا كــان بيــن بيــوتــهــا	يروح ويغــدو جبرئيــل المغــرب
ومــات رســول الله فيــهــا وبعــده	بسنّــتــه أصحــابــه قــد تأدّبــوا
وفرق شمــل العلــم فــي تآليفهــــم	وكل امرئ منهــم لــه فيه مذهــب
فخلصــه بالسبــك للنّاس مــالـــك	ومنه صحيــح فــي المحبس وأجدب
فأبــرى بتــصــحيــح الروايــة داءه	وتصحيحهــا فيــه دواء مجـــرب
ولو لم يلح نور الموطــأ لمــن يــرى	بليــل عمــاه ما درى أيــن يذهــب

---

[1] قال ابن فهر:" لم يسبق مالكا أحد إلى هذه التسمية فإنّ ممن ألف في زمانه، بعضهم سمي بالجامع وبعضهم بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، ولفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح" (أنظر:السيوطي، تنويرالحوالك، ج1، ص7).

[2] المصدر السابق،ج 1، ص191.

[3] وهذا ما جعل الرّوايات تختلف وسببه: أنّ الروّاة لم يأخذوا عن مالك في فترة واحدة، بل في فترات متباعدة (أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص193؛ الإمام مالك(رواية علي بن زياد)، تقديم وتحقيق، الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، 1399هـ/1978م ص61- 62؛ ميكلوش موراني: دراسات في مصادر الفقه المالكي، ترجمه عن اللغة الألمانية مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م، ص53 وما بعدها).

[4] ابن سعد، المصدر السابق،ج5، ص466 وما بعدها؛ الإمام مالك، نفس المصدر، ص57 وما بعدها من عدة صفحات.

[5] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص196 وما بعدها؛ بابا التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا أحمد الصنهاجي السوداني، ت963هـ- 1555م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وهو على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ص26؛ التواتي ابن التواتي: الإمام مالك رائد مدرسة المدينة: أعمال الملتقى الثالث للمذهب المالكي، 17-18 أفريل 2007، دار الثقافة، عين الدفلى، الجزائر، ص53 وما بعدها من عدة صفحات.

وذكر القاضي عياض أنّ للإمام مالك بن أنس تآليف غير الموطأ، إنّما رواها عنه من كتب بها إليه أو سأله إياها أحد من أصحابه، ولم يروها الكافة.[1] ورُواة الموطأ عن مالك من الأجلة، والأئمة المشاهير، والثقات. ذكر القاضي عياض في كتابه، منهم ثمانية وستون راويا ممن رووا عنه مباشرة من المشرق، ومن المغرب، والذي يهمنا هنا أشهر رواة بلاد المغرب[2]، ومنهم أسد بن الفرات، ويحي بن يحي الليثي الأندلسي[3]، وشبطون ابن عبد الله الأندلسي، والغازي بن قيس، وقرعوس بن العباس الأندلسي، وسعيد بن عبدوس، وعلي بن زياد التونسي. وذكر القاضي عياض:" أنّ هؤلاء ممّن ذكرهم بلغه نص سماعه له (الموطأ) منه، وأخذه له عنه، أو من اتصل إسناده له فيه عنه"، وتوجد روايتان متداولتان ومشهورتان للموطأ: إحداهما رواية محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة[4]، والثانية رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي.

وقد استغرق مالك في تدوين الموطأ حوالي أربعين عاما[5]. وعُرِض الموطأ على مالك في أربعين يومًا فقال:" كنت ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما قلّ ما تتفهمون فيه"، وتم ذلك في سنة 159هــ- 776م .[6]

ولم تنقطع الرحلة العلمية إلى الحجاز، بموت الإمام مالك، بل استمرت. ومن أشهر الطلبة الذين لم يروه واقتصروا على الأخذ عن تلاميذه: موسى بن معاوية الصمادحي (ت.225هــ-840م)، وعون بن يوسف الخزاعي (ت.239هــ-854م)، وعبد السلام

---

(1) القاضي عياض ، المصدر السابق، ج1، ص204.

(2) نفس المصدر ،ج1، ص202-203؛ بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص29 -30؛ السيوطي، تنوير الحوالك، ج1، ص8؛ الإمام مالك،الموطأ رواية علي بن زياد، ص62-63.

(3) يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس بن شملل بن صيغا، يكنى أبا محمد، ذكر ابن الفرضي أنّ أباه من البربر من مصمودة ينتمي إلى بني ليث، دخل إلى الأندلس مع جيش طارق بن زياد، تفقه في البداية على زياد بن عبد الرحمن ، حتى برع وبعد مدة قال له:" إنّ الرّجال الذين حملنا العلم عنهم يدفنون، وعجز بك أن تروي عمن دونهم"، فرحل إلى مالك سنة 179هـ - 805م وهي السنة التي توفي فيها الإمام مالك، سمع منه الموطأ إلا باب الاعتكاف شك فيها وبقي يرويها عن زياد، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر من ابن القاسم فتفقه عنه وبالمدينة من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب...، ثم عاد إلى الأندلس فعادت الفتيا بعد عيسى بن مسكين إلى رأيه وقوله، قال أبو عبد الملك بن عبد البر:" به وبعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك"، وهو صاحب الرّواية المشهورة عن موطأ الإمام مالك، توفي سنة 234هـ - 849م (أنظر: القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص535 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت403هـ-1013م): تاريخ علماء الأندلس منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص557-558).

(4) أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني مولى بني شيبان من أصحاب أبي حنيفة، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، خرج إلى المدينة فقرأ الموطأ على مالك بن أنس ثم رجع إلى نفسه فطبق مذهب أصحابه على الموطأ مسألة مسألة، وإذا رأى محمد بن الحسن أن ما في الموطأ يخالف رأي أبي حنيفة أخذ به تاركا لمذهب إمامه، له كتب كثيرة، مات بالري 187هـ- 803م (أنظر: الإمام مالك،الموطأ رواية علي بن زياد ، ص54).

(5) القاضي عياض، المصدر السابق،ج 1، ص 195؛ السيوطي، تنوير أحوالك، ج1، ص6.

(6) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط26، 1419هـ/ 1998م، ص289.

سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني (ت.240هـ-855م)، وعبد الملك بن حبيب (ت.238هـ-853م)، صاحب الواضحة[1]، ومحمد العتبي (ت.255-869م)، صاحب العتبية أو الواضحة[2]، وهؤلاء جميعا كان لهم دور هام في نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب.

2 - **الرحلة إلى مصر**

تبدأ هذه المرحلة بأسد بن الفرات الذي سمع موطأ مالك عن علي بن زياد التونسي[3]. ثم رحل إلى المشرق سنة 172هـ- 782م، فسمع من الإمام مالك مباشرة، ولحبه للعلم كان دائما يطلب من الإمام مالك المزيد، وفي إحدى المجالس سأل مالك في مسألة فأجابه، ثم قال له:" فإن كان كذا، كان كذا" فقال له مالك :" إن أردت هذا فعليك بالعراق"، فرحل أسد إلى الكوفة ولزم محمد بن الحسن الشيباني حتى أصبح من أصحابه المناظرين ، فقد كان يسمع منه بالنهار مع العراقيين ويبيت عنده ليسمع منه وحده.

قال أسد بن الفرات :" إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه"، وقال أبو إسحاق الشيرازي:" لما قدم أسد مصر أتى إلى ابن وهب (ت.197هـ-812م) وقال هذه كتب أبي حنيفة وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك، فرفض ابن وهب، وذهب إلى ابن القاسم (ت.191هـ-806م) [4] فأجاب طلبه ، بما حفظ عن مالك بقوله:" وفيما شك قال أخال وأحسب وأظن به، ومنها ما قال فيه، سمعته يقول في مسألة كذا وكذا، ومسألته مثله ومنه ما قال باجتهاده على أصل قول مالك"، ولما أراد أسد العودة إلى افريقية، دفع إليه ابن قاسم سماعه من مالك، وقال له:" ربما أجبتك وأنا على شغل، ولكن انظر في هذا الكتاب فما خالفه مما أجبتك فيه فأسقطه"، وخاطب أسد بن الفرات النّاس في المسجد بقوله عن ابن القاسم:" معاشر النّاس، إن كان مات مالك، فهذا مالك"، وكان أسد يسأل ابن القاسم كل يوم وهو يجيب حتى انقطع عن السؤال

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص35 وما بعدها؛ الهنتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م، ص195.

[2] نفس المصدر ، ج2، ص145؛ الهنتاتي، نفس المرجع ، ص196-197.

[3] نفس المصدر، ج2، ص82.

[4] عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جناده العتقي المصري، كان زاهدا عالما، تفقه عن الإمام مالك بن أنس ونظرائه، له روايات عنه والليث وعبد العزيز بن الماجشون، استمرت صحبته لمالك عشرون سنة، وكان مولده سنة 132هـ- 750م، وتوفي بمصر سنة 191هـ- 807م (أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص150).

فقال له:" زد يا مغربي وقل من أين قلت حتى أبين لك، حتى دوّن ستين كتابًا وسميت بالأسدية[1] على اسمه.

ولما سأل المغاربة أسد بن الفرات عنها قالوا له:"...أجئتنا بأخال وأظن وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف"فردّ عليهم بأنّ قول السلف هو رأيهم ويعتبر أثرا لبعدهم ثم قال:" لقد كنت أسأل ابن القاسم فيجيبني فيها ، فأقول له: هو قول مالك؟ فيقول: كذا أخال وأرى وكان وربما".[2]

ومنع أسد بن الفرات سحنون من الأسدية فتلطف حتى وصلت إليه، ثم رحل بها إلى مصر، فعرضها على ابن القاسم [3] ، وقال له بأن هناك شيئا لا بد من تفسيره، فهذب ابن القاسم مع سحنون الأسدية، وأسقط منها ما كان فيه شك من قول مالك، واستدرك منها أشياء فاتته[4]، وأجابه برأيه، ثم كتب إلى أسد بن الفرات أن يَعرض كتبه على كتب سحنون، فلم يفعل، فبلغ ذلك ابن القاسم فقال:" اللهم لا تبارك في الأسدية فهي مرفوضة..."[5].

وبعد أن عُدّلت أشياء في الأسدية التي سمعها أسد من أبي القاسم، فَرَفض أسد لأن سحنون كان تلميذه، وسمعها قبله [6] من أبي القاسم، وقد يكون السبب الذي جعل سحنون يرحل إلى ابن القاسم ويهذب معه بعض المسائل في الأسدية، أنهّ ظن في بعضها، أو سمعها من علي بن زياد بشكل آخر.

ولما عاد سحنون إلى افريقية بكتابه(المدونة) هذبه ونسقه تنسيقا جديدا وبوبه وألحق فيه المسائل المختلف فيها بين كبار أصحاب مالك، إلا فصولا بقيت على أصل اختلاطها في السماع، وهي التي بوبها الفقيه أيوب سليمان بن عبد الله المعروف بالمشتري[7]، وسمى كتابه بالمدونة.[8]

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق،ج2، ص 496-470 وما بعدها؛ مناع القطان، المرجع السابق، ص290.

[2] القاضي عياض، نفس المصدر ،ج2، ص471.

[3] نفسه.

[4] الشيرازي، المصدر السابق، ص156؛ الجيدي: (المذهب المالكي)، مجلة دعوة الحق، العدد226، الرباط، ديسمبر 1982م، ص45.

[5] نفسه ؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص17.

[6] القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص471.

[7] الجيدي،المذهب المالكي، ص45.

[8] لقد ذكر الجيدي أنّ المدونة أحرقت مرتين ففي المرة الأولى على يد عباس الفارسي، الذي كان محدثا يبغض أهل الفقه والرأي، والثاني في المغرب على يد الموحدين (أنظر : نفس المرجع، ص48)

ونشر سحنون المدونة في إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب، وهي إنجاز هام في المذهب المالكي في إفريقية بعد موطأ الإمام مالك. فهي تدعم المدرسة المالكية فيها فانتشر ذكرها في الآفاق، وأصبح النّاس يعملون بها وتركوا الأسدية[1]، وأصبحت هي أصل المذهب المالكي بعد الموطأ. وقد طرحت بعض الدراسات الإشكالية التالية:

لمن يمكن أن تنسب هذه المدونة هل لابن القاسم أم لسحنون أم لأسد بن الفرات؟

لقد طرح محرز بن خلف (ت.413هـ-1022م) هذه الإشكالية على نفسه ولم يجد لها جوابا حتى لقي مالكا(في منامه) وسأله عنها فرد عليه فقال له:" من كلامي"[2]، وذهبت المصادر[3]، والدّراسات الحديثة إلى أنّها لسحنون بن سعيد التنوخي، من أمثال ميكلوش موراني ويوسف شاخت وبرنشفيك وغيرهم حسب قراءتهم للمصادر [4] .

وهي - إن صح التعبير- ليست عملا أحاديا وإنّما ثمرة جهد مجموعة من الفقهاء، وذهب البعض إلى أنها ثمرة مجهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتبويبه وبعض إضافاته، ذلك أنّها أساسا سماعات ابن القاسم عن مالك...[5]، ورأى آخرون أنّها أثر أربعة رّجال على التعاقب:

علي بن زياد التونسي[6] المدون الأوّل، وأسد بن الفرات، المدوّن للأسدية، التي عرضها سحنون على ابن القاسم، وابن القاسم الذي صَحّحت على يديه الأسدية، وسحنون الذي

---

(1) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص17.

(2) أبو طاهر الفارسي: مناقب محرز بن خلف، ترجمة وتحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر ، 1980م، ص120، الهنتاتي، المرجع السابق، ص206.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص471؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص17.

(4) ميكلوش موراني: مصادر جديدة حول رواية كتب المدونة لسحنون بالقيروان: محاضرات ملتقى الإمام سحنون، ص134 وما بعدها من عدة صفحات؛ لنفس المؤرخ: دراسات في مصادر الفقه المالكي، ص53 وما بعدها؛ وأنظر أيضا: R. Brunschvig : و ؛E.I, art « Malikiyya », par.G.H Bousquet: La Mudawwana, T.VI, p263 Logique et droit dans l`islam, dans L`Etudes d`islamologie, éditions G. P. Maisonneuve et J. Schacht : sur la transmission de la doctrine, dans les و أيضا: larouse, Paris,1976, T2. P349. écoles juridiques de l`Islame, dans Les annales de la faculté des lettres de l`université d`Alger, 1952,T. X, p 408-413.

(5) الجيدي، المذهب المالكي، ص45.

(6) له كتاب خير من زينته، قال سحنون:" ...أصله لابن الأشرس إلاّ أنا سمعناه من ابن زياد وكان يقرأه على المعنى وكان أعرف من ابن الأشرس..."(أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص152؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص326؛ الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص77؛ الجيدي،المذهب المالكي، ص44؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص198).

كتب خلاصة ما سمع من ابن القاسم مع ما سمع من غيره[1]، من أصحاب مالك بافريقية ومصر.[2]

الإمام مالك والمغاربة

حدّث أبو هريرة - رضي الله عنه -عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قال:" يُوشك النّاس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم أهل المدينة"[3]، قال سفيان ابن عيينة :" كنّا نسمع أهل المدينة يقولون إنّه مالك بن أنس"[4].

ولم يجلس مالكا للدرس إلا بعد أن شهد له شيوخه بأنّه أهل لذلك، فهو يقول:" ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل والجهة من المسجد، فإن رأوه أهلا لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم، إني موضع لذلك.[5]

وبعد أن جمع مالك العلم الوفير في الأثر والنظر، انتقل إلى التدريس في المسجد النبوي. فكانت له حلقات ، يحضرها طلبة علم من كل النواحي، وقد فاقت حلقة شيوخه. وكان طلبة المغرب يحضرون حلقاته إمّا للاستزادة من علمه، أو لطرح مسائل لم يجدوا فيها حكما شرعيا، مثل خالد بن أبي عمران، الذي أخذ عنه علي بن زياد التونسي.

تميز الطلبة المغاربة بكثرة رحلاتهم إلى المشرق، فدونوا كل ما سمعوه عن مالك من حديث وفتوى، حتى بلغ بهم الأمر تقليد الإمام في ملبسه. ولما أحس مالك بهذا الاهتمام والحرص الشديد من طلبة المغرب أقبل عليهم وأوسع لهم في مجالسه.

وكان مالكا مهتما بالمغرب، لذلك خصص لطلبته، مقعدًا يجلسهم بجانبه، وقد ذكر ابن أبي عمران أنّه كان يسأل ابن غانم عن أهل المغرب ويطيل الحديث، فإذا شاهد

---

[1] سمع من أشهب بن عبد العزيز القيسي العامري المصري ت 204هـ/ 820م)، ابن وهب عبد الله بن مسلم الفهري المصري (ت 197هـ/813م)، وابن مهدي عبد الرحمن العنبري (ت198هـ/814م) (أنظر: الطاهر بن عاشور، المرجع السابق ، ص77؛ الجيدي، محاضرات، ص177؛ أبو الأجفان، المدرسة المالكية، ص232 وما بعدها).

[2] ابن عاشور، المرجع السابق، ص77.

[3] حديث ابن عيينة وهو حديث حسن، رواه أبو هريرة في كتاب العلم عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم--، باب ما جاء في عالم المدينة، رقم الحديث2680 (أنظر:الترميذي(محمد بن عيسى بن سورة، ت279هـ-892م): السنن، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ/1997م، ص604) .

[4] القزويني(الخليل بن عبد الله بن خليل الخليلي، ت446هـ- 1055م): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ضبطه الشيخ عامر أحمد خيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ/1993م، ص25.

[5] يقال إنّ مالكا بدأ التدريس وهو في سن السابعة عشر، وهو في نظر البعض لا يعقل (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص125-126؛ الجيدي، المحاضرات، ص13).

أصحاب مالك ذلك يقولون:" شغله المغرب عنّا"[1]، وكان إذا أتته أخبار عن المغرب مفرحة يسر بها، فهذا عبد الله بن غانم لما تولى قضاء القيروان سر به، وكان قد حضي بمكانة هامة عنده حتى عرض عليه الزواج من ابنته والإقامة عنده فامتنع ابن غانم بسبب هذا الشرط[2].

بلغ طلبة المغرب في العلم ما لم يبلغه أحد، فلما توفي الليث بن سعد وقدم عبد الله بن فروخ مصر، فرح أهلها به ورجوا، أن يكون خلفا له[3]. فكانوا يعظمونه ويعتقدون إمامته، وهذا بفضل الإمام مالك، وما كان يقدمه لطلبة المغرب من إكرام وتعظيم، وقد خصص مالك موضعا لعبد الله في مجلسه ليقعد فيه ولم يكن مالك يستدعي أحدا للقعود فيه[4].

ولما قدم عبد الله إلى مالك أقعده إلى جانبه، وبدأ يسأله عن قدومه وأحواله فقال له مالك:" صدقت لو تقدم قدومك لعلمت به ولأتيتك"، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضرًا إلا قال:" أجب يا أبا محمد" فيجيب ثم يقول مالك :" هذا كما قال"، ووصفه بأنّه " فقيه المغرب"، وفي نص آخر وردت على مالك مسألة في الجنايات وكان صاحبها من أهل المغرب، فخول ابن فروخ للإجابة عنها لأنّه من أهلها، لكن هذا الأخير تردد احتراما لمالك قائلا:" بحضرتك" فرد عليه مالك:" نعم".[5]

وكانت ترِد على الإمام مالك مسائل من المغرب فلا يجيب عنها حتى يعرف ما قال فيها فقهاؤها، فقد أتى أبو عثمان المعافري بمسائل إلى مالك "من ابن غانم، فقال لي ما قال فيها المصفر يعني البهلول بن راشد، وما قال فيها الفارسي، يعني ابن فروخ" [6]. ورُوي عنه أنّه لمّا أمره الخليفة المهدي(158-169هـ /774-758م) أن يضع كتابا ليحمل الأمة[7] عليه قال:"...أمّا هذا الصقع وأشار بيده إلى المغرب فقد كفيته..."[8].

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق ، ج1، ص317.
(2) نفسه
(3) نفس المصدر ، ج1، ص341.
(4) نفسه.
(5) نفسه.
(6) نفس المصدر ، ج1، ص342.
(7) كما جاءت روايات مختلفة عن المنصور في المدارك عن كتابة الموطأ و نسخ نسخا ترسل إلى كل الأمصار، من بينها أنّ أبا جعفر المنصور كلف مالك بأن يضع كتابا يحملهم عليه، فوضع مالك موطأه ولم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر المنصور، وغيرها من الرّوايات، (القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص192؛ ابن سعد ، المصدر السابق، ج5، ص468؛ بابا تنبكتي، المصدر السابق، ص130).
(8) القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص193.؛ الزواوي، مناقب سيدنا الإمام مالك، ج1، ص26.

ونظم فيه الفقيه أبو الفضل بن النحوي(ت.512هـ-1119م) وهو من المغرب الأوسط هذه الأبيات:

إنّ الإمـــــام الأصبــحـــــي من النجـــوم البـــاهـــرات

حفـظ اللـــه بـــه الحديـــث وعـــده فــــي الحافظـــات

وتصــــــرفـــــــت آراؤه فـــي المبـــدآت المبدعـــات

ومشى علـــى الهـــدى الـــذي يمشـــي عليـــه أخـــو الثبـــات

أهـــل المدينـــة يهتـــدي بهـــم وهـــم أعلـــــى الـــــرواة[1]

وهكذا فإنه بفضل الإمام مالك وطلبته بلغت إفريقية بل المغرب كله ذروة التقدم في الحركة العلمية ، فتلاميذ مالك من أهل المغرب يتولون القضاء والفتيا، ونُصْحَ أمراء افريقية حتى قيام دولة العبيديين. وأحكامهم كانت تجرى على الكبير والصغير، حتى قيل:" إنّ مالكا كان يحكم إفريقية في هذه الفترة عن طريق موطئه وتلاميذه"[2].

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص252.

(2) المالكي، المصدر السابق،(ط. القاهرة) ، ص12.

ثالثا- أسباب انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب

انتشر المذهب المالكي ببلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة. وكان الإمام مالك بن أنس على قيد الحياة، وقد تضافرت عدة أسباب أدت إلى انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب منها:

أ - السلطة

ساعدت الفتوحات الإسلامية التي دامت أكثر من نصف قرن، في ترسيخ المذهب المالكي، فالمغرب كان مقصدا للصحابة[1]، والتابعين من بعدهم -رضوان الله عليهم-[2] ، إمّا للمشاركة في الفتوحات أو للاستقرار، فحرصوا على إدخال القرآن إلى المنطقة تلاوة وحفظا وتدبرا، وعلّموا البربر اللغة العربية، إلى أن أَرسل عمر بن عبد العزيز (99هـ-717م) البعثة العلمية إلى أهل المغرب، لتثقيفهم وتعليمهم أسس الدين الإسلامي واللغة العربية[3]. فانتشر على يدهم المذهب في المغرب، والذي أدى إلى ظهور الطبقة الأولى من مشايخ القيروان الذين تتلمذوا على هؤلاء.

ب - موقف الفقهاء المالكية من الأغالبة

عارض الفقهاء المالكية سياسة أمراء الدولة الأغلبية عكس الفقهاء الحنفية الذين وقفوا إلى جانبهم[4]، بل تساهلوا معهم في بعض المسائل كتحليلهم للنبيذ[5]، والقول بخلق القرآن[6]. وكان الأمراء الأغالبة قد أثقلوا كاهل الرّعية بالجبايات مثل الولاة من قبلهم، وأسرفوا في أخذ المغارم[7]. فهذه الأسباب جعلت العامة، والبقية من أهل القيروان ينفرون منهم، فاختاروا مذهب مالك بدلا من مذهب أبي حنيفة الذي وجدوا فيه راحتهم، فلجأ

---

(1) المالكي، المصدر السابق، (ط. بيروت)،ج1، ص60 وما بعدها من عدة صفحات.

(2) الدباغ، معالم الإيمان تحقيق، إبراهيم شبوح ، ج1، ص71.

(3) هؤلاء التابعين العشرة هم: أبو عبد الرحمن الحبلي، سعد بن مسعود التجيبي، إسماعيل بن عبيد الأنصاري، عبد الرحمن ابن رافع التنوخي، موهب بن حي المعافري، حبّان بن أبي جبلة القرشي، بكر بن سوادة الجذامي، أبو سعيد جعثل بن هاعان، إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، طلق بن جابان المالكي، وهم من الطبقة الأولى من علماء إفريقية (أنظر المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج1، ص99 وما بعدها من عدة صفحات؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص180 وما بعدها من عدة صفحات).

(4) القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص609؛علي الشابي نعيم حسن اليافي، مقدمة كتاب الطبقات، ص16؛ الجيدي (محاربة المذهب المالكي) ، ص70.

(5) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص93.

(6) نفس المصدر، ج2، ص93 و ما بعدها.

(7) عكس ما ذهبت إليه دائرة المعارف الإسلامية التي نفت ذلك فالروايات التاريخية جاءت متضاربة (أنظر: G. Demombynes، دائرة المعارف الإسلامية" مادة بنو الأغلب"، أصدرها باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية، واعتمد في ترجمتها إلى اللغة العربية على الأصلين الإنجليزي والفرنسي، مجموعة من الأساتذة 1933م، ج2، ص328.

الأمراء الأغالبة إلى تنصيب قضاة من المالكية، فاستجاب الحكام خوفا من أن تنقلب ضدهم العامة، وفي هذا السيّاق تمّ تعيين الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، والقاضي عيسى بن مسكين[1].

ج - تأثر سكان المغرب بالمذهب المالكي

ذهب ابن حزم إلى أنّ:" إن المذهبين انتشارا " في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: كمذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي أبو يوسف القضاء كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولي إلاّ أصحابه والمنتسبين لمذهبه...".[2]

فإن صح قول ابن حزم هذا فإنّه ينطبق على المذهب الحنفي بالمشرق، والمذهب المالكي بالأندلس، أمّا باقي بلاد المغرب (إفريقية، والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى) فالسلطة لم تكن السبب في نشر المذهبين الحنفي و المالكي بها، ففي زمن العباسيين كان الأغالبة نوابهم إلا أنهم لم يستطيعوا فرض المذهب الحنفي على أهل إفريقية، أمّا في عهد الفاطميين فكان الأحناف والشيعة يبغضون المالكية، ويتفقون فيما بينهم في مسألة التفضيل، وفي المغرب الأوسط انتشر المذهب الإباضي، وساد التسامح والتعايش السلمي بين كل المذاهب، أمّا في المغرب الأقصى ورغم اختلاف المؤرخين في مذهبية إدريس الأوّل إلاّ أنه وجد اتفاق بينه وبين حملة المذهب المالكي، وفي عهد إدريس الثاني كان المذهب السائد هو المذهب المالكي.

1 - كان مذهب مالك بن انس يَعتمد على الحديث، فقد قال الزهري:" رأيت مالكا وقوما يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال إنّما أنتم حرب"،[3] وكان مالكا يقول:" أنّ الرجل يخبر بالسنة، فإن قبل منه وإلا سكت"، وقال عنه أبو طالب:" مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين وأشدهم بغضا للعراقيين وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"[4]، بينما مذهب أبي حنيفة يعتمد على الرأي، فيقدم القياس والاعتبار على السنن والآثار، ما جعل المذهب المالكي يَلقَى قبولا لدى أهل المغرب، الذين أخذوا بمدرسة الحديث المالكية

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص215.

(2) ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، ج2، ص18 ؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص10؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص195.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص170.

(4) نفسه.

الحجازية، فالمدينة المنورة كانت طريق رحلتهم في طلب العلم، وأداء فريضة الحج[1]، بينما العراق لم يكن في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة[2].

2 - إنّ الفقهاء الأوائل الذين سافروا وأخذوا العلم عن مالك، كانت لهم روايات عنه، ما أدّى إلى حب أهل المغرب لِهذا العالم الفقيه والمحدث، وشيوخه من قبلهم وتلاميذه من بعده، فقد أصبحوا يقلدون مالك في أفكاره وسلوكه، بل قلدوه حتى في لباسه ومشربه وجلوسه...[3]

3 - شخصية صاحب المذهب، عُرف عن صاحب المذهب تمسكه بمصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين الجمهور(القرآن، السنة، الإجماع، القياس)، ومحاربته للبدع[4] وإتباعه لأثر الصحابة والتابعين من بعدهم، واستقراره بالمدينة المنورة كل هذا جعل مذهبه أولى للإتباع والاقتداء، وكان يقول حين يُسأل عن شيء:" إن أردت العلم فأقم"- يعني بالمدينة- [5]، وممّا زاد تمسك أهل المغرب به هو اقتصاده قدر الإمكان في القياس، وإن تعذر عليه الوصول إلى الحكم أو الإفتاء فإنه يَعْتذر، ويكتفي بالقول لا أدري[6]. ذكر القاضي عياض أنّه وردت إليه مسألة من المغرب فقال:" لا أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم بها..."[7]، فمالك لم يتسرع في الإفتاء بالحكم، ورجع إليه السائل في الغد فلم يجد جوابا عند مالك، وقال له:" إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن"[8]. وقال عنه الونشريسي:" وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه... ما سمعنا أنّ أحدًا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من البدع فالاستمساك به نجاة"[9].

---

[1] أبو الأجفان، رحلات الأندلسيين إلى الحرمين، ص387 وما بعدها.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص568.

[3] نفس المصدر، ج1، ص 568.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص170 وما بعدها من عدة صفحات.

[5] نفس المصدر، ج 1، ص 62 .

[6] المالكي، المصدر السابق، (ط. القاهرة) ص11.

[7] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص146.

[8] نفسه.

[9] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، ت.914هـ-1509م، أخرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ-1981م، ج12، ص 26.

4 - ملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة فمذهبه عملي أكثر منه نظري، يتماشى مع فطرة أهل المغرب التي تتميز بالبساطة والوضوح، ويعتمد الواقع ويأخذ بأعراف الناس وعادتهم[1] .

5 - وزاد من إعجاب الناس بالمذهب المالكي، القدوة الحسنة لعلمائه من أمثال البهلول ابن راشد وابن فروخ وسحنون بن سعيد التنوخي، الذين كانوا يقضون بالمذهب المالكي دون غيره[2] ، ويطبقون الأحكام على كافة الناس كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، بما في ذلك الأمراء الأغالبة[3].

6 - كان الإمام مالك أكبر الفقهاء سناً، وأكثرهم صبرا، ذو أخلاق عالية، والنَّفَسُ الطويل في العلم، فظل يُدرِّس الفقه، ويحدِّث رِوَايته (الموطأ)، هذا التأخر في وفاته ساعد التلاميذ من الاستفادة منه، والأخذ بروايته من منبعها، ما جعل مذهبه يستقر أكثر في أقطار العالم الإسلامي.[4]

7 - ويرجع ابن خلدون انتشار المذهب إلى سببين أولهما: أنّ أهل بلاد المغرب والأندلس قلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقتهم[5]، فقد قلدوا غيره إلا في القليل، لأن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، ولأن المدينة في ذلك الوقت دار علم، الخروج منها إلى العراق لم يكن طريقهم فاقتصروا على مالك بن أنس.[6]

أما ثانيهما: بداوة أهل المغرب والأندلس مشابهة لأهل الحجاز ولم يعرفوا الحضارة التي لأهل العراق. وكانت وجهتم إلى المدينة المنورة حيث مهبط الوحي، ومقر الرسول - صلى الله عيه وسلم- والخلفاء الراشدين والصحابة الآخرين من بعدهم - رضوان الله عليهم-، وعملهم يعتبر من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جل الفقهاء، والتي يستنبط منها الأحكام الفقهية.

أمّا بلاد المغرب في تلك الفترة فكانت تعج بثورات الخوارج التي تكاد لا تنقطع، لوجود التمرد السياسي والفرق المبتدعة، والضلالات المنتشرة وهذا ما ربى في نفوس

---

[1] إن مذهب مالك يعتبر العرف والعادة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، (أنظر: وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص829-830).

[2] كان الإمام سحنون لا ينصب قاضيا إلى الجهات إلا إذا امتحنه في المذهب المالكي ووجده تاركا لمذهب أبي حنيفة في حكمه كما فعل مع سليمان بن عمران لما نصبه على باجة وبجاية(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 10-11، ج2، ص598؛ الجودي، المصدر الساق، ص33).

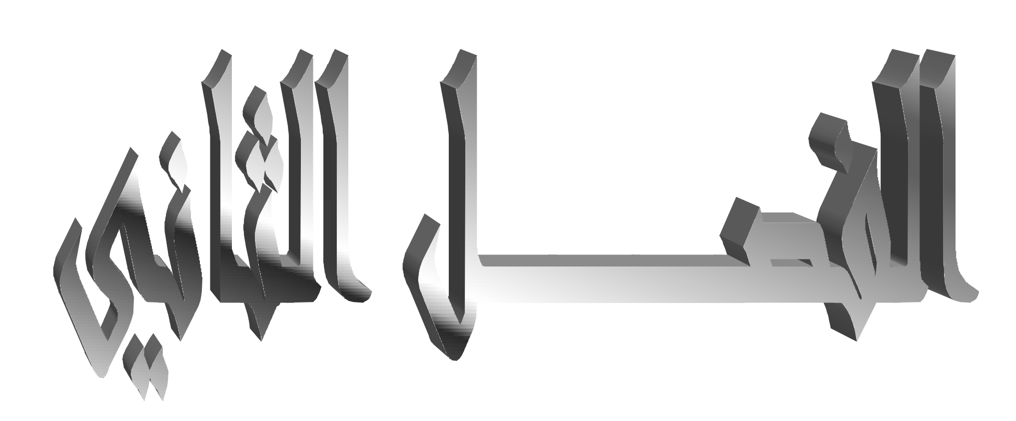
[3] الجيدي، محاربة المذهب المالكي، ص70.

[4] كمذهب أبي حنيفة (ت 150هـ-767م) في إفريقية الذي توفي ثلاث وعشرين سنة قبل وفاة مالك، ومذهب الأوزاعي (ت.157هـ/773م)- أي بعد عشرين سنة من وفاة سفيان الثوري، رغم هذا لم يعرفوا الاستقرار.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص568.

[6] نفسه.

الإفريقيين النفور من كل تخريج وتأويل، ما جعلهم يتمسكون بالنصوص الشرعية أشد التمسك.


الفصل الثاني

الفصـــــــــل الثانـــــي

انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري

أولا: انتشار المذهب المالكي في إفريقية (في عهد الأغالبة)

ثانيا: انتشار المذهب المالكي في الأندلس

ثالثا: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى

رابعا: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثالث الهجري

أولا : إنتشار المذهب المالكي في إفريقية (في عهد الأغالبة)

دخلت المذاهب الفقهية بلاد المغرب خلال القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، وكان المذهب الحنفي أوّل المذاهب انتشارا في المنطقة، فقد أخذ أهل هذه البلاد، في البداية بمذهب أهل العراق في الأصول[1] والفروع[2] والعقيدة[3]. لأنّه كان يومئذ مذهب الخلفاء بالمشرق، ومذهب الأغالبة[4] (184هـ-800م) في إفريقية والناس على قدم إمامهم.[5] فقد ذكر القاضي عياض أنّ مذهب أبي حنيفة :" ظهر بإفريقية ظهورا كثيرا إلى قرب أربعمائة سنة فانقطع منها، ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما...". [6].

كان أبو حنيفة مستقرا في العراق حيث الخلافة العباسية(132هـ-749م)، التي كانت لها علاقة مباشره مع الدولة الأغلبية، فجل المصادر والدراسات الحديثة[7] تذهب إلى القول بأن المذهب الحنفي هو السبّاق بالدخول إلى المغرب، وقد انتشر:" ... في كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه، وكان يخف سلطانه كلما خف سلطانها"[8].

ومع ذلك فإنّ فالمذهبين (الحنفي والمالكي) كانا يمارسان في نفس الفترة في إفريقية، فقد تعايش المذهبان في البداية[9]، حتى أنّ بعض الفقهاء كان يحمل المذهبين معا

---

[1] الأصول جمع أصل وهو عند الآمدي : أصل كل شيء، هو ما يستند تحقق ذلك الشيء إليه (أنظر: الآمدي: (سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي محمد): الإحكام في أصول الأحكام، ضبطه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص8) ؛ أما وهبة الزحيلي فقال: مفردها أصل، وهو في اللغة: ما يبنى عليه غيره سواء أكان هذا البناء حسيا أو معنويا؛ أما في الاصطلاح: فيطلق على أحد المعاني الخمسة: 1 - أصل بمعنى الدليل مثلا أصل الصلاة الوجوب؛ 2 - القاعدة الكلية: مثلا بني الإسلام على خمس؛ 3 - الرجحان: كقولهم الأصل في الكلام الحقيقة، أي الراجح عند السامع الحقيقة لا المجاز؛ 4 - الصورة المقيس عليها: مثل قولهم الخمر مقيس النبيذ، فالنبيذ فرع يقابله الأصل وهو الخمر؛ المستصحب: يقال لمن كان متيقنا من الطهارة وشك في الحدث، الأصل الطهارة أي يستصحب الطهارة حيث يثبت حدوث ينقضها، لأن اليقين لا يقطع بالشك(أنظر: وهبة الزحيلي أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1418هـ/1986م، أصول الفقه الإسلامي، ج1، ص17-16).

[2] هي الأحكام المستنبطة من الأصول المتفق عليها بين الفقهاء التي هي: القرأن، السنة، الإجماع، القياس(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص76 وما بعدها).

[3] نفس المصدر ، ج1، ص80.

[4] كان حكم الأغالبة في إفريقية تابع للخلافة العباسية في بغداد، فالخليفة هارون الرّشيد، هو الذي عيّن إبراهيم بن الأغلب على افريقية (184هـ/800م)، وجعل الحكم وراثيا في أبنائه من بعده (أنظر ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص 92).

[5] الناصري(أحمد بن خالد): الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى، منشورات وزارة الثقافة والاتصال ، أشرف على النشر محمد حجي، وإبراهيم بوطالب، وأحمد توفيق،2001 م، ج1، ص198.

[6] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص80؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 45.

[7] نفسه.

[8] أبو زهرة ، المرجع السابق، ص381.

[9] سعد غراب: العامل الديني والهوية التونسية، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس،1990م، ص42؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص40.

كابن غانم[1]، وابن فروخ[2] وأسد بن الفرات، الذي كان أفقه العراقيين بالقيروان كلها، وسمع منه الكثير من العلماء، وقد ذكر القاضي عياض أنّه:"... أعلم العراقيين بالقيروان كافة ومذهبه السنة لا يعرف غيرها"[3]، سمع منه علماؤها ووجوهها كسحنون وأمثاله من المدنيين"، فالمالكية والحنفية في إفريقية كانوا على ألفة حسب المقدسي الذي قال عن القيروان عند وصفه لها:"...هي فرضة المغربين ومتجر البحرين، لا ترى أكثر مدنها ولا أرفق من أهلها، ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية...". [4] وكان أسد بن الفرات إذا سرد أقوال العراقيين في مجالسه يقول له مشايخ المدنيين:" أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله فيسرد أقوال المدنيين" [5]، ومع ذلك فإن بعض المراجع ترى أنّ المذهب الحنفي والمالكي دخلا إفريقية في وقت واحد.[6]

ويرجع الفضل إلى علي بن زياد التونسي [7]، صاحب الرّواية المشهورة عن موطأ

---

[1] هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شراحبيل وكنيته أبو عبد الرحمن، من إفريقية ، كان ثبتا، ثقة، فقيها، عدلا في قضائه، دخل الحجاز والشام والعراق فسمع من مالك وعليه اعتماده، ومن سفيان الثوري ومن أبي يوسف ... وظهر فقهه في قضاء افريقية، ما جعل مالك يسر بولايته، و كان يوجه بمسائل إلى مالك أيام قضائه فيما ينزل من النوازل فيجيبه، توفي سنة (190 هـ-805م)(أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص42-43؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص316 وما بعدها).

[2] هو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، فقيه القيروان في وقته، ولد بالأندلس، ثم انتقل إلى القيروان فأوطنها، رحل إلى المشرق فلقي جماعة من العلماء والمحدثين كزكريا بن أبي زائدة وهشام بن حسان وعبد الملك بن جريح، والأعمش والثوري ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم فسمع منهم وتفقه عليهم. وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس وبصحبته اشتهر، وبه تفقه، لكنه كان أميل إلى النظر والاستدلال فربما مال إلى قول أهل العراق فيما تبين له الصواب. توفي سنة(175هـ/791م)(أنظر: أبو العرب، نفس المصدر، ص34 وما بعدها؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ص339 وما بعدها).

[3] اتهم أسد بن الفرات في زمانه بأنّه من اللذين يقولون بخلق القرآن وهو مذهب المعتزلة. إلا أنّ سحنون لما سأله بكر بن حماد في ذلك قال له:" والله ما قاله"، وفي رواية أخرى قال فيها ابن الفرات لما فسر قوله تعالى﴿... فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللهُ...﴾ سورة طه ، الآية 13-14، فقال:" ويح أهل البدع ...يزعمون أن الله خلق كلاما..."(أنظر: القاضي عياض، نفس المصدر ، ج2 ، ص474 .

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص186.

[5] القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص474-475؛ سعد غراب، المرجع السابق، ص44.

[6] قد خالفت دائرة المعارف الإسلامية ما جاء في المصادر التي اعتمدنا عليها، من أن المذهب الحنفي والمالكي دخلا إفريقية في وقت واحد(أنظر: G.Demombynes "مادة بنو الأغلب"، المرجع السابق، ج2 ، ص327.

[7] هو علي بن زياد التونسي العبسي، أصله من العجم، ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس، وقيل أنّه من عبس، فقيه ثقة، سمع في المشرق من الإمام مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد، وابن لهيصة وغيرهم، وفي إفريقية من خالد بن أبي عمران، وسمع منه بإفريقية البهلول بن راشد وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات، عُرض عليه القضاء على إفريقية فرفض، وهو أوّل من أدخل موطأ مالك إلى إفريقية سنة 150هـ- 767م. وقد وصلت إلينا قطعة من تحقيق محمد الشاذلي النيفر، (المصدر السابق، ص7)، وتعتبر أوّل رواية ظهرت (أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص 251؛ القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص326ما بعدها).

الإمام مالك ، وابن الأشرس[1] ، والبهلول بن راشد[2] وبعدهم أسد بن الفرات، وغيرهم في إدخال مذهب الإمام مالك بن أنس[3] إفريقية، فأخذه الكثير من النّاس حتى توسع في أوساطهم، وما يزال ينتشر إلى أن جاء سحنون بن سعيد التنوخي (ت.240هـ-854م) فغلب في أيامه[4].

وسمع علي بن زياد بافريقية قبل هؤلاء من خالد بن عمران الذي لم يكن بعصره بافريقية مثله[5]. وذكر عياض أنّ علي بن زياد هو:"... أوّل من أدخل المغرب جامع سفيان الثوري وموطأ مالك وفسّر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه"[6]، وكان ابن زياد قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلم سحنون، لا يوجد من هو أفقه منه في عصره [7]، فقد سمع من الإمام مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن لهيصة وغيرهم، وتفقه عنه البهلول بن راشد، وشجرة[8]، وأسد بن الفرات وغيرهم". [9]

وأدخل بعض الفقهاء من معاصري علي بن زياد فقه الإمام مالك إلى إفريقية كابن فروخ وابن غانم وغيرهم، لكن بعض المؤرخين المعاصرين ينسبون دخول المذهب

---

(1) أبو مسعود عبد الرحمن بن الأشرس من أهل تونس من الأنصار، ثقة درس عن الإمام مالك بن أنس وابن القاسم وقد نُسب إليه كتاب علي بن زياد التونسي " خير من زينته"(انظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص 253؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 26-27).

(2) أبو عمر البهلول بن راشد، أصله من القيروان، من الثقات والمجتهدين، مستجاب الدعوة، وسمع في إفريقية من عبد الرحمان بن زياد وموسى بن علي بن رباح، وسمع منه سحنون وعون بن يوسف، سمع في المشرق من الإمام مالك والليث وسفيان(أنظر: أبو العرب: نفس المصدر، ص52؛ المالكي(ط، بيروت) رياض النفوس تحقيق، بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، ج1، ص201؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ص330 وما بعدها).

(3) جاء في كتب الطبقات أن إفريقية قد غمرها المذهب المالكي قبل أن يسافر سحنون إلى المشرق، وقد بلغ عدد الفقهاء أكثر من ثلاثين فقيها كلهم لقي مالك بن أنس وسمعوا منه، إلاّ أن الفقه والفتيا كان في القليل منهم فقدم سحنون بالمذهب المالكي إلى إفريقية وانتشر بها،(أنظر: القاضي عياض، نفس المصدر، ج2، ص591؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص83).

(4) القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص54.

(5) خالد بن أبي عمران التجيبي التونسي، ونسبته إلى تجيب من جهة الولاء،فهو أوّل من ركز العلم بمدينة تونس، تلقى العلم من التابعين، سمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي كان أبوه عبد الله بن عمر من المكثرين لرواية الحديث. وكان خالد بن أبي عمران يأتي بمسائل من المغرب إلى شيوخه بالمشرق للإجابة عنها، (ت125هـ-743م) أو(127هـ-745م) (أنظر: أبو العرب،المصدر السابق، ص246؛ الإمام مالك، الموطأ رواية علي بن زياد، ص15).

(6) القاضي عياض، نفس المصدر،ج1، ص327 ؛ المالكي، المصدر السابق (ط. القاهرة)، ج1، ص158.

(7) نفس المصدر، ج1، ص328.

(8) يقال له أبو زيد، أبوه ممّن سمع وروى عن مالك والليث، أصله من الأندلس نزل بتونس، وتولى قضاء المدينة أيام سحنون وقبله، قال سحنون:" ما رأيت من قضاة البلدان إلا شجرة، وشرحبيل قاضي طرابلس، وأخذ عن شجرة جماعة من أصحاب سحنون وغيرهم، توفي سنة 232هـ/ 847م (أنظر: القاضي عياض، نفس المصدر، ج3، ص12-13).

(9) أبو العرب، المصدر السابق، ص251؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص326

المالكي إلى أسد بن الفرات[1]. في حين تؤكد المصادر على أنّ أسد بن الفرات أخذ العلم عن علي بن زياد بتونس قبل رحيله إلى المشرق للسّماع عن مالك [2]. وقد جاء في رياض النفوس أن أسد بن الفرات قال:" إنّه أول من تعلمت العلم عليه" ولم يكن سحنون يَقدم عليه أحدًا من أهل إفريقية[3]. وقال سحنون في شأن علي بن زياد التونسي:" ما فاته المصريون إلا بكثرة سماعهم وذلك أن علي بن زياد اختبرت سره وعلانيته والمصريون إنما اختبرت علانيتهم".[4]

ولما تولى الفقيه سحنون بن سعيد القضاء في إفريقية، فض حلق المخالفين في مسجد الجامع[5]، وكان بذلك أوّل قاض قام بتفريقهم، وأدّب جماعة منهم لمخالفتهم أمره[6]. فشاع المذهب المالكي، واستقر في إفريقية وغيرها من بلاد المغرب، في عهد سحنون، ومن جاء من بعده من الفقهاء، حتى أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي فترة دخول الفاطميين.

وقد ذكر ابن خلكان الذي عاش في القرن السادس الهجري أنّ:"...مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه- بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز بن باديس الصنهاجي (406هـ/455م) جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك- رضي الله عنه- وحسم مادة الخلاف في المذهب واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن"[7].

وذهب ألفرادبل إلى أنّ المذهب المالكي دخل إفريقية في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[8]، في حين أن بعض تواريخ وفيات الفقهاء الذين ساهموا في نشر المذهب

---

(1) الجنحاني الحبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص 155؛ السيد محمد أبو العزم داود: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ/1985م، ص 62.

(2) أبو العرب، المصدر السابق، ص82، القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص326.

(3) المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ص158؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص38.

(4) كان البهلول بن راشد يكاتب علي بن زياد في تونس ويستفتيه في أمور الدين، وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليخبرهم من على الصواب فيها(القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص328 ؛ المالكي، المصدر السابق، (ط. بيروت)، ص158؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص39).

(5) كان أوّل من شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حلقات للصفرية، والإباضية، وظاهرين لزيغهم، إذا كانوا أئمة على الناس في المساجد عزلهم ، أو معلمين لصبيانهم، أو مؤذنين (أنظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص102؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ج2، ص600).

(6) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص88.

(7) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت 681هـ-1282م): وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس، دار صادر،بيروت، 1968م، ج5، ص234؛ ابن أبي دينار(محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت1092هـ-1681م):المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1993م، ص103.

(8) ألفراد بل: الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم،ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981 م ، ص114.

المالكي بإفريقية كابن فروخ، والبهلول بن راشد وعبد الله بن غانم، تدل على أنّهم عاشوا في القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي). كذلك ما جاء به عبد المجيد بن حمدة والشيخ محمد الفاضل بن عاشور من أن موطأ مالك أدخله علي بن زياد في حدود سنة (150هـ-767م) لأوّل مرة إلى إفريقية[1]، وأنّ المذهب انتشر في حياة مالك في مصر وبلاد المغرب[2]، كل هذا يتناقض ما جاء به ألفرادبل.

أما ابن حزم فقد ذكر أنّ:" مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة..." الذي كان أظهر المذاهب في القرون الأولى، وظهرت بعده مذاهب سنية أخرى(مالكية، شافعية، ظاهرية)، وأخرى من الصفرية والإباضية والنكارية والمعتزلة والشيعية حتى مجيء المعز بن باديس، فحمل الناس على التمسك بمذهب الإمام مالك، وقطع ما عداه حسماً لمادة الخلاف المذهبي[3]، ثانيهما: أن المذهب الحنفي كان أظهر المذاهب السنية في دولة بني عبيد لموافقتهم في مسألة التفضيل. يقول القاضي عياض:" فكان فيهم القضاء والرئاسة وتشرق قوم منهم واصطيادا لدنياهم وأخرجوا أضغاثهم عن المدنيين فجرت على المالكية في تلك المدة محن" ،[4] فلا يفهم من كلام ابن حزم أنه وجد في إفريقية المذهب الحنفي فقط، وأنه كان الأظهر حتى مجيء المعز، بل كانت مذاهب سنية وغيرها، ولحسم الخلاف حمل الناس على التمسك بالمذهب المالكي، وترك ما عداه من المذاهب.[5]

واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب من المذهب الحنفي وغيره إلى المذهب المالكي؟

ويعود سبب انتشار المذهب المالكي في عهد سحنون إلى توليه منصب القضاء (234هـ- 848م)، فقد عارض بعض القضاة في أحكامهم وكان لا يخاف في الله لومة لائم، فابن حزم يذكر أن القضاة كان قولهم مقبول لدى السلطان، وكان لا يلي قاض في الأقطار إلا بمشورتهم واختيارهم. كما أنّ القاضي منهم لا يشير إلاّ بأصحابه ومن كان

---

[1] بن حمدة عبد المجيد: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، تونس، 1406هـ/1986م، ص 139، ابن عاشور محمد الفاضل، المرجع السابق؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص43.

[2] أبو زهرة محمد: مالك، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1952م، ص18؛ الهنتاتي، نفسه.

[3] ابن مخلوف(محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، ت 1350هـ-1931م): شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003هـ/1424م، ج1، ص 148-149.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 54-55.

[5] أنظر ما بعد ص 30.

على مذهبه، وهذا ما حدث لسحنون لما ولي القضاء في إفريقية فنشأ النّاس على ما نشره[1]، لكن هذا لم يمنع تعرضه إلى المحن من قبل بعض أمراء الأغالبة وقضاتهم[2]، لمخالفته لهم في بعض الأحكام، ومنها ما لقيه من عبد الله بن أبي جواد القاضي الحنفي لمعارضته له في مسألة خلق القرآن، ورغم ما حصل له لم يَعدل عن رأيه .

واللافت أنّ الفقهاء المالكية لم يقبلوا منصب القضاء بسهولة كالفقيه علي بن زياد التونسي الذي رفض تولي القضاء عند ما طلب منه والي إفريقية ذلك [3]، وقد كان له تأثير في نشر المذهب، وتحدث عن ذلك الشاذلي النيفر قائلا:" هذه المدرسة التي وضع لبنتها علي بن زياد وهي مدرسة مالك بن أنس فهو الذي أدخل مذهبه الديار وعرّف به وشرحه للناس وبيّن لهم قواعده حتى اقتنعوا به ولم يجتذبه إليه بسلطان ولا بنفوذ"[4]. وكذلك الإمام سحنون فقد رفض عرض الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب (242-249هـ/856-863م) ولايته قضاء إفريقية وألح عليه والسؤال المطروح هو: لماذا وافق الأمير الأغلبي الإمام سحنون طلبه؟ فحلف له بأشد الإيمان وأعطاه العهد أنه يطلق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمه وحاشيته، وينفّد عليهم الحق أحبّوا أم كرِهوا.[5] ولماذا لم ينجح الأغالبة في القضاء على المذهب المالكي في بدايته ونشر مذهبهم والبقاء عليه، ولماذا قاموا بتولية قضاة من المالكية عوضا من الحنفية؟، قد يرجع السبب ليس إلى المذهب نفسه، ولكن إلى الذين يطبّقون الأحكام على الرعيّة، أو إلى العامة التي كانت مالكية فإن ما تعرض له سحنون وفقهاء آخرون من المدنيين ذكرته المصادر وتناقلت أسماؤهم بعض المراجع، سببه المناقشات والمناظرات التي كانت بين الفريقين، والتي كانت تجرى بينهم في المساجد وأحيانا حتى في بلاط الأمراء[6].

وهذا يفسره ما ذهب إليه عمر الجيدي ردًا على قول المقدسي من أنّ الوفاق كان دائما حاصلا بين الحنفيين والمالكيين، يقول المقدسي :"وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة حتى قالوا، إنّ

---

(1) ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت456هـ-1063م): رسائل ابن حزم، ط2، تحقيق إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987،ج2، ص18.

(2) تعرض بعض الفقهاء المالكية للتعذيب والسجن لمخالفتهم الحنفية في بعض الأحكام وبعض المسائل كخلق القرآن... (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص609؛ الدباغ ، المصدر السابق، ج2، ص93 وما بعدها).

(3) المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ص160 ؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ص328 .

(4) الإمام مالك ، موطأ رواية علي بن زياد، ص36؛ عمر الجيدي، محاضرات، ص23.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص109؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص596.

(6) أبو العرب، المصدر السابق، ص89؛ الدباغ ، المصدر السابق، ص92 وما بعدها.

القاضي كان سنة حنفيا وسنة مالكيا".[1] لكن المصادر تحدثت عن تولي قاضيين في القيروان في نفس الوقت، وقد حدث هذا ثلاث مرات في فترات متقطعة في عهد الأغالبة، الأولى في عهد الأمير زيادة الله الأوّل بن إبراهيم، الذي أبقى القاضي أبا محرز محمد بن عبد الله الكناني على مذهب الإمام مالك[2] (191-214هـ/806-829م)، وجعل معه سنة 203هـ-818م أسد بن الفرات بن سنان قاضيا حنفيا، والثانية في عهد الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم (226- 242هـ/840-856م) فسحنون بن سعيد كان قوي الشخصية عظيم القدر، فطغت شخصيته على نظام الدولة، الأمر الذي دعا الأمير إلى تعيين قاض ثاني من المغرب الأوسط اسمه الطبني مع سحنون لكسر شوكته واقتداء بسنة عمه زيادة الله الأول [3]، وفي المرة الأخيرة في أواخر عهد الأغالبة سنة293هـ-906م في عهد الأمير زيادة الله الثالث وذلك بين حماس بن مروان المالكي ومحمد بن أحمد بن جيمال الحنفي.

فنلاحظ أنّ الأغالبة ابتكروا طريقة في منصب القضاء لإرضاء الرعية، فمن خلاله لعبت المذاهب الإسلامية دورا هاما في اختيار القاضي الحنفي والمالكي والمعتزلي للتنافس على القضاء، فكسب المذهب المالكي منصبا ورواجا ساعد القاضي سحنون على انتشاره [4].

ولما تولى سحنون القضاء قام بتغييرات جذرية في الدولة الأغلبية، منها أنّه جعل إماما في المسجد الجامع يصلي بالنّاس، وكان ذلك للأمراء فقط دون غيرهم، كما جعل الودائع عند الأمناء دون القضاة [5]، التي كانت في ما سبق في بيوتهم، واهتم بالبوادي فجعل عليها أمناء أرسلهم من القيروان لينظروا فيما يصلح من السلع وما يغش منها، إذ أنّه قبل ذلك كان الصلحاء من أهلهم يكلفون بذلك[6]. وقام ببناء بيتا لنفسه في الجامع حتى

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص195؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص155؛ عمر الجيدي: محاربة المذهب المالكي في المغرب، مجلة دعوة الحق، العدد،225 الرباط، نوفمبر- أكتوبر 1982.ص70؛ وانظر أيضا: عمر الجيدي، محاضرات، ص43 وما بعدها.

[2] المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج1، ص274؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص176.

[3] لم تذكر كتب الطبقات ترجمة له إلا اسم الطبني فقط.

[4] لقد عُيّن أسد بن الفرات شريكا مع محرز في القضاء فكان ابن الفرات أغزر علما وفقها وكان أبو محرز أسداهما رأيا وأكثرهما صوابا(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص476؛ إبراهيم بكير بحاز: القضاء في المغرب من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية، الياقوت، الأردن،2001 ، ص196-197).

[5] الدباغ ، المصدر السابق، ج2، ص87.

[6] المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج2، ص276؛ الدباغ، نفس المصدر، ج2، ص87؛ بوبة مجاني، النظم، ص247؛ لقبال موسى: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، ط2، الشركة الالوطنية للتوزيع، الجزائر، 1991م، ص50.

يسهل عليه الحكم بين الخصمين، وبقي هذا البيت يستعمله القضاة المالكية من بعده، فإذا وُلي قاضي حنفي هدمه وإذا ولي مالكي بعده بناه[1]، فهذه الأشياء وغيرها جعلت الناس وغيرها يلتفون حول سحنون بن سعيد ويأخذون المذهب المالكي.

[1] الدباغ، نفس المصدر ،ج2، ص88.

ثانيا: انتشار المذهب المالكي في الأندلس

اعتمدت الدولة الأموية في الأندلس على مذهب الأوزاعي[1]، الذي كان مذهب أهل الشام[2]. وانتقل إلى الأندلس مع جند الشام، ومع عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-788م)[3]، الذي انتقل إلى هناك، بعد زوال الخلافة الأموية في المشرق، قال عنه أبو جعفر المنصور:" عبر البحر، وقطع القفر ودخل بلداً أعجميا مفردا، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودوّن الدواوين، وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره، وحسن شكيمته "[4].

وقد ساد مذهب الأوزاعي الأندلس إلى القرن الثاني للهجرة[5]. ولما اتجه العديد من طلبة الأندلس إلى المدينة المنورة[6] بدافع زيارة الحرمين أوّلا، وبدافع التعلم والاتصال بكبار العلماء ثانيا، أخذوا مختلف العلوم عنهم، فكانت رحلتهم إلى إمـــام دار الهجرة مالك

---

(1) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد والأصل محمد، وكان اسمه عبد العزيز ثم غيّر اسمه إلى عبد الرحمن الأوزاعي، اختلف في أصله هل هو عربي؟ أم أعجمي؟ فالذين قالوا عربيا نسبوه إلى الأوزع وهو بطن من همذان، والذين قالوا أعجميا جعلوه من سبي السند، اشتهر بعلمه، وشدة تمسكه بالسنة النبوية. ولد ببعلبك سنة 88هـ-707م، كان مخضرما لأنّه عاش العصر الأموي والعصر العباسي، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الحركة العلمية كعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وأصوله والترجمة... تتلمذ على كبار التابعين منهم عطاء بن أبي رباح والزهري وطبقتهما، وحدث عنه أكابر المحدثين، ومن أقواله:" ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات"، فقد كان ثقة، مأمونا، فاضلا، خيّرا، كثير العلم والفقه. روى عنه العديد. توفي في بيروت، في صفر سنة157هـ-774م، في آخر خلافة أبي جعفر المنصور، وهو ابن سبعين سنة (أنظر: ابن سعد ، المصدر السابق، ج7، ص339؛ الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص241؛ الخضري بك، المرجع السابق، ص265 وما بعدها؛ بوعقادة عبد القادر: المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، 2004، ص84 وما بعدها من عدة صفحات).

(2) مذهب الأوزاعي من المذاهب التي كان له أتباع ساروا عليه مدة، وغلبته مذاهب أخرى، فانقرض (القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 55- 54).

(3) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الدمشقي المعروف بالدّاخل، فرّ إلى الأندلس عند زوال الخلافة الأموية، حارب يوسف الفهري متولي الأندلس وهزمه. بويع يوم العاشر من ذي الحجة 138هـ-756م، سماه أبو جعفر المنصور: "صقر قريش" ، توفي في عشرة جمادي الأولى سنة 172هـ/788م(أنظر: ابن عبد ربه(أبو أحمد بن محمد الأندلسي، ت328هـ-940م):العقد الفريد، ط2، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت،1427هـ/ 2006م، ج4، ص456؛ الحنبلي،المصدر السابق، ج2، ص331)

(4) نفسه457؛ الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت488هـ-1095م): جذوة المقتبس، حققه محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص191- 192.

(5) في البداية دخل المذهب الحنفي إلى الأندلس، ثم غلبه مذهب الأوزاعي وبعده انتشر المذهب المالكي، كما أدخل بها قوم من الرحالين والغرباء مذهب الشافعي وأحمد وداوود فلم يتمكنوا من نشره، فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم إلا من تدين به لنفسه أو من لا يؤبه لقوله (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص80).

(6) القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص259؛ أبو الأجفان، المدرسة المالكية، ص 389- 390.

ابن أنس، وأصحابه، منهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي أبو عبد الله[1]، وقرعوس ابن العباس[2]، والغازي بن قيس[3] وآخرون من بعدهم، فجاءوا بعلمه وأبانوا للنّاس فضله واقتداء الأئمة به.

وقد ذكرت المصادر أن المذهب المالكي انتشر بالمغرب، ومالك على قيد الحياة، فالطلبة كثرت رحلاتهم إلى المشرق إمّا للحج، أو لأخذ العلم والتفقه هناك في المنبع للعلم، فمنهم من بقي معتكفا مع العلماء ، ومنهم من عاد بعلمه إلى وطنه، وبيّن للنّاس فضل الإمام مالك في هذا المجال وأوجب الاقتداء به، كما ذكرت أنّ زياد بن عبد الرحمن هو أوّل من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس[4]، فقد رحل إلى الحجاز بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (172-180هـ/788- 796م) ثاني أمراء الأمويين في الأندلس.

وتميزت هذه المرحلة بظهور مجالس العلم والأدب، وتولي النظر في الرعية بخير ما نظر من الرّفق، والعدل، والتواضع، كما كانت الشورى مبدأ هشام بن عبد الرحمن في إدارة شؤون دولته[5].

وكان الإمام مالك يسأل المغاربة عن أحوال المسلمين ولما لقي زياد بن عبد الرحمن مالك بن أنس- رحمه الله- سأله عن هشام بن عبد الرحمن فأخبره عن مذهبه وحسن

---

[1] هو زياد عبد الرحمن بن زهير بن ناشدة بن لودان بن حي بن أخطب بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن لخم ابن عدي، يكنى بأبي عبد الله، ويلقب بشبطون، فقيه الأندلس من قرطبة، على مذهب الإمام مالك سمع منه الموطأ وله عنه في الفتاوى كتاب" سماع" معروف بسماع زياد، قال يحي بن يحي :" زياد أوّل من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه، والأحكام، وقال الشيرازي: كان أهل المدينة يسمون زيادًا فقيه الأندلس، عرض عليه القضاء فلم يقبل، توفي بالأندلس، واختلف في وفاته، قيل سنة (194هـ-809م)، أو (193هـ-808م)، أو سنة(204هـ-819م) (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص350؛ الحميدي، المصدر السابق، ص191-192؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص154-155).

[2] هو قرعوس بن العباس بن عبيد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي، أحد فقهاء الأندلس، من طليطلة، أبوه عبدوس مولى هشام بن الحكم، لقي مالكا وسمع منه الموطأ، وكان مفتي بلده في وقته، و من أهل الفقه والعلم، وولي قضاء طليطلة، وكان لأبيه عبدوسا رأيا للأمير الحكم، توفي سنة 220هـ، (أنظر: الحميدي: منشورات دار الهيئة العامة للكتاب، 2008، ص333؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص347).

[3] هو من أهل قرطبة، أموي يكنى أبا محمد، رحل إلى المشرق في صدر الإسلام أيام عبد الرحمن بن معاوية، سمع من مالك " الموطأ" وسمع من عبد الملك بن جريج والأوزاعي وغيرهم، قرأ القرآن على نافع بن الأنعم قارئ أهل المدينة وانصرف إلى الأندلس، فكان يقرأ عليه، وقيل إنه يحفظ الموطأ عن ظهر قلب، وربما عرض عليه القضاء فأبى، (ت199هـ/ 814م)، في أيام الأمير الحكم،(أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص272؛ الحميدي،المصدر السابق ص291؛ الضبي، المصدر السابق، ص 384؛ القاضي عياض، نفس المصدر، ج1، ص347-348).

[4] المقري:(أحمد بن محمد التلمساني، ت1041هـ-1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1996م، ج3، ص230؛ القاضي عياض،: نفس المصدر، ج1، ص55.

[5] ابن القوطية:(أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، ت367هـ-977م): افتتاح الأندلس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م، ص46.

سيرته فقال مالك:" ليت الله زين موسمنا بمثل هذا"[1].

وقد ذكر عياض[2] أن هشاما ألزم النّاس جميعا بمذهب مالك، وصار القضاء والفتيا عليه، ابتداء من سنة 170هـ-786م أي في حياة الإمام مالك، وكانت الفتيا والرّواية يومئذ لصعصعة[3] بن سلام إمام الأوزاعية[4].

وقد اختلفت المصادر حول من أدخل الموطأ إلى الأندلس؟ فابن القوطية يقول بأن غازي بن قيس هو الذي أدخله إلى تلك البلاد أيام عبد الرحمن بن معاوية[5]. بينما أورد في موضع آخر أن زياد رحل إلى المشرق بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمن ولقي مالكا[6]. أما القاضي عياض فله روايتين متناقضتين إن صحّ القول جاء في الأولى: أنّ زياد بن عبد الرحمن هو أوّل من أدخل الموطأ إلى الأندلس[7]. وفي الثانية: أنّ الغازي بن قيس هو من أدخل الموطأ [8]، فالرّوايتان مختلفتان وتحتملان قراءتين: الأولى أنّ غازي بن قيس أدخل الموطأ إلى الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، في صورته الأولى من الكتابة، دون تنقيح ودون تهذيب، خاصة وأنّه ذكر مشاهدته مالكا وهو يؤلف الموطأ ظاهرًا. أما زياد فأدخل الموطأ إلى الأندلس في صورته المكتملة والمتقنة فأخذه يحي[9] بعد تنقيح وتهذيب، و قد ذكر عياض أنّ لزياد رحلتين[10] فإذا أدخله في المرحلة الثانية يكون عندها مكتملا، وذلك في أيام هشام بن عبد الرحمن.

ولم تختلف الدراسات الحديثة عن المصادر في أخبارها المتضاربة فحسين مؤنس مثلا يذكر أنّ زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون واحد من الثلاثة الذين ثبت أنهم أسسوا المذهب المالكي بالأندلس "... وعلى أيديهم أصبحت المالكية المذهب الغالب، بل

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص46.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق،ج1، ص55؛ سعد غراب، المرجع السابق، ص 118.

[3] هو صعصعة بن سلام الشامي يكنى أبا عبد الله، وسمي بالأندلسي لاستقراره فيها، روى عن الأوزاعي ، وهو أوّل من أدخل مذهبه إلى الأندلس، فكانت الفتيا والرّواية عنه هناك، زمن عبد الرحمان بن معاوية، وابنه هشام بن عبد الرحمن، روى عنه عبد الملك بن حبيب، توفي سنة 192هـ/807م، (أنظر ابن الفرضي، المصدر السابق (منشورات دار الهيئة) ، ص 203-204 ؛ الحميدي، المصدر السابق، ص244-245).

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص55.

[5] ابن القوطية، المصدر السابق، ص41.

[6] نفس المصدر، ص348.

[7] القاضي عياض، المصدر السابق، ص349.

[8] وأدخل غازي بن قيس قراءة نافع عن مالك إلى الأندلس (نفسه).

[9] المقري، المصدر السابق، ج2، ص45؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص44.

[10] القاضي عياض، المصدر السابق، ص350؛ الخضري بك، المرجع السابق، ص 245؛ بوعقادة، المرجع السابق، ص 114.

الرسمي لأهل الأندلس، أوّلهم الغازي بن قيس وثانيهم زياد بن عبد الرحمن هذا، وثالثهم يحي بن يحي الليثي"[1].

في حين يرجح إحسان عباس أنّ غازي بن قيس، هو الذي أدخل موطأ مالك الأندلس ويدل هذا على أنّه اعتمد على رواية ابن القوطية التي جاء فيها:" أنّ غازي بن قيس سافر أيام عبد الرحمن الداخل، فسمع من مالك بن أنس، ثم انصرف إلى الأندلس، فكان أوّل من أدخل الموطأ إلى ذلك الوطن". [2]

ويسجل عمر الجيدي الاختلاف الموجود في المصادر التاريخية حول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس، فيذكر بأن الأقوال جاءت متضاربة بين المقري وابن القوطية[3]، فقد يكون عمر الجيدي قام بمقارنة بين مصدرين أندلسيين متخصصين في تاريخ الأندلس إلاّ أنهما متباعدين في الفترة الزمنية، ولا يُعرف مصدر كل واحد منهم، ومن المصادر الأندلسية المتخصصة التي كانت أقرب زمنيا لابن القوطية، هما ابن الفرضي[4] وابن حيان[5] اللّذان لم يتعرضا إلى من كانت له الأسبقية في إدخال المذهب المالكي إلى الأندلس، و هنا يبقى السؤال مطروحا حول مصادر المقري وروايته؟.

ويرد مصطفى الهروس على المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنثيا[6] الذي ألّف كتابه بعنوان: تاريخ الفكر الأندلسي حيث قال:" ومن الثابت على أي حال أنّ مذهب مالك ثبت في الأندلس وعلا في أيام هشام الرضى، بسبب المكانة الرفيعة التي حظي بها يحي عنده... وكان يشاوره"[7]، فيقول إنّه واضح في هذا النص، أنّ بالنثيا لم يستوعب النصوص التاريخية ولم يستقها من أصولها الصحيحة، لذا حصل خلط ووقع في هذا الخطأ البيّن، ويعلل ذلك بأنّ هشاما كان ما بين (172هـ/180هـ) وفي هذه الفترة كان

---

(1) حسين مؤنس: فجر الأندلس، الشركة العربية للنشر والطباعة، القاهرة، 1959م، ص654؛ عبد الهادي حسيسن: دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة دار الحديث الحسينية، الرباط، العدد3، 1982م، ص526.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص41.

(3) نفسه؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص45؛ عمر الجيدي، محاضرات، ص25.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 154-155-272.

(5) ابن حيان القرطبي(أبو مروان حيان بن خلف بن حيان)، ت422هـ-1031م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/1973م، ص84-87.

(6) تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص 17.

(7) الهروس مصطفى: قيام المدرسة المالكية بالأندلس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومحاضرات، 1998، ص211.

يحي يتردد على المشرق[1] للأخذ عن الشّيوخ الكبار، وحسب القاضي عياض فإن لقاءه مع مالك بن أنس كان في سنة 179هـــ - 795م، السنة التي توفي فيها الإمام [2].

وذكر آنخل أنّ الأمير هشام ولى القضاء وعيّن في الوظائف الدينية فقهاء مالكية[3] فانتشر بهم المذهب. ولا يعرف من أين استقى مصطفى الهروس المعلومات التي تنص على أنّ المذهب علا في أيام هشام الرضى بسبب مكانة يحي بن يحي الليثي. كما أنّ آنخل نفسه غير متأكد ممّن أدخل الموطأ، هل هو عبد الرحمن بن زياد؟ أم غازي بن قيس؟ حيث يقول:" وقد كان أهل الأندلس أول الأمر أوزاعية ثم تحولوا إلى مذهب مالك، وقد حمله إليهم شبطون بن عبد الله أو غازي بن قيس...أو على يد نفر من الفقهاء؟ وهو الأقرب إلى الاحتمال" [4]. وذكر أنّ " عبد الرحمن الأوسط ... وكان ضعيف الشخصية، ترك عنانه بيد الفقيه يحي بن يحي..."[5].

كما ردّ الهروس على من قال بالغموض، أو على الذين ادّعوا الخلاف أنّه بعد اطلاعه على جل المصادر التاريخية الأندلسية، وقراءتها قراءة متأنية، تبين له أنّه لا غموض، ولا خلاف فالمسألة واضحة، والنصوص صحيحة، وكل ما في الأمر أن قيام المدرسة المالكية ببلاد الأندلس مرت بثلاث مراحل مهمة.

الأولى: مرحلة الظهور والتأسيس، في ولاية عبد الرحمن الداخل، وثانيها: مرحلة الذيوع والانتشار في عهد هشام بن عبد الرحمن، وثالثها: مرحلة السيادة والنفوذ على عهد الحكم بن هشام .[6]

قال القاضي عياض انتشر علم مالك بالأندلس بزياد وبيحي[7]، فقد رحل يحي إلى المدينة وهو في سن الثامنة عشر بعدما سمع الموطأ من زياد، وكان ملازما له إلا أنّ زياد نصحه بأن يذهب إلى المدينة ففيها الأصل. والأجدر له أن يأخذ العلم من المنبع ما دام موجودا، فقال له:" إنّ الرجال الذين حملنا عنهم يدفنون وعجز بك أن تروي عمّن دونهم"، فسمع من مالك موطأه إلاّ باب الاعتكاف، فبقي يحدث به عن زياد، وسمع بمكة

---

[1] ذكر القاضي عياض أنّه كانت ليحي بن يحي الليثي رحلتان إلى المشرق، الأولى سمع فيها من مالك والليث وابن وهب، واقتصر في الثانية على ابن القاسم وبه تفقه (أنظر: المصدر السابق، ج2، ص535).

[2] نفسه.

[3] آنخل جنثاليث بالنثيا، المرجع السابق، ص17.

[4] نفسه.

[5] نفس المرجع، ص18.

[6] مصطفى الهروس، المرجع السابق، ص208.

[7] القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص18؛المقري، المصدر السابق،ج2، ص41.

من سفيان بن عيينة وتفقه عن المدنيين والمصريين من أصحاب المذهب، ولما عاد إلى الأندلس انتهت إليه الرئاسة بها واشتهر المذهب به[1]. قال عنه ابن حزم:" كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاء، فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره..."[2]

ولا يخلو قطر من المشرق أو المغرب من فضل فقهاء القيروان في نشر المذهب المالكي في ربوعه، فقد تنوعت هجرة الأندلسيين إلى القيروان بين طلب العلم أو التجارة أو التعايش والكسب والمغامرة، ذلك ما أثبتته كتب الطبقات "بأهل الأندلس"[3]، ففي العهد الأغلبي وجدت أسماء قيروانية في العلم والفقه ذات أصول فارسية كشجرة بن عيسى (ت.262هـ-875م)، من الأندلس[4]، ويحي بن عمر الأندلسي[5]، وأبو عبد الله بن محمد أبو منظور الأندلسي[6]، وغيرهم كثير، وهو أيضا دليل على اختيار القيروان لإقامتهم فقد وُجد حي في القيروان للأندلسيين، يرتاده العلماء والقضاة[7].

وبدأت تجتمع في قرطبة وطليطلة وغيرها من بلاد الأندلس جماعات من الفقهاء المالكية وأعيانهم، فمنهم من أخذ العلم عن مالك مباشرة ومنهم من أخذه عن تلاميذه، فبينوا للناس فضل الإمام مالك وإقتداء الأمة به، جلسوا ليعلّموا النّاس مسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه وأحكامه، ففي هذه الفترة أمر الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ثالث الخلفاء الأمويين، بالأخذ بمذهب مالك والتزامه، وكان ذلك بمحض إرادته واختياره، فانتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة، وانتشر علم مالك ورأيه في قرطبة والأندلس جميعا بل المغرب كله.[8]

وقد اختلف في سبب انتشار مذهب مالك في الأندلس، هناك من يرجع السبب إلى أن مذهب الأوزاعي قريب من مذهب مالك، فالأوزاعي كان معاصرا لأبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس إلاّ أنه لم يكن يتوسع في الرأي كما فعل أبو حنيفة، بل كان ينكره، ويأخذ

---

(1) ابن حيان، المصدر السابق، ص84؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص535.
(2) ابن حزم، الرسائل ، ص18.
(3) أبو العرب، المصدر السابق، ص104.
(4) القاضي عياض، المصدر السابق،ج3، ص12-13.
(5) أبو العرب، المصدر السابق، ص134.
(6) نفس المصدر ، ص173.
(7) القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، 618؛ دلال لواتي: عامة القيروان في العصر الأغلبي (184-296هـ/800-908م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، 1423هـ/2002م.، ص208.
(8) المقري، المصدر السابق، ج3، ص230.

به فقط إذا اقتضت الضرورة ذلك، وكان لا يعمل بالقياس، ويميل إلى مدرسة الحديث التي كان يتزعمها مالك والتي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على السنة النبوية، إلا أنّه كان يختلف مع الإمام مالك حيث لا يعتبر عمل أهل المدينة حجة[1].

وقد خصص المقري الباب الخامس من كتابه نفح الطيب، للرحلة العلمية والرحالة الذين توجهوا إلى المشرق فقال إنّه من المتعذر إحصاءهم و:" إنّ حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال"[2]، كما كانت رحلات علمية بين دول المغرب، ذكرتها المصادر الأندلسية والمغربية" [3] وعلى يد هؤلاء انتشر المذهب المالكي وعم أرجاء البلاد.

---

[1] سالم يفوت: المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 118، الرباط، 2005، ص72؛ خضري بك: المرجع السابق، ص267.

[2] المقري، المصدر السابق، ج 2، ص5.

[3] أبو الأجفان، قيام المدرسة المالكي، ص293.

ثالثا: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى

وُجدت بالمغرب الأقصى مذاهب متعددة، كالمذهب الأوزاعي والحنفي، والشافعي،[1] قبل ظهور المذهب المالكي وانتشاره بين أهله، فقد أشارت بعض الروايات التاريخية أنّ دخول المذهب المالكي قد تأخر نسبيا عن دخوله في بقية دول المغرب، فمن المعروف أن هذا المذهب ظهر بالقيروان والأندلس ثم انتقل إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة[2].

وتضاربت المعلومات حول من نقله إلى هناك فبعض الدراسات ترجح أنّ إدريس الأول[3] هو أوّل من دعا الناس لإتباع مذهب الإمام مالك بن أنس [4]، والدليل عندهم ما قام به الإمام مالك نفسه[5] -رضي الله عنه- عند نصرته محمد النفس الزكية، ما عرّضه لسخط العباسيين، فقد كتب الكتاني أنّ بعض أئمة التاريخ من المتأخرين ودون أن

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ج1، ص199؛ الكتاني: الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، 1307هـ/1889م، 30؛ الجيدي، المرجع السابق، ص25؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص 128.

(2) الناصري، نفسه ؛ الكتاني، نفسه، الجيدي، نفسه؛ عبد الهادي حسيسن، المرجع السابق، ص 520؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص165.

(3) نتج عن الصراعات التي كانت بالمشرق بين العباسيين والعلويين هروب إدريس الأول إلى مدينة وليلى بالمغرب الأقصى، إثر وقعة فخ (169هـ/785م)، وكان وصوله سنة 170هـ/786م. فنزل عند إسحاق الأوربي، الذي جمع له زعماء قبيلة أوربة، فرحبوا به، و بعدما عرفهم بنسبه وفضله وقرابته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بايعوه أميرا عليهم يوم الرابع من شهر رمضان سنة(172هـ/788م)، بمدينة وليلى، وقالوا له:" الحمد لله الذي أثنى به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه"، ثم بايعته قبيلة مغيلة وصدينة، وخطب في الناس قائلا:" لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا". ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر، من بينهم زواغة، وزواوة، وسدراتة، وغياثة، ومكناسة، وغمارة، واستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته(أنظر: الناصري: المصدر السابق،ج2، ص19؛ ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب في روض القرطاس، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م ، ص20) ويلاحظ هنا أنّ ابن أبي زرع والناصري يتفقان في سنة دخول إدريس إلى المغرب وسنة مبايعته (4 رمضان 172هـ -788م)؛ (ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص102) جعل المبايعة في رمضان دون تحديد اليوم؛ أما ابن عذاري فاكتفى بتحديدّ السنة فقط (المصدر السابق، ج1، ص83)؛ أما بوبة مجاني فجعلت يوم البيعة في 14 رمضان: (أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، (الجزائر)، 2003م، ص118)، وجعل السيد أبو العزم البيعة في منتصف رمضان (نفس المرجع ، ص162).

(4) ابن القاضي(أحمد بن محمد): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، 1309هـ/1891م، ص25؛ التازي عبد الهادي: جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1972م، ص118؛ الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد): تاريخ الجزائر العام،ط4، دار الثقافة، بيروت،1400هـ/1980م، ج1، ص186، الهنتاتي، المرجع السابق، ص128، الجيدي، المرجع السابق، ص25؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص165.

(5) إنّ سبب محنة الإمام مالك - رضي الله عنه- في زمن أبي جعفر المنصور (147هـ-764م)هو نهيه عن الحديث " ليس على مستكره طلاق"، وقيل أنّ من نهاه هو جعفربن سليمان ابن عمه، بعثه أبو جعفر المنصور ليسكن الهوجاء التي كانت بالمدينة ويجدد له البيعة، فقدم المدينة وهو يتوقد على من خالف أبا جعفر، فأظهر الغلظة والشدة عليهم، فدس جعفر على مالك بن أنس ممّن لم يكن يخشاهم، فسأله سرًا فأفتاه "أنّ يمين المكره لا يلزم"، فوصل الخبر إلى جعفر بن سليمان فأمره بضربه سبعين(أنظر: أبو العرب: المحن، تحقيق يحي وهيب الجبوري، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1408هـ-1988م، ص319-320؛ ابن قتيبة(أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري): الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة، ج2، ص 148-149؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص228، الزواوي عيس بن مسعود : مناقب سيدنا الإمام مالك، دار الفكر الطباعة والنشر، ج1، ص26.

يذكر الأسماء ذكروا أنّ إدريس الأوّل كان يحب مالكا فحمل أهل المغرب على مذهبه لأنّه كان من شيعة آل البيت وممن بايع محمد بن عبد الله الكامل النفس الزكية عم إدريس[1].

فإدريس الأوّل جعل المذهب المالكي هو مذهب الدولة الرسمي فحمل النّاس عليه وقراءة كتابه لقوله:" نحن أحق بهذا الكتاب(الموطأ) وقراءته"[2]، ولقد جزم الكتاني وغيره بأن إدريس الأول في موضع آخر إذ يقول :" وعلى مذهبه كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى بسبب تقليد إدريس لمالكٍ وتحصيل كتابه الموطأ وحفظه له"[3]، أما سعد زغلول فقد قال إن الدولة الإدريسية كانت سنية (مالكية) المذهب لِما جاء في كتاب البيان المُغرب من تسمية ابن عذاري للأدارسة بالدولة الهاشمية، أي السنية. إلا أنّ هذا الأخير اكتفى بذكر الأدارسة ولم يتحدث عن إدريس الأول وإنما قصد الثاني[4]، أما ألفراد بل فيرى أنّ إدريس الأوّل وخلفاءه هم الذين عملوا على نشر المذهب السني في المنطقة، إذ قال:" إنّ نسبهم جعل ذلك فرضا عليهم " وشبّه ما قام به إدريس الأوّل عند بنائه مسجد مدينة تلمسان بما فعله عقبة بن نافع عند بنائه مسجد القيروان[5].

في حين جاء في بعض المصادر، أنّ إدريس حمل معه بعض مبادئ الشيعة الزيدية[6] إلى المغرب الأقصى. وهو تفسير لما قام به هارون الرشيد عند إرساله رجل من الشيعة الزيدية ليقتله، ذلك لما علم هارون بما حققه إدريس من النجاحات في المغرب، وهي

---

[1] الكتاني، المصدر السابق، ص130.

[2] نفس المصدر ، ص130-131.

[3] نفسه؛ التازي،المرجع السابق، ص118؛ الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص186؛ عبد الهادي حسيسن، المرجع السابق، ص520؛ أبو العزم، المرجع السابق، 165.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص82؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأ المعارف بالإسكندرية، 1976م، ج2، ص518؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص129.

[5] ألفراد بل، المرجع السابق، ص 88-89.

[6] أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- يقولون إن الإمامة لأولاد فاطمة دون غيرهم، كان زيدا يفضل علي كرّم الله وجهه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إلاّ أنّه يرى جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقد قال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل الصحابة إلاّ أنّ الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها فيه، وذكر الأشعري في كتابه المقالات أنّه :" لما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم:" رفضتموني" فيقال إنهم سموا الرافضة لقول زيد " رفضتموني" (أنظر: البغدادي(عبد القادر بن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني): الفرق بين الفرق، ط2، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، 1413هـ/1993م، ص22؛ الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد): تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ/1997م، ج1، ص 179 وما بعدها؛ الأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت330هـ-941م) مقالات الإسلاميين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط2، 1405هـ/ 1985م، ج1، ص129-130.

غزوه بعض القبائل البربرية التي كانت على دين المجوسية واليهودية والنصرانية[1]، ومقاومته للخوارج والزنادقة[2]، وفتحه لتلمسان، فأحس الخليفة هارون بالخطر الذي سيواجهه إذا تابع زحفه نحو إفريقية. فخطرت في دهنه عدة أفكار فاستشار وزيره يحي بن خالد البرمكي الذي قال:" إنّ الرجل فتح تلمسان وهي باب إفريقية، ومَن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت أن أبعث إليه جيشا ثم فكرت في بُعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك"، فنصحه بأن يرسل له رجلا من الموالي وممّن يكون على المذهب الزيدي فأرسلوا له رجلا يدعى الشماخ[3]. وكان إدريس يعلم بمكانته ورياسته عند الزيدية، فلما وصل إليه قال:" إنّما جئتك وحملت نفسي على ما حملته عليه لمذهبي الذي تعرفني به"، فتقرب إلى إدريس حتى أمنه ثم دس له السم وهرب إلى المشرق فتوفي إدريس متأثرا بالسم سنة 175هـ- 792م بوليلى. [4]

واستدل البعض بنص الرسالة التي بعث بها إدريس الأكبر إلى أهل مصر، يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ومطالبتهم بتأييده ومساندته[5]. فوصلت هذه الرسالة إلى هارون الرشيد وبعدما اطلع على محتواها اقتنع أنّ الأدارسة كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم[6].

---

[1] لقد قام إدريس الأول سنة 173هـ/789م بغزو قبائل من البربر التي كانت على دين النصرانية والمجوسية واليهودية، ووصل زحفه يجاهدهم في حصونهم وفي معاقل الجبال و الحصون، حتى دخلوا الإسلام طوعا أو كرها، ومن أبى منهم قتله أوسباه، وكانت البلاد التي غزاها، حصون فندلاوة، وحصون مديونة...(أنظر: الناصري، المصدر السابق، ج2، ص21؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص21؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص164).

[2] لما بدأ إدريس يؤسس دولته عمل على نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، فبدأ بالأقاليم المجاورة له، التي عُرف أهلها بالزيغ والانحراف عن العقيدة فبدأ بإقليم تامسنا حيث قبيلة برغواطة التي عرفت بانحرافات عقائدية، منذ زمن مبكر وبعد القضاء على ثورة ميسرة المطغري بطنجة 122هـ/739، تفرق أصحابه في كل النواحي ، منها تامسنا ثم انتقل إلى إقليم تادلا، فأخضعهما وأدخل بعض القبائل في الإسلام من مديونة وبهلولة وقلاع غيانة وبلاد تازا، ثم عاد إلى وليلى سنة 173هـ- 790م(أنظر: الناصري، نفس المصدر ، ج2، ص21).

[3] البكري، المصدر السابق، ص 120-121؛ الناصري، نفس المصدر،ج2 ص25؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص210؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص125؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ج 2، ص517؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص166.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص23؛ الناصري، نفس المصدر ، ج2، ص26؛ البكري، نفس المصدر، ص122؛ ابن عذاري، نفسه.

[5] عبد الهادي تازي: إدريس الأكبر فاتح المغرب وثيقة تاريخية عن عودته لم تنشر ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة، مجلة المناهل، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، العدد الحادي عشر، السنة الخامسة ربيع الأوّل 1398م مارس 1978، ص110؛ أنظر: الملحق رقم (1).

[6] نفسه.

وبعدما توفي إدريس الأوّل وُلد له ابن سمي على اسمه من جارية اسمها كنزة وتكفّل به مولاه راشد. وفي سنة 189هـ-804م[1] وفد على إدريس الثاني وفود من إفريقية والأندلس نحو خمسمائة فارس من القيسية، والأزد، ومدلج، وبني يحصب، والصدف بن حمير وغيرهم[2]. فسُرَّ إدريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم، وقربهم، ورفع منازلهم، وجعلهم بطانة دون البربر[3].

واستمرت الوفود على المغرب الأقصى، من إفريقية والأندلس، فقد هاجرت إليها ثلاثمائة عائلة قيروانية[4]، كما هاجر إليها أهل ربض قرطبة، بعدما أجبرهم الأمير الأموي الحكم على الخروج عقب وقعة الربض (202هـ-817م)[5]. فساهمت هذه الهجرات (الإفريقية والأندلسية)، في نشر المذهب المالكي انتشارا واسعا بالمغرب الأقصى.

وعيّن إدريس[6] الوافدين في مناصب سيادية، ذات أهمية في دولته، فاستوزر عمير بن مصعب أحد أبناء قبيلة الأزد، وجعل أزديا آخر كاتبا هو الّإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري. واستقضى قيسيا هو سعيد بن محمد القيسي[7]، وكان ممّن سمع عن مالك وسفيان الثوري، وروى عنهما كثيرا، وترى بوبة مجاني أنّ الفضل

---

(1) قام راشد بعد ولادة إدريس الثاني بأمره فكفله حتى كبر وأدبه أحسن أدب وأقرأه القرآن وعلمه السنة و الفقه والنحو والحديث و الشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها، ودربه على ركوب الخيل و رمي السهام وهو ابن عشرة أعوام (أنظر: الكتاني، المصدر السابق، ص 118).

(2) القيسية: ينتسبون إلى قيس بن علان بن نصر بن يسار بن معد بن عدنان ، الأزد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وللأزد قبائل وهي الأنصار وهم بنو الخزرج والأوس، والخزرج: بطن من أزد القحطانية، كانوا يقطنون يثرب مع الأوس عند مبعث النبي- صلى الله عليه وسلم، ويحصب بن دهمان بطن من عامر بن حمير، والصدف هم في بني حضرموت وهم الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك ابن زيد بن حضرموت الأكبر (أنظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، ص 215 وهنا وهناك ؛ الجزنائي، المرجع السابق، ص17-18).

(3) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص14؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص21؛ بوبة ، أثر العرب اليمنية، ص119.

(4) ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج2، ص567؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص129.

(5) ثار جماعة من الفقهاء من بينهم يحي الليثي صاحب مالك والراوي للموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما، فخلعوا الحكم وبايعه بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة فقاتلهم الحكم وفر الباقون فلحقوا بفاس بالمغرب الأقصى(أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص47؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص12؛ الناصري، المصدر السابق، ج2، ص35).

(6) توفي إدريس في شهر ربيع الأول سنة 213هـ - 829م وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وكانت مدة إمارته سبع وعشرين سنة، وخلفه ابنه محمد(أنظر:ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص30-31.؛ الجزنائي (علي، ت766هـ-1365م) جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 1411هـ/1991م ، ص27-28).

(7) ابن أبي زرع، نفس المصدر ، ص14- 29؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص12-13؛ الجزنائي، المصدر السابق، ص18.

يعود لهؤلاء الثلاثة في نشر المذهب المالكي بين سكان المغرب الأقصى [1]، وقد ذكرت كتب الطبقات ذلك.

وكانت ثقة إدريس كبيرة بوزيره عمير، فقد كلفه بالبحث عن مكان يسعهم لمّا ضاقت بهم مدينة وليلى، بعد أن فشل هو في اختيار المكان عدة مرات[2]. ونجح عمير بن مصعب في اختيار المكان الذي ستبنى فيه المدينة الجديدة التي سيطلق عليها فيما بعد اسم فاس[3]. فأنزل إدريس الوفود عليها فأسكن بالعدوة الشرقية الأندلسيين فسميت بعدوة الأندلسيين، والعدوة الغربية بالقرويين نسبة للوفد القيرواني، وساهمت هذه الوفود بشكل مباشر في نشر مذهب مالك، والنتيجة أنه ظهر بها فقهاء مالكية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما ذكره الكتاني، من أنّ الفقيه جبر الله بن القاسم الأندلسي الذي كان يسكن عدوة الأندلسيين أدخل علم مالك إليها [4] ، وعبد الله بن محمد بن محسود الهواري، ولى قضاء عدوة الأندلس وكان عادلا في أحكامه ورعًا لا تأخذه في الله لومة لائم، رحل إلى القيروان ولقي بها الفقيه عبد الله بن أبي زيد القيرواني وشاهده وهو يؤلف كتابه " النوادر" ثم ولى قضاء فاس[5].

كمّا تعزز المذهب المالكي بالفقهاء الذين رحلوا إلى المشرق قصد الحج أو طلب العلم، منهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت. 357هـ-967م)[6]، الذي كان له فضل كبير في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، سمع كتاب ابن مواز في القيروان من ابن أبي مطر ومن ابن اللباد وغيرهما. ودخل الأندلس وتفقه على علمائها، وسمع

---

[1] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص 251.

[2] ابن القاضي،المصدر السابق، ص13-14؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص16؛ الجزناني، المصدر السابق، ص13-14.

[3] هي حاضرة المغرب الأقصى، وموضع علم، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، كما كانت قرطبة حاضرة الأندلس، والقيروان حاضرة المغرب، رحل إليها العلماء والفضلاء من كل طبقة (أنظر: ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص443)، ذكر ابن القاضي أنه عندما فُرغ من البناء قام إدريس بالدعاء فقال:" اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتاب... واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة.."(نفس المصدر، ص18).

[4] الجزنائي، المرجع السابق، ص95.

[5] نفس المرجع ، ص59.

[6] أبو ميمونة من أهل مدينة فاس فقيه حافظ،معروف بالعلم والصلاح له رحلة إلى الحج لقي فيها علي بن عبد الله بن أبي مطر في الإسكندرية. سمع منه كتاب ابن مواز، ومن ابن اللباد وغيرهما أخذ عنه خلف بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن العجوز والفاسي وابن أبي زيد الذي كان نزيلة . وهو أول من أدخل مدونة سحنون إلى فاس وبه اشتهر مذهب مالك(أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص251؛ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص153-154).

أثناء رحلته إلى الحج من ابن الأعرابي وإبراهيم بن محمد بن منذر، ويُعتبر أوّل من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس وبه اشتهر مذهب مالك بها[1].

كما كانت الفتيا في بيوت الفقهاء المالكية، كابن العجوز عبد الرحيم بن أحمد العجوز السبتي الفاسي المالكي[2]، شيخ الفتيا وإليه يرحل فقهاء المغرب بلغ عدد تلاميذه خمسمائة، وكانت له رحلة إلى ابن أبي زيد القيرواني فحمل عنه كتبه وأخذ عنه دراس والأصيلي وغيرهم[3]، كما روى عنه أبناؤه وغيرهم توفي سنة (413هـ-1022م)[4]، وذكرت بعض المصادر بقايا عائلات لبعض الفقهاء ومن تتلمذ عنهم[5] منهم: فاطمة أم البنين(245هـ/859م) وهي بنت محمد الفهري القيرواني جاءت من إفريقية مع أفراد أسرتها فسكنت عدوة القرويين قرب المسجد الذي شيدته[6]. وابن الملجوم (ت492هـ/1092م) الفقيه العالم أبو الدجاج يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملجوم بن فترس بن الأمير مصعب بن الوزير عمير الأزدي، استفتاه يوسف بن تاشفين اللمتوني لما أراد الجواز إلى الأندلس لينزل ملوكها المختلفين المتظاهرين بعضهم على بعض بالأجنبي، والضاربين على المسلمين ما لا يطيقونه من المغارم والمكوس...الخ[7] .

واستمر تواجد عائلات الفقهاء المالكية حتى القرن العاشر، فقاضي قضاة فاس ابن الولي (ت.392هـ-1001م)، من أصل بربري، من بيت عريق في العلم والفقه، فقد ضمّ هذا البيت سبعة قضاة موزعين في سائر جهات المغرب، وهم من زناتة المغرب. ولا تزال أولاد الولي معروفة. والقاضي السبتي الذي يضل أشهر علماء مدينة سبتة عياض،

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص251؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص153-154؛ عبد الهادي حسيسن، المرجع السابق، ص522.

[2] كانت له ولأبيه رئاسة في العلم، وكان من أهل الفتيا، وكانت الرحلة إليه في المغرب في وقته ، رحل إلى الأندلس وإلى افريقية لازم الفقيه محمد بن أبي زيد القيرواني و سمع منه كتبه "النوادر" و"المختصر" وجاء بهما وبغيرهما إلى سبتة، سمع من دراس والاصيلي ووهب بن مسيرة الحجازي، روى عنه جماعة من فقهاء سبتة وفاس وأبو عمران بن أبي سوار من قلعة حماد(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق،ج4، ص778-721؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص251)

[3] ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص171)

[4] ابن مخلوف، نفسه؛ كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1396هـ/1975م، ج1، ص55 وما بعدها؛ الجيدي، محاضرات، ص26.

[5] ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص171، ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 251؛ التازي، جامع القرويين، ج2، ص155-159.

[6] لا يوجد لها ولولدها ترجمة في المعالم ولا في أعلام فاس(أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص32-33؛ التازي، جامع القرويين، ج1، ص152).

[7] التازي، نفس المرجع، ص159؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص168.

ورغم بروزه في فقه مالك إلاّ أنه كان يستفتي أحيانا أبا الوليد بن رشد القرطبي (ت.520هـ-1126م)[1].

ومما تقدم فإنه يوجد ترابط وثيق بين المدارس الفقهية المالكية في كل الأقطار الإسلامية مغربا ومشرقا، فكل مدرسة تكمّل الأخرى وهذا ما ساعد على انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى، كما ساهمت الرحلات العلمية التي كانت بين الفقهاء المالكية في كل من المدينة المنورة ومصر وإفريقية والأندلس.

---

(1) التازي، المرجع السابق ، ص155.

رابعا: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

كما سبق وأن رأينا انتشار المذهب المالكي في إفريقية، والأندلس، والمغرب الأقصى، فكيف انتشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط؟، وقبل أن نتعرض لذلك لابد لنا من إعطاء لمحة قصيرة عن الدولة الرستمية في المغرب الأوسط.و الظروف التي نشأت فيها[1].

بعد هزيمة أبي الخطاب[2]، (140-144هـ/754-76l م) الإباضي أمام والي العباسيين محمد بن الأشعت[3] بالقرب من طرابلس، فرَّ خليفته على القيروان عبد الرحمن بن رستم [4] (160-170هـ/777-788م)، إلى المغرب فاجتمعت

---

[1] تُعتبر الدولة الرستمية من أوائل الدول المستقلة ببلاد المغرب التي انفصلت سياسيا عن المشرق (أنظر: بحاز إبراهيم الدولة الرستمية، ط2، نشر جمعية التراث، قرارة، الجزائر، 1414هـ/1993م، ص261).

[2] هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني، أحد حملة العلم الخمسة من الإباضيين إلى المغرب، أخذ العلم من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتمان في البصرة بعد جابر بن زيد الأزدي، وكان من بين الخمسة الذين تلقوا العلم في مدرسة البصرة، ومكثوا بها خمس سنوات (135-140هـ/ 752-757م)، فسموا بعدها بحملة العلم الخمسة، انتقل أبو الخطاب إلى المغرب فبويع بالإمامة سنة 140هـ/ 757م ، ثم قضى عليه محمد بن الأشعث بأمر من الخليفة المنصور في معركة تاورغا سنة 144هـ - 761م. واستمر في ملاحقة الإباضية في كل واد وجبل ... ممّا جعل عبد الرحمان بن رستم ينجو إلى تاهرت، ويؤسس -بعد ذلك - الدولة الرستمية(أنظر ابن الصغير: المصدر السابق، ص30؛ بحاز إبراهيم بن بكير ومجموعة من الأساتذة: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ/ 2000م، ص242-243؛ أبو زكريا (يحي بن أبي بكر): كتاب السيّر المعروف بتاريخ أبي زكريا، تحقيق إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص57 وما بعدها من عدة صفحات؛ الشماخي(أبو العباس أخمد بن سعيد، ت928هـ-1522م): كتاب السيّر، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ/9م، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995م، ص23-24).

[3] هو محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي، أمير مصر ووليها من قبل المنصور بعد موسى بن كعب التميمي، ولاّه أبو جعفر على الخراج والصلاة معًا، دخل المغرب على رأس جيش، عزل عن مصر، وتوجه إلى الخليفة المنصور وجعله من أكابر أمرائه، ثم وجه المنصور الأشعث مع ابنه إلى غزو الروم، فمرض أثناء طريقه وتوفي هناك، وكانت ولايته على مصر سنة واحدة(أنظر : بن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّمه وعلّق عليه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ص438 وما بعدها).

[4] عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن مسرى، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، يَنسبه البعض إلى أكاسرة ملوك الفرس، فهم أجداده، والبعض ينسبونه إلى اللذارقة ملوك الأندلس، سافر مع أبيه وأمه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، توفي أبوه هناك و تزوجت أمه برجل مغربي، فسافر بهما إلى القيروان، نشأ عبد الرحمان بالقيروان وتعلم مبادئ العلوم، فصادف الدعوة الإباضية هناك، ثم سافر إلى المشرق للاستزادة من تعاليم الإباضية سنة 135هـ-752م، ثم عُيّن واليا على القيروان وقاضيا في دولة أبي الخطاب (140هـ/ 145هـ/757- 762م) بعدها عُقدت له الإمامة (161-162هـ) بعد وفاة أبي الخطاب وتوفي سنة 171هـ/ 787م(أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص28 وما بعدها؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص54 وما بعدها؛ الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت670هـ/ 1271م)، طبقات تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م، ص81-82؛ الشماخي، المصدر السابق، ص42-43؛ بحاز إبراهيم، معجم أعلام الإباضية، ص247-248).

إليه الإباضية،[1] واتفقوا على أن يكون عبد الرحمن إمامهم، وفكروا في بناء مدينة تجمعهم[2]، سميت فيما بعد تاهرت[3]. وصفها المقدسي ببلخ المغرب[4]، وكان يقطن فيها عدد من القبائل أهمها وأكبرها، لماية، وسدراتة، ومزاتة، وزناتة، ولواتة، ومكناسة، وغمارة، وازداجة، وهوارة ونفوسة[5]. ولم تعتنق كلها المذهب الإباضي، ثم نظروا فيمن تصلح ولايته، من رؤساء القبائل، فاتفقوا على عبد الرحمن بن رستم الفارسي، لفضله، وكونه من حملة العلم الخمسة، ولكون المسلمون فيما سبق قدّموه على أبي الخطاب فامتنع. وأنّه لا قبيلة له تمنعه إذا تغيّر من طريق العدل، لهذه الأسباب فيبايعوه على إقامة كتاب الله وسنة رسوله، وإتباع أثر الصحابة الراشدين- رضوان الله عليهم- فقبل

---

[1] تنتسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض المري التميمي، ظهرت في النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة في البصرة، على يد جابر بن زيد الصحابي الجليل ، ومن البصرة تفشى مذهبه مشرقا ومغربا، أخذ علمه عن ابن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وأنس بن مالك، وعنه أخذ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة. ثاني فقهاء المذهب بعد جابر بن زيد، الذي أخذ عنه أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط. ويرى الإباضية أنّ مخالفيهم كفار غير مشركين، فمنا كحتهم جائزة ومواريثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، ودعوة الإسلام تجمعهم وقتلهم غير جائز إلاّ بعد إقامة الحجة عليهم، ودارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون لا مؤمنون(أنظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص156- 157؛ الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص170-171؛ ابن الصغير، المصدر السابق، هامش 1، ص28؛ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص 166- 167).

[2] لقد اختلف المؤرخون الإباضيون فيما بينهم، في مسألة بناء مدينة تاهرت إذا كان قبل مبايعة عبد الرحمن بن رستم أم بعد ذلك، فذهب كل من ابن الصغير إلى أن بناءها كان قبل مبايعته (نفس المصدر ، ص29-30؛ وأبو زكريا، المصدر السابق، ص81-82؛ والشماخي، المصدر السابق، ص44-45؛ والبكري، المصدر السابق، ص68)؛ أمّا سعد زغلول فقد ذكر أنّ عبد الرحمن لم يكن يفكر في بناء المدينة الجديدة، وذلك لمحاولته الفاشلة سنة 151هـ/ 768م الذي اشترك فيها مع بقية الخوارج من إباضية وصفرية، في حصار عمر بن حفص في طبنة، وانتهى بانهزامهم فعاد إلى تاهرت (المرجع السابق، ج2، ص 290- 291)؛ وذهب ابن عذاري إلى أنّ المقصود بتاهرت هو المدينة القديمة، أما تاهرت الحديثة فقد بنيت بين (160- 162هـ/776-778م)، (أنظر: المصدر السابق، ج1، ص 196)، وهذا الرأي يتفق فيه المؤرخون الإباضيون في تاريخ اختطاط المدينة كان في سنة 161هـ /777م؛ أمّا ابن خلدون فيقول أنّ اختطاط المدينة كان في سنة 144هـ- 762م، المصدر السابق،ج6، ص 147؛).

[3] هي من مدن المغرب الأوسط الشهيرة، وهي مدينة كبيرة خصبة، كانت في ما سبق مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة والأخرى حديثة أحدثها عبد الرحمان بن رستم، لها مرسى على الساحل تحط فيه المراكب يسمى بمرسى فروخ أو مرسى فروج أو مرسى الدجاج، لها ثلاث أبواب باب الصبا وباب المنازل وباب الأندلس. وصفها اليعقوبي بعراق المغرب، أما المقدسي فقال:" إنها بلخ المغرب انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، فيها أخلاط من الناس، وفيها الإباضيون وهم الغالبون عليها"، أما أبو الفدا فذكر :"أنها كانت قاعدة المغرب الأوسط ...(أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص109 وما بعدها من عدة صفحات؛ الإصطخري، المصدر السابق، ص 39؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ المقديسي، المصدر السابق، ص189؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص139؛ البكري، المصدر السابق، ص66 وما بعدها؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7 وما بعدها، ولكثرة ما قيل عن مدينة تاهرت ذكر الباروني(سليمان بن الشيخ عبد الله، ت. 1359هـ-1940م) في كتابه الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية، ما كتبه المؤرخون المسلمون والمستشرقون عنها (ط.القاهرة)، ، من ص 18وما بعدها من عدة صفحات).

[4] المقدسي، نفس المصدر، ص189.

[5] أبو زكريا، المصدر السابق، ص20؛ الميلي، المرجع السابق، ج2، ص78.

المبايعة[1]، وتولى الإمامة في ما بين 160-162هـ/776-782م[2]، ويعتبر أوّل إمام مرحلة الظهور بالمغرب الأوسط[3].

فبدأت وفود من القبائل المجاورة تحط رحالها في تاهرت، لِمَا وجدته عند الإمام عبد الرحمن بن رستم من التسامح والتعايش السلمي، الذي انفردت به تاهرت خاصة وأنّها كانت مليئة بمختلف المذاهب والقبائل، حيث قال عنها المقدسي:" انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"[4]، أما ابن الصغير، المؤرخ المالكي الذي عاش في الدولة الرستمية، فقد لاحظ الوفود والرّفاق من كل الأمصار، وأقاصي الأقطار، وقال عنهم :" ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله..."[5].

فلم يقتصر المجتمع التاهرتي على الإباضية فقط، فقد شهد تنوعا في المذاهب، منها المعتزلة أو الواصلية[6] التي كانت من مراكزهم تسكن المغربين الأوسط والأقصى بأعداد قليلة، عكس سجلماسة التي كانت أكبر مراكز الصفرية، ومع ذلك كان مجمع الواصلية قريب من تاهرت، يسكنون في بيوت كبيوت الأعراب ويقدر عددهم بثلاثين ألفا[7].

---

[1] يذكر ابن الصغير أن الإباضيين كانوا خائفين من أن يتقلد أحد رؤسائهم البيعة، لأنه قد تفسد نيته ولعل المتقدم يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم، فيكثر الخلاف ويقل الائتلاف(أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص30؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 44-45).

[2] ابن الصغير، نفس المصدر ، ص30؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص81-82.

[3] جاء في كتاب الأعلام الإباضية عند ترجمة أبي الخطاب، أنّه أوّل إمام الظهور في المغرب حيث قال:" وعقدوا إمامة الظهور لأبي الخطاب، وهذاخلافا لما جاء في كتاب بالدولة الرستمية أنّ عبد الرحمن بن رستم أوّل إمام الظهور في المغرب(أنظر : بحاز ابراهيم، معجم أعلام الإباضية، ص247-248؛ بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص101.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص189.

[5] لما تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة، كانت سيرته حسنة فقد كان يجلس في مسجده للأرملة والضعيف لينظر في أمورهم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، حتى شاع خبره في مشارق الأرض ومغاربها،(ابن الصغير: المصدر السابق، ص 32-36).

[6] هي إحدى طوائف المعتزلة، أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، وسمي بهذا الاسم لتردده على سوق الغزالين. كان واصل من تلاميذ الحسن البصري ولخلاف بين هذا الأخير وبينه في مسألة القدر والمنزلة بين المنزلتين، طرده ومن اتبعه فاعتزلوا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فسموا بعد ذلك " بالمعتزلة"، وكان اعتزال هذه الفرقة يتمحور في: أولا: نفي صفات الله تعالى من علم وقدرة، وإرادة، وحياة، حيث يعتبرون هذه الصفات قديمة، ومن أثبت هذه الصفات فقد أثبت في نظره وجود إلهين، لكن أتباعه بعده ردّوا هذا القول، ثانيا: القول بمنزلة بين المنزلتين أي بين الكفر والإيمان، فالفاسق مثلا لا كافر ولا مؤمن، ثالثا: قوله في علي وأتباعه كالحسن والحسين وابن عباس، وعمار بن ياسر...وكل من كان معه يوم الجمل وأصحابه: طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ومن كان معهم يوم الجمل، أنّ فرقة من الفرقتين فسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة منهما، رابعا: القول بالقدر، أي أنّ الله تعالى حكيم عارف ولا يجوز أن يضاف إليه شرّ ولا ظلم، ويستحيل أن يريد من المكلفين خلافا، ما أمر به، ويحتم عليهم شيئا ثم يجاريهم عليه(أنظر: البغدادي، المصدر السابق، ص117وما بعدها؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص59 وما بعدها).

[7] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42؛ الباروني، المصدر السابق، ص29؛ البكري، المصدر السابق، ص67؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص9؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص296؛ الميلي، المرجع السابق،ج2، ص78-79؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص175.

ساد المجتمع التاهرتي في عهد عبد الرحمن بن رستم نوع من الحرية، والتعايش السلمي بين كل الفئات، فأقبل الناس على المدينة من كل الأمصار، ويرجع سبب هذه الهجرة أيضا إلى حسن سيرة الإمام وعدله في رعيته وأمانته [1] ، حتى لا ترى دارًا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين[2] ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين[3]، وهذا مسجد الكوفيين[4].

إنّ تسمية المساجد بأصحابها، دليل على تنوع المذاهب والفرق، وعلى تردد فقهاء الأمصار إليها للتعليم أو للمناظرات والجدل فيما بينهم، أو بينهم وبين الإباضية. والذي نتج عنه إتقان العلماء لأساليب المناقشة[5]، وقوة الاستدلال بالحجج المقنعة، كما نستنتج أن فقهاء هذه المساجد، كمسجد القيروانيين الذي ينسب لأهل القيروان، لا يُستبعد أن يكون للمالكيين، لأن القيروان في تلك الفترة غلب عليها المذهب المالكي منذ عهد سحنون، خاصة وأنّ العلاقة التي كانت تربط الدولة الأغلبية بجارتها الدولة الرستمية[6]، سادها من الناحيتين السياسية والمذهبية التعايش السلمي.

فلما تولى الأمير إبراهيم بن الأغلب الدولة الأغلبية كان حكمه يصل إلى بلاد الزاب، فهذه الجيرة تعتبر أحد أسباب دخول المذهب المالكي إلى الدولة الرستمية، وسبب آخر لما تولى سحنون بن سعيد قضاء القيروان ، أرسل قضاة إلى الأقاليم ، فعين سليمان بن

---

[1] بعد مبايعة عبد الرحمن بالإمامة، وصل خبر المبايعة وحسن سيرة الإمام عبد الرحمن، إلى إباضية البصرة، فأرسلوا إليه بثلاثة أحمال مال، فشاور أصحابه فيه، فأشاروا عليه أن يجعل منه ثلثا في الكراع وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس(أنظر، ابن الصغير: ص35؛ أبو زكريا ص84)؛ وذكر صاحب أزهار الرياض أنّ المال قدر بعشرة أحمال، (المصدر السابق، ص90-91)، قبل عبد الرحمن المال في المرة الأولى لكنه رفضه في المرة الثانية لاستغنائه عنه، فهناك من يحتاج إليه عوضا عنه.

[2] القرويون نسبة لمدينة القيروان.

[3] البصريون: (إذا كان نبوغ المذهب المالكي بالمدينة فيها تفجر ومنها انتشر...، واستقر ببلاد العراق بالبصرة فغلب عليها ابن مهدي والقعنبي وغيرهما، والمقصود بالقعنبي صاحب الرواية الشهيرة عن الموطأ الإمام مالك بن أنس، فإذا قلنا البصريون فلا يكون القصد منه أصحاب المذهب الحنفي دون غيرهم، فقول القاضي عياض يؤكد وجود المالكية وبكثرة (أنظر: القاضي عياض، المصدر الساق، ج1، ص53، السيوطي،تنوير أحوالك، ج1، ص11؛ الجيدي، محاظرات، ص158).

[4] الكوفيون: سموا بالكوفيين نسبة إلى مدينة الكوفة وهم من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ولاستقراره هناك وانتشار مذهبه في الكوفة (أنظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ص80-81) .

[5] بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص294؛ وأنظر أيضا: Chikh Bekri :Le kharijisme Berbère, annales de l`institut d`études orientales, T.XV, 1957, p88.

[6] دوّن التاريخ محاولة واحدة للأغالبة عندما نصبوا الراية العبّاسية على أراضي تاهرت من طرف محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب الذي أحدث في سنة(هـ239/ 823-871م) مدينة سماها العباسية فخربها أفلح بن عبد الوهاب الإباضي سنة (208-258هـ/823-871م)، ونشبت مرة أخرى نزاعات بين الإباضيين والأفارقة السنيين لم تتواجه الإمارتين ولم يشارك فيها الإمام الرستمي. (أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص82؛ محمد الطالبي، المرجع السابق، ص399-400).

عمران(ت.270هـ - 883م) قاضيا حنفيا بباجة، والأربس، وبجاية[1]، ولم يوله حتى امتحنه في مذهب مالك، فأظهر مذهب المدنيين وأنّه تارك لمذهب أبي حنيفة، وكان لا يقضي في قضية حتى يشاور سحنون فيها[2]، وأبا خالد يحي السهمي 234-240هـ/848-854م، أول قاض في منطقة الزاب[3]، وحمدون بن عبد الله المعروف بابن الطبنة تولى قضاء طبنة[4] ، وأبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي تولى القضاء بنواحي الزاب. [5] فهذه دلائل على العلاقة التي كانت تربط الدولة الرستمية بالدولة الأغلبية.

ومن مظاهر التسامح والتعايش السلمي في المجتمع الإباضي أنهم كانوا لا يمنعون المالكية وغيرهم من الصلاة في مساجدهم إلا المسجد الجامع[6]. فإنهم إذا رأوا فيه من يرفع يديه منعوه وزجروه، فإن عاد ضربوه[7]. وكانت تعقد مناظرات ومجادلات بين الإباضية وغيرهم، ومن أتى منهم إلى حلق الإباضية، قربوه، وناظروه ألطف مناظرة، ومن أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله ذلك، فكانت لابن الصغير عديد من المحاورات والمناظرات مع مشايخ الإباضية، في العديد من المسائل الفقهية والمذهبية، دون أن يتعرض للاضطهاد أو القتل، وهذا خلاف لما لاحظناه في افريقية لما تولى سحنون القضاء، وبدأ في نشر المذهب المالكي فيها، فقد منع المذاهب

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص598.

[2] الخشني، طبقات، المصدر السابق، ص180-181؛ الجودي، المصدر السابق، ص79.

[3] الهنتاتي، المرجع السابق، ص135؛ بحاز إبراهيم ،القضاة، ص499.

[4] بحاز إبراهيم ، نفسه.

[5] نفسه.

[6] من أهم مراكز التعليم والتلقين للفقه الإباضي، ففيه كان الأئمة يعقدون حلقاتهم الدراسية، وفيه يأخذ رأي الأمة في الشؤون التي تهمهم بالدّرجة الأولى، كما فعل عبد الرحمن بن رستم عندما جاءته الأحمال من بصرة المشرق، فهو يشبه جامع عقبة بن نافع في القيروان، ولايختلفان إلا في نقطة واحدة، ويمكن اعتبارها تكميلية، فجامع عقبة خاص للفقه السني، بينما جامع تاهرت خاص للفقه الإباضي(أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص 34-35 ؛ بحاز إبراهيم،الدولة الرستيمة، 283).

[7] المسجد الجامع، هو مسجد الإمام، فقد ذكر الميلي أنّهم يفعلون ذلك بغير إذن الإمام وعلمه وأنّ ذلك يكون بفعل من متعصبي العامة التي كثيرا ما تنصر دينها بما تأباه مبادئ ذلك الدين نفسه(أنظر: الميلي، المرجع السابق، ج2، ص78-79).

الأخرى سواءً كانت المذاهب السنية (حنفي) أم غيرها كالصفرية[1]، والإباضية والمعتزلة [2]، وذهب ألفراد بل إلى أنّ هذه المناظرات لإقناع العلماء أهل السنة باعتناق النحلة الإباضية، ما يجعل شأن تاهرت في نظره شأن القيروان وتونس حاضرتي العلم على مذهب أهل السنة[3].

هذا من الناحية الشرقية للمغرب الأوسط فكيف كانت الأوضاع في الناحية الغربية مع دولة الأدارسة؟ إنّ بعض الدراسات تتساءل عن السبب الذي جعل أبا زكريا، لا يعرض للعلاقات التي كانت بين الدولة الإدريسية[4] والدولة الرستمية فيقول إسماعيل العربي:" لا يذكر قليلا أو كثيرا عن دولة الأدارسة ولا عن علاقات هذه الدولة بالرستميين الذين كانت تتعايش معهم في سلم ووئام، وهذا الصمت يحيرنا..."[5].

وقد عرفت الجهة الغربية للمغرب الأوسط حسن الجوار مع جارتها دولة الأدارسة، فالأدارسة وصلوا إلى مدينة تلمسان سنة(173هـ-789م) وكان بها محمد بن خزر المغراوي[6]، الذي خرج إلى إدريس الأوّل مبايعا مطيعا فأمنّه وأبقاه بتلمسان، وفي تلك الفترة كان أهل المغرب الأقصى مالكية، وجعل إدريس الثاني المناصب العليا في دولته للعرب الوافدين عليه من القيروان ومن الأندلس، وكانوا على المذهب المالكي ، فأخذهم بطانة وحاشية دون غيرهم منهم قاضيه وكاتبه ووزيره[7] ، فلما انتهى من بناء مدينة

---

(1) هم من الخوارج، أصحاب زياد بن الأصفر وقيل إنّ الصفرية ينسبون إلى " عبيدة"، خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، إذا كانوا على نفس الدين والاعتقاد، واتفقوا على انّ أصحاب الذنوب مشركون، وأنّ الأعمال التي يقع فيها الحد يتسمى صاحبها باسمها كالزاني، والسارق والقاذف وقاتل العمد، وليس صاحبها كافرا ولا مشركا، أمّا الأعمال التي ليس فيها حد كالصلاة والصوم فصاحبها كافر ومن أقوال زعيمهم الشرك شركان: شرك طاعة الشيطان وشرك عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان: براءة من أهل الحدود سنّة، وبراءة من أحد الحدود فريضة، وظهرت أفكارهم في المغرب بواسطة دعاتهم، عكرمة مولى بن عباس، وعبد الأعلى ابن جريح، وسلمة بن سعد في أوائل القرن الثاني الهجري (الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص169؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص159-160؛ البغدادي، المصدر السابق، ص91 وما بعدها؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص153؛ موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص158).

(2) كانت تعقد حلقات ومناظرات في مساجد إفريقية، بل في جامع القيروان ذاته، ورغم ما عرف من تعصب المالكية وبغضهم لمخالفيهم، فقد سمحوا للخوارج بممارسة نشاطهم في إفريقية، حتى مجيء سحنون فمنعها(أنظر أبو العرب، المصدر السابق، ص120؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص409؛ الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص55- 192؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص294)

(3) ألفرادبل، المرجع السابق: ص149.

(4) كانت دولة الأدارسة في ذلك الوقت يعمها المذهب المالكي (أنظر: ص56 وما بعدها).

(5) أبو زكريا، المصدر السابق، ص 35.

(6) التنسي (أبو عبد الله، ت899هـ/1494م): تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقبان، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص35.

(7) ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص29؛ الناصري، المصدر السابق،ج2، ص31.

فاس (193هــ/808م)[1]، وانتقل إليها أسس بها مسجدا فعظم شأنه، ثم استأنف إدريس بن إدريس الفتح، فدخل بلاد المصامدة فدانت له ثم توجه إلى تلمسان ووصلت جنوده إلى مدينة شلف، فملك المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط[2].

أما الأندلس فقد ساهم أهلها في إدخال المذهب المالكي إلى المغرب الأوسط، فقد فذكرت بعض الدراسات أنّ محمد بن رستم ساعد الأمير عبد الرحمن الداخل في حروبه مرتين ففي المرة الأولى سنة 214هــ -829-830م وفي الثانية سنة230هــ-844م في أشبيلية[3]، التي دامت مدة طويلة حيث انهزم فيها في البداية ثم تحقق له النصر في الأخير، فقد يكون ممن ذهب معه من قواده وجنوده احتك بجند الأندلس وأخذوا عنهم أصول المذهب المالكي خاصة وأن غازي بن قيس أدخل الموطأ زمن عبد الرحمن بن معاوية[4].

كما تمركزت فيها جاليات أندلسية في المدن الساحلية قصد التبادل التجاري، فنجد مثلا أنّ مدينة وهران قام ببنائها مجموعة من الأندلسيين البحريين منهم اثنين من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون سنة 290هــ/902م، بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل بنو مسكين[5] ، وقام الأندلسيون أيضا ببنـــاء مدينة تنس[6] سنة 262هــ /875م، التي أصبح ميناؤها مقصدا لمراكبهم يأتونها بمتاجرهم وينتقلون منها إلى ما سواها من المدن[7]. وكان يسكنها فريقـــان من الأندلسيين

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص193.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص40-41.

[3] تقول مريا خيسوس أن المرة الأولى كانت عندما ثار الضراب بطليطلة، أما المرة الثانية فعندما هاجم المجوس إشبيلية. وقد اعتمدت على قصة لابن عذاري بسبب نقص فقرات من المقتبس لابن حيان(أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص87-88؛ مريا خيسوس: محمد وعبد الرحمان في قرطبة: مجلة الأصالة،العدد45، السنة الخامسة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر جمادى الأولى 1397هـ ماي 1977م، ، ص62).

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص41.

[5] البكري، المصدر السابق، ص71؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص136؛ الباروني، المصدر السابق، ص55؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 133-134؛ فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنسر والتوزيع، الجزائر، 1982م ، ص101؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص135.

[6] هي مدينة قديمة ساحلية بينها وبين البحر ميلان، وهي من المدن الكبيرة التي يقصدها التجار الأندلسيون والقرويون، ومحطة للانتقال إلى غيرها، بناها الأندلسيون سنة 262هـ- 876م، وسكنها أهل تدمير والبيرة.(أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص78؛ البكري، نفسه، ص61-69؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص104؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص48؛ خلف محمد نجيب، المرجع السابق، ص251 وما بعدها).

[7] ابن حوقل ، نفس المصدر، ص78.

من أهل البيرة وأهل تدمير، [1] واستوطنوا بونة[2]، وبجاية ومرسى فروخ،[3] كانت تحط فيها قوافل التجار التي كانت تأتي من القيروان أو من تاهرت متجهة نحو الأندلس،[4] ومما له دلالة أكثر أنّ أحد أبواب تاهرت كان يسمى باب الأندلسيين[5].

لقد ذكرت بعض الدراسات أنّ "عبد الرحمن ومحمد بن رستم بوجودهما في بلاط القرطبي قد صنعا شبكة معقدة من القضايا السياسية والفكرية، والاقتصادية بالنسبة للعلاقات بين الأندلس والمغرب في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي"[6]، و يرجع البعض أنّ هذه العلاقات بدأت في عهد عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/756-788م)عندما مرّ ببلاد المغرب، قبل دخوله إلى الأندلس، بإحدى قرى مدينة تاهرت القديمة، كذلك احتماء عبد الله البلنسي في تاهرت الذي ثار بعد وفاة عبد الرحمن الداخل في الأندلس في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن[7]. فرغم أن الأندلسيين كانوا سنيين والرستميين كانوا إباضيين، فالعلاقة بينهما كانت طيبة، واختلافهما في المذهب لم يؤثر سلبا فيهما، فالمذهب الإباضي كان أقرب مذاهب الخوارج إلى مذهب أهل السنة، وكان ذلك جليا عندما تحالف فقهاء المالكية مع أبي يزيد مخلد بن كيداد.[8]

وفي الأخير نستطيع أن نقول كان للرستميين دور بارز في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط فقد حملت هذه الدولة كما يقول ابن تاويت الطنجي:" مشعلا عظيما للحضارة والعلم في الشمال الإفريقي فكانت تلي القيروان في ذلك" [9]. وأكدت بعض الدراسات ذلك، حيث ذكرت أنّه لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة (101هـ-719م)أرسل عشرة من التابعين إلى بلاد المغرب ليعلموا البربر الحلال والحرام[10]، وهي لا تستبعد أن يكون هؤلاء قد توزعوا على أقاليم المغرب ولم تضمهم القيروان وحدها وحتى إفريقية لم

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص61؛ ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص117؛ فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص101؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص135.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص262.
[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص109؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص101-102؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص135.
[4] نفس المصدر ، ص109-110.
[5] البكري، المصدر السابق، ص66؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص25-26.
[6] ماريا خيسوس، المرجع السابق، ص59-60.
[7] نفس المرجع ، ص70-71.
[8] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص295؛ وأنظر أيضا: Chikh Bekri, op.cit., pp. 98-101.
[9] ابن تاويت الطنجي: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد: مج5، العدد1-2، 1377هـ/1957م، ص126، بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، ص261.
[10] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص61؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص48.

تكن في نظرهم بحاجة إليهم، فانتشروا في المغرب الأوسط والأقصى ليعلموا البربر شعائر الدين وربما كانوا هم الذين يفصلون في المنازعات والخصومات في تلك الأقاليم، فكان البربر يهرعون إليهم يستشيرونهم فيما أشكل عليهم من العلاقات الاجتماعية والمعاملات[1].

كما شهد المغرب الأوسط عددا من الفقهاء المالكية في القرن الثالث (الهجري التاسع الميلادي)، ذكرتهم كتب السنيين والإباضيين، وهذا المؤرخ ابن الصغير المالكي [2] الذي عاش في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وعاصر الدولة الرستمية، ذات المذهب الإباضي، سكن تاهرت وكتب مشاهداته والأخبار التي وصلته لكن لا يُعرف عنه الكثير، إلا ما سجله هو في كتابه، وقد ذكر المحققان في ترجمته أنه لم يكن من مواليد تاهرت[3]، وإنما استوطنها ابتداءً من أواخر إمامة أبي اليقظان بن أفلح، الذي توفي سنة (281هـ-894م) [4]. وقد اختلف في مذهبه ، فرأى البعض أنّه مالكي، ورأى البعض الآخر أنّه شيعيا، وذهب إبراهيم بحاز ومحمد ناصر إلى أنّ ابن الصغير شيعي، مستدلين بنص المناظرة التي جرت بينه وبين أحد الإباضيين الذي قال له:" من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق" [5] فوجه الاستدلال عندهم سؤال أبي الربيع لابن الصغير " من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق" [6] فالحجازيون هم أصحاب الإمام مالك، أما العراقيون فهم أصحاب أبي حنفية ، فأغلب الظن عندهم أنه عراقي المذهب ويضيفان أن العراق في هذه الفترة كانت تعج بالفرق والمذاهب، و يحتمل أن يكون شيعيا[7] واستدلا كذلك على أن ابن الصغير كثيرا ما أشار

---

[1] نفس المصادر السابقة؛ بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص137.

[2] يعتبر كتاب أخبار الأئمة الرستميين من أقدم الكتب التي أرخت للدولة الرستمية، فكانت أوّل دراسة منشورة سنة 1885م، في حوليات الجامعة التونسية تحت رعاية كلية الآداب جامعة الجزائر، نشره المستشرق البولندي موتيلانسكي، وطبع الكتاب ضمن أعمال المستشرقين للمؤتمر الرابع عشر الذي انعقد بالجزائر سنة 1905م، ثم طبع بعدها ضمن الكراسات التونسية العدد26، سنة 1975- 1976، قدمه محمد الطالبي، يحتوي على نص باللغة الفرنسية ويقابله نص آخر باللغة العربية،وقد ذكر محمد الطالبي:" أنّ النص الكلي للمخطوط توجد منه نسخة وحيدة حسب علمه في منطقة الميزاب"، وفي نفس السنة أي 1976 نشرته مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية التونسية ضمن العدد 11، (أنظر: Talbi :Chronique d`Ibn Saghir sur les imams Rostemides de Tahert, les cahiers de Tunisie,T.26,3em et 4emtrimestres, 1975, p321a368 ; Encyclopédie de l`Islam, art « Ibn Saghir » T. III, Paris, 1975, p949.)

[3] ترجح وداد القاضي أنه مغربي لكونه جاهلا تماما بالتاريخ المشرقي(مؤرخ الدولة الرستمية،مجلة الأصالة، العدد 45، السنة الخامسة، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر 1397هـ/1976م، ص38).

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص13.

[5] نفس المصدر، ص118.

[6] نفسه.

[7] نفس المصدر، ص13.

إلى ميوله العلوية[1]، لحديث:" مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِي مَوْلاَه".[2] ووجه الاستدلال حسب رأيهما أن هذا الحديث من الأحاديث المشكوك فيها، بين المعترف بصحته والرافض له، ويضيفان بأن الشيعة العلوية يؤمنون بصحة الحديث لأنه يخدم معتقداتهم وبالتالي فابن الصغير لم يستشهد به إلا لكونه علويًا شيعيا معتدلا. كما أنّ ما ذهب إليه المستشرق البولندي Lewicki T. في دائرة المعارف الإسلامية، من أن ابن الصغير كان متشيعا " علوي الهوى" فحسب رأيهما استنتاجه غير سليم[3]. كما كان ابن الصغير يأخذ خطب الجمعة التي كان يلقيها في تاهرت من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[4].

أما وداد القاضي فترجح أن ابن الصغير سنيا مالكا، بناءً على عدة أدلة، منها ما أكده سليمان الباروني في عدة مواضع من كتابه أنه كان مالكيا تستشهد كذلك بالحديث نفسه الذي استشهد به المحققان لابن الصغير:" من كنت مولاه فعلي مولاه"، فهو من الأحاديث الصحيحة لدى أهل السنة.

إنّ ما ذهبت إليه وداد القاضي في اعتمادها على الحديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" والذي استشهد به ابن الصغير، فهذا الحديث صحيح، لقد نقله ابن تيمية في رسالته " تفضيل أبي بكر و علي - رضي الله عنهما- عن أحمد ابن حنبل ، كما ورد عند الألباني ضمن الأحاديث الصحيحة[5]. وأن ما ذهب إليه المستشرق ليس سليما كذلك، ودليله المناظرات التي جرت بين ابن الصغير وبين العلماء الإباضية، منهم الشيخ الإباضي أبو الربيع سليمان الهواري[6] في مسألة خيار البنت، فقال له :"من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم، من الحجازيين والعراق، بين أنّ الرجل إذا زوج ابنته البكر

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص13.

[2] ابن حنبل (أحمد، ت241هـ-856م): مسند، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1992م، ج1، ص84؛ الترميذي(محمد بن عيسى بن سورة، ت679هـ-1280م): السنن، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كتاب المناقب عن رسول الله، رقم 3713، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص842؛ وصححه الألباني في صحيح السنن للترميذي، باب المناقب، رقم 3713،ج3، ص521-522؛ ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت673هـ-1274م)، السنن، تأليف ضفاء الضوّ أحمد العدوي ، باب فضائل علي- كرّم الله وجهه- رقم 121، دار اليقين، 1422هـ/2001م، ج1، ص81 ؛ وصححه الألباني في كتاب المناقب، باب فضائل علي كرّم الله وجهه- رقم 121، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 37.

[3] وداد القاضي، المرجع السابق، ص39؛ وأنظر أيضا:.Encyclopédie de l`Islam,Op, Cit., p.949

[4] يقول المؤرخان: إنهما يرجحان أنّه علوي إلا أنهما يشعران يقينا أن المسألة مازالت بحاجة إلى أقلام وبحوث، فلعل اجتهادهما يكون حافزا لغيرهم للتدقيق في الأمر أكثر(أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص14).

[5] ابن حنبل، المصدر السابق، ج1، ص84.

[6] ذكرت المصادر العديد من الأشخاص بهذا الاسم والكنية، إلاّ أنّهم من النفوسيين، والأقرب إلى فترة ابن الصغير سليمان ابن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الرّبيع، وهم من الطبقة السابعة (300- 350هـ)، (أنظر: ابن الصغير،المصدر السابق، ص118؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص349-350).

وهي صغيرة وأدركت أنّ لا خيار لها في نفسها وأنتم تقولون إنّ الرجل إذا زوج أمته وعتقت أنّ لها الخيار ولا فرق بين الأمة والصغيرة لأنّ الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وإنما كان الحكم لسيدها فلما أعتقت وصار الحكم إليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأن الحكم لأبيها فلما أدركت صار الأمر إليها فلم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد..."[1] .

أمّا الباروني فيقول عنه:" المؤرخ المالكي في أئمة بني رستم ومدينة تاهرت دار إمامتهم وهو كلام لم يجد به أحد من المؤرخين منا ومن غيرنا لا قبله ولا بعده"[2]، وفي موضع آخر يقول:" أما المؤرخ ابن الصغير العلامة الخطير، المالكي الشهير الذي يبحث في أحوال تاهرت"[3]، فهذا دليل على أنه مالكي بشهادة مؤرخ إباضي.

كما يفيدنا محمود إسماعيل أن المذهب الإباضي كان أقرب مذاهب الخوارج إلى مذهب أهل السنة، فلم يجد فقهاء القيروان ما يحول دون التحالف مع الإباضية لمناوئة المذهب الشيعي[4]، كما يضيف أن هذا الائتلاف ظهر بشكل واضح في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.[5]

وفي الختام إن الفقهاء المالكية والمذهب نفسه كانوا موجودين في المغرب الأوسط حتى لو لم نحصل على المصادر الكافية التي تشير إلى من أدخل المذهب إليه مثل ما لاحظناه في دول بلاد المغرب الأخرى، وقد قال الاصطخري:" والغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث وأغلبها عليهم في الفتيا مذهب الإمام مالك بن أنس...".[6]

فقد ظهر بالمغرب الأوسط فقهاء مالكية أخذوا علم مالك بن أنس من طلبته مثل سحنون بن سعيد التنوخي، منهم أبو القاسم الزواوي الذي ذكره أبو العرب دون ذكر بأنّ

---

[1] يقصد بالحجازيين أصحاب الإمام مالك بن أنس أي أصحاب المذهب المالكي، أمّا العراقيون فهم أصحاب أبي حنيفة،(أنظر الملحق رقم : 2 ؛ ابن الصغير، المصدر السابق، ص 118 وما بعدها، محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 294).

[2] الباروني، المصدر السابق، ص290- 291.

[3] نفس المصدر، ص41.

[4] دخل أبو عبد الله الشيعي تاهرت بأمان فقتل فيها من الرستميين عددًا كثيرا وبعث برؤوسهم إلى أخيه العباس فطيف بهم بالقيروان(البكري، المصدر السابق، ص683).

[5] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص295.

[6] الإصطخري، المصدر السابق، ص45؛ وقد علق محمد الشريف. على ما قاله الإصطخري أن عبارة أهل المغرب الواردة في النص تحيل ـ فيما يعتقده- على المذاهب السنية حصرًا، فمن المعلوم أن المذهب المالكي بدأ ينتشر ببلاد المغرب والأندلس في عهد مالك بن أنس نفسه، وسرعان ما تحول إلى المذهب الرسمي للدولة الأموية بالأندلس"(أنظر: ص 109في مقاله "جغرافية التيارات المذهبية بالمغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن 4هـ/9م"، ضمن كتاب لحسن حافظي علوي: المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1429هـ/2008م.

له سماع من الإمام مالك بن أنس، لكن المالكي ذكر أنّه سمع من مالك[1]، وقد لا يكون الوحيد الذي سمع من مالك، فالمعلومات عن المغرب الأوسط قليلة.

والفقيه الوليد مروان بن أبي شحمة من أهل المسيلة وهو مولى آل عامر بن نافع المسيلي، كان سحنون يُعرّف فضله، سمع منه أحمد بن وزان الصواف[2]، فلم يسمع منه إلا الشيوخ الكبار، كان معاديا لأهل الأهواء، قال عنه المالكي:" كان ثقة مستجابا فاضلا"، وقال غيره، كان فقيها صالحا، ورعًا زاهدا متقللا في الدنيا، من العاملين الخائفين المتبتلين في العبادة، سمع من الفقيه وكيع بن الجراح، ومن عبد الرحمن بن مهدي، قال عنه الدّباغ :"كان يعمل الطوب بيده فيصدّق بثلث ما يربح وينفق ثلثا على عياله، ويرد ثلثا في الطين والتبن، وفيما يصلح به عمل الطوب"، بعث في طلبه الأمير محمد بن الأغلب فلما وصل إلى باب قصره رأى خصيا بيده عود فكسّره، فلما دخل على الأمير عاتبه على ذلك، فقال له:" رأيت منكرا فغيرته". ثم سأله عن مذهبه، فقرأ عليه سورة الإخلاص، وكان موته قريبا من موت سحنون، فقد توفي في شوال سنة 242هـ- 856م، وعمره أربع وتسعين سنة .[3]

والفقيه بكر بن حماد بن إسماعيل الزناتي التاهرتي[4]، عُرف بفضله وثقته، ولكثرة حفظه للحديث أصبح من السهل عليه أن يميز بين رجاله من مدن المغرب والمشرق، فقد أخذ عنه من إفريقية أبو العرب تميم صاحب كتاب طبقات إفريقية، وعون بن يوسف[5]،

---

[1] أبو العرب، المصدر السابق، ص154؛ المالكي، المصدر السابق، (ط.بيروت)،ج1، ص248.

[2] أبو جعفر، من أصحاب سحنون سمع منه ومن مروان بن أبي شحمة، كان من فضلاء المتقدمين والعباد المجتهدين، قال عنه أبو العرب :" كان فقيها عالما بالفقه، والمناظرة ، ثقة حسن العقل" (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق،ج3، ص268-269).

[3] أبو العرب، المصدر السابق، ص115؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص392-393؛ الدباغ، المصدر السابق،: ج2، ص107؛ محمد العروسي المطوي: سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، دار الكتاب، ليبيا، تونس، 1981م، ص64-65؛ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق،ج1، ص179.

[4] ذكره صاحب الأزهار الرياض في المشكوك في مذهبهم قال عنه إنه إما إباضي أو صفري، لكن قوله لا يحمل على الصحة لأن معظم المصادر القديمة سنية كانت أو إباضية لا تذكر ذلك، إنما تجعله من الفقهاء المالكية و المراجع الحديثة تؤيد هذا الرأي. كذلك الذي أخذ عنهم من فقهاء المالكية كسحنون الذي كان يكره المذاهب غير السنية والذي قام بفض حلقتهم فكيف يعقل أن يجالس بكرا ليأخذ العلم عنه، وحتى الذين أخذ عنهم في المشرق والأندلس إما محدثين أو لغويين أو شعراء (ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص67؛ ابن مخلوف، المصدر السابق،ج1، ص108؛ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص21؛ الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص281)، لم يذكر الباروني أنه سمع من سحنون ومن مسدد الباروني،المصدر السابق، ص28.، وذكر في طبقات أبي العرب في مواضع متفرقة (المصدر السابق)؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص55- 84، عبد الرحمان الجيلالي، نفس المرجع،ج1، ص180، محمد العروسي المطوي، نفس المرجع، ص148.

[5] كان رجلا صالحا، قدم المدينة سنة 180هـ/796م وأدرك أربعين رجلا من معلمي ابن وهب المالكي: (نفس المصدر، ج1، ص385 وما بعدها من عدة صفحات).

ومن الأندلس أخذ عنه قاسم بن أصبغ بن محمد البياني القرطبي (ت. 340هـ- 951م)،[1] ويعتبر من الأئمة المكثرين لحفظ القرآن، مأمونا ثبتا، صدوقا إماما حافظا وشاعرًا في نفس الوقت، قال بكر بن حماد عن نفسه:" لما فرغت من قراءتي كتبي كلها على عون وقلت له:" يا أبا محمد كيف كان سماعك من ابن وهب؟" فقال لي:" يا بني، أقال لك أحد فينا شيئا؟" ثم قال لي:" والله لا أجد أن يعذب الله أحدا من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- بسببي النّار أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر عمله إن كنت أخذتها من ابن وهب إلا قرأت عليه أنا، وقرأ عليّ"، سافر إلى البصرة سنة 217هـ- 832م، وأخذ عن الفقيه مسدد الأسدي مسنده[2] وفقهاء آخرون كعمر بن مرزوق وابن الأرابي والرياشي، وأبو حاتم السجستاني، ولقي جماعة من الشعراء منهم دعبل بن علي الخزاعي، وعلي بن الجهم، وغيرهم، ويذكر المترجمون لبكر بن حماد أنّه مدح المعتصم ووصله هذا بصلات جزيلة، وهذا إنما يدل على مكانة بكر بن حماد لدى العباسيين من خلفاء وشعراء.

وكان بينه وبين دعبل بن علي الخزاعي نزاع، إذ أنّ دعبل من الشعراء الشيعة الذين اشتهروا بهجاء الخلفاء العباسيين، فكان مصرعه على أيديهم، فقد ذكر محمد علي مكي:"أنّه من الطبيعي أن يصطدم الشاعر بكر بن حماد دعبل، لأن بكرًا كان سنيا متطرفا وكانت نشأته الأولى في رحاب دولة تدين بمبادئ الخوارج"[3]، فقد قال فيه:

أيهجو أمير المؤمنين وَرهطــه ... ويمشي على الأرض العريضة دِعْبَلُ

أما والذي أرسى ثبيرا مكانـــــه ... لقد كانت الدنيـــا لـــذاك تَزلْزَلُ!

ولكنْ أميـــر المؤمنين بفضلـــه ... يَهُـــمُّ فيعـــفـــو، أو يقـــول فيفعـــل!

وقال في أحمد بن القاسم بن إدريس حاكم مدينة كرت [4] بالمغرب.

---

(1) من قرطبة سمع من بقي بن مخلد، والخشني وابن وضاح، ومطرف بن قيس، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من محمد ابن إسماعيل الصائغ، وبالعراق من القاضي إسماعيل، ومحمد بن إسماعيل الترميذي وعبد الله بن حنبل، وابن قتيبة ثم عاد إلى الأندلس بعلم كثير ألف عدة كتب توفي سنة 340هـ/ 952م (الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص2، ابن فرحون، المصدر السابق، ص321-322؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص108؛ عادل النويهض،المرجع السابق، ص84-55).

(2) هو ابن مسرهد بن مسربل الأسدي(أبو الحسن البصري الحافظ)، روى عن ابن عيينة، وفضل بن عياض، ويحي القطان وغيرهم وروى عنه البخاري، وأبو داوود، وصنف مسندا، توفي سنة 228هـ - 843م (السيوطي، طبقات الحفاظ، ص184-185).

(3) محمد علي مكي: التاهرتي شاعر المغرب العربي في ق3هـ/9م، مجلة العربي، العدد53، كويت، 1962م، ص81.

(4) أو "كرت" من مدن المغرب الأقصى تقع على سفح جبل، لا سور لها، قال عنها البكري أنها " خربة"(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص111؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص186).

إن السماحة والمروءة والندى جُمعت لأحْمدَ مِن بني القاسِــمِ

وإذا تفاخرت القبائل وانتمت فافخر بفضل محمد وبفاطــم

وبجعفر الطّيار في درج العُلا وعليٍّ العَضْبِ الحسام الصَّارم

كما مدح أبا العيش عيسى بن إدريس العلوي حاكم مدينة جراوة[1] المجاورة لتاهرت[2]. عاد إلى مدينة القيروان فجلس بالجامع لإملاء العلم والأدب سنة(274هــ-887م). وذكر التازي أنّه استدعي من طرف الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس لزيارة فاس [3]، وتوفي سنة (296هــ-908م) بعد تعرضه إلى قطّاع الطرق أثناء عودته من القيروان إلى تاهرت، وقيل إنّه لما صار بسباطة، قتل ولده عبد الرحمن وجرح بكر بن حماد [4]، وهو ابن ست وتسعين سنة بقلعة حمة في شمال مدينة تاهرت، وصلى عليه الفقيه موسى بن البادسي[5].

والفقيه عبد الرحمن بن بكر بن حماد، له رحلة إلى الأندلس وحدّث بقرطبة عن أبيه، وكتب عنه غير واحد من شعر أبيه ومن أحاديثه، توفي في سنة 296هــ-908م عند عودته من القيروان إلى تاهرت مع أبيه[6].

والفقيه قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي تتلمذ على بكر بن حماد، كان من أهل الحديث[7]، دخل الأندلس سنة 317هــ/ 929م وهو صغير السن.

والفقيه أبو عبد الملك الملشوني[8] وإبنه إسحاق، كانا عالمين ممن يأخذ عنهما، فقد سمع منهما أبو عبد الله بن ميمون مقاتل وغيرهما، قال عنه المالكي:" كان ربما جالس سحنون بن سعيد"، لأنّه شُوهد عنده وقال عنه أبو العرب:" احسبه قال سمع منه"، كانت له

---

[1] هي مدينة بالمغرب الأقصى بينها وبين وادي ملوية مرحلة وهي من جهة الأندلس، ينسبها ياقوت الحموي ينبها إلى مدن إفريقية وهي بين قسنطينة وقلعة بني حماد(أنظر: البكري، نفس المصدر، ص99؛الإدريسي، نفس المصدر، ص189؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص117 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص 196).

[2] الباروني، المصدر السابق،ص71 وما بعدها.

[3] يذكر محمد علي مكي أنّ بكرا ظل في كنف الأمير الإدريسي زمنا لا نعرف مداه، ثم عاد إلى تاهرت مسقط رأسه في إمارة أبي حاتم ما بين 281هـ و294هـ، وأنّ بكرا اشترك في الثورة التي نشبت ضده، ثم عاد إلى القيروان وعند عودته أصيب بجراح، (محمد علي مكي، المرجع السابق، ص83؛ التازي، المرجع السابق،ج1، ص253).

[4] اتفقت المصادر على انه توفي بتاهرت (الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص282؛ الباروني: المصدر السابق، ص25؛ أما صاحب شجرة النور الزكية فيجعل وفاته بالقاهرة، (ابن مخلوف، المصدر السابق،ج1، ص108).

[5] لم نعثر على ترجمة له، إلا صلاته على بكر بن حماد التاهرتي.

[6] قتل مع أبيه عند عودته إلى تاهرت لكن ابن الفرضي الوحيد الذي يقول بأنه توفي بقرطبة(ابن الفرضي، المصدر السابق، ص220؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص84).

[7] نفس المرجع، ص85؛ الباروني، المصدر السابق،ص76.

[8] قرية من قرى بسكرة تسمى ملشون(أنظر البكري، المصدر السابق، ص52، أبو العرب، المصدر السابق، ص98).

حادثة مع سليمان بن عمران ذكرها ابن الحارث الخشني قال:" سمعت من يحكي أن سليمان بن عمران لقي إسحاق يوما فقال له :" لله أيها الرجل أنت لولا أنّك جاهل بحرام الله وحلاله" فقال له إسحاق:" لله أيها الرجل أنت لولا أنّك جاهل بعظمة الله وجلاله"، قال أبو العرب عنه:" أنّ الأمراء الأغالبة كانوا يبعثون إليه في رمضان ليحدثهم تلك العجائب".[1]

والفقيه أبو حاتم يحي بن السهمي وأخوه العباس بن خالد سمع من عثمان بن صالح في مصر ومن غيره، كان رجلا صالحا، قليل الفقه، ينسب إلى قريش، ولاّه سحنون قضاء الزاب (234-240هـ/848-854م)، وكان أول قاض لهذه المنطقة[2] قال عنه أبو العرب:" ما علمت أحدا حدث عنه إلاّ ابنه وأخوه[3].

---

[1] أبو العرب، نفس المصدر، ص98؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص401؛ البكري، نفس المصدر، ص52؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص52؛ عبد الرحمان الجيلالي،المرجع السابق، ص179.

[2] بحاز إبراهيم، القضاة، ص499.

[3] أبو العرب، المصدر السابق، ص161.

فقهاء المالكية في المغرب الأوسط في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
أبو الوليد مروان ابن أبي شحمة	242هـ -856م	المسيلة	القيروان	أبو العرب، طبقات، 115-116؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص392-393؛ الدّباغ، معالم الإيمان، ج2، ص106-107.
بكر بن حماد بن سمك التاهرتي	296هـ- 908م	تاهرت	القيروان- البصرة-	أبو العرب، طبقات، ص37 وما بعدها من عدة صفحات؛ المالكي، رياض النفوس، ج2، ص21 وما بعدها؛ الدّباغ، معالم الإيمان؛ ج2، ص281 وما بعدها؛ابن فرحون، شجرة النور الزكية، ج1، ص108؛ ابن عذاري ،البيان، ج1، ص67 ؛ الباروني،أزهار الرياضة، ص28 ؛عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص55.
عبد الرحمن بن بكر بن حماد	296هـ- 908م	تاهرت	الأندلس- القيروان	المالكي، رياض النفوس،ج2، ص21-22؛ الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص281 وما بعدها؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص220؛ عادل النويهض أعلام الجزائر، ص84.
موسى بن البادسي	حيا 296هـ- 908م	تاهرت	لا يوجد	نفس مصادر بكر بن حماد
ابن الصغير المالكي	ق 3هـ- 9م	تاهرت	لا يوجد	الباروني، أزهار الرياضة، ص290-291 ؛ وداد القاضي: مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد 45،ص38 وما بعدها ؛ محمد الطالبي ابن الصغير دائرة المعارف الإسلامية،ج3، ص658 والكراسات التونسية، 26، ص321-368.
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي	ق 3هـ - 9م	تاهرت	لا يوجد	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص85.
أبو عبد الملك الملشوني	ق 3هـ -9 م	بسكرة	لا يوجد	أبو العرب، طبقات، ص98؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص401-402؛ القاضي عياض ترتيب المدارك، ج1، ص401؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص 51.

إسحاق بن عبد الملك الملشوني	ق3 هـ - 9 م	بسكرة	القيروان	أبو العرب، طبقات، ص98؛ المالكي، رياض النفوس،ج1، ص401-402؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص401؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص 51.
أبو حاتم يحي بن خالد السهمي	ق3 هـ 9م	الزاب	القيروان - مصر	أبو العرب، طبقات، ص120-121؛ بحاز إبراهيم: القضاة في المغرب، ص499.
زواوة بن النعيم	ق3هـ 9م	المغرب الأوسط	صقلية	ابن خلدون،العبر، ج6، ص286-287؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص76.
الزواوي	ق3هـ - 9م	الزواوة	لا يوجد	أبو العرب، طبقات، ص 154، المالكي رياض النفوس، ج1، ص248.
حمدون بن عبد الله المعروف بالطبني	ق3هـ 9م	طبنة	لا يوجد	بحاز إبراهيم، قضاة المغرب، ص499.

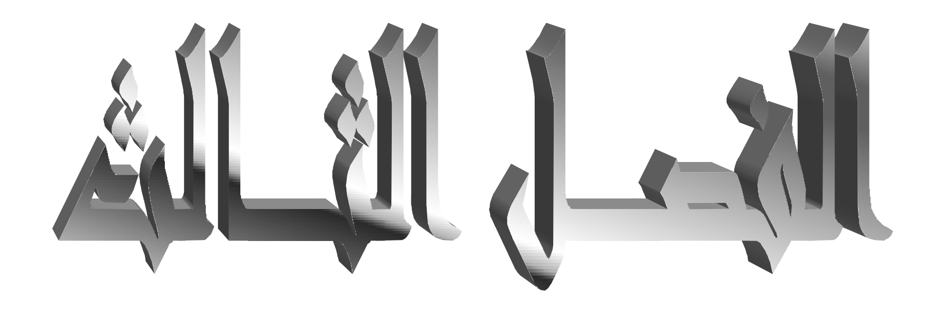
الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
سليمان بن عمران	270هـ - 883م	القيروان	بجاية	أبو العرب، طبقات، ص180-181؛ القاضي عياض، المدارك، ج1، ص598؛ الجودي، تاريخ قضاة القيروان، ص79.
أبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي	ق3هـ - 9م	القيروان	الزاب	بحاز إبراهيم، قضاة المغرب،ص499.
إبراهيم بن يونس	ق 3هـ - 9م	القيروان	الزاب	بحاز إبراهيم، قضاة المغرب، ص499.

ملاحظة:

1 - استعملت كتاب رياض النفوس للمالكي تحقيق بشير بكوش فيما يخص تراجم فقهاء المالكية.

2 - هذا ما استطعت جمعه وترتيبه حسب تاريخ الوفاة اعتمادا على ما تحصلت عليه من المصادر والمراجع.


الفصل الثالث

الفصـــل الثـالـــث

المالكية في المغرب الأوسط خلال العصر الفاطمي :

أولا: المغرب الأوسط والدولة الفاطمية

1 - سياسة الفاطميين في المغرب الأوسط

2 - جهود الفاطميين في فرض التشيع في بلاد المغرب الأوسط

ثانيا: معارضة المالكية للتشيع

أ- المعارضة السلمية

1 -المناظرات بين الفقهاء المالكية والشيعة

2 - الرحلات بين المدن

3 - المعارضة بالتأليف

ب - المعارضة المسلحة

- دور الفقهاء المالكية في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد

ثالثا: محنة الفقهاء المالكية

1- الأموال

2- التشريق

المذهب المالكي في المغرب الأوسط خلال العصر الفاطمي

أولا : المغرب الأوسط والدولة الفاطمية

1- سياسة الفاطميين في المغرب

لقد عرفت الدعوة الشيعية[1] طريقها إلى المغرب في وقت مبكر ويعود ذلك إلى رحلة العلماء إلى المشرق والحركة التجارية إذ أنّهم لم يعودوا منه بالمذهب السني فقط [2]. ففي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، كثف دعاة الشيعة نشاطهم وساعدهم على ذلك تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق اقتصاديا واجتماعيا، ما جعلهم يروجون فكرة المنتظر، التي تمحور حولها الفكر الإسماعيلي، وجعلت منه الأمل الذي تتطلع إليه الفئات المحرومة إمامهم الذي سيخلصهم من وضعهم المزري ومن ظلم المغتصبين للسلطة في نظرهم[3] .

ولم يقتصر الاعتقاد في ظهور المهدي على الشيعة فقط، فمن علماء السنة من كان ينتظر ظهور المهدي كالفقيه أبي خالد عبد الرحمن بن أنعم المعافري (161هـ- 777م)[4] الذي قال:" سينقطع الجهاد في كل البلاد وسيعود إلى

---

[1] يطلق هذا الاسم على أتباع علي رضي الله عنه، حيث يرون أنّ الخلافة في أهل بيت النبي- صلى الله عليه وسلم وأنّ أحق بخلافته وأنّ النبي -صلى الله عليه وسلم عيّنه بنصوص أوّلوها حسب مذهبهم منها الأحاديث التالية: "من كنت مولاه فعلي مولاه" و" أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي" و" لأعْطِين الراية غدا رجلا يفتح الله على يده" وغيرها. وتنقسم فرق الشيعة إلى ثلاثة: المغيرية (البجلية)، الموسوية (الإثنى عشرية)، الإسماعيلية(الشيعية)، الذين ظهرت دولتهم في سنة 297هـ /909م بالمغرب على يد الداعي أبي عبد الله الشيعي، بعد فشل محاولتهم تولى السلطة في المشرق وقد لجأ أئمتهم بعد جعفر الصادق (ت.148 هـ-765م) إلى مبدأ التقية، أما الإسماعيلية فهم أتباع إسماعيل الذين يقولون بإمامته بالنص من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والإمامة لا يتولاها إلا أبن الإمام، ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين. وهم الذين نجحت دعوتهم في المغرب وقامت الخلافة بفضل دعاتهم الوافدين إليه من المشرق(أنظر: البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ت256هـ-871م): صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الأحاديث 2702-2706، ط2، دار السلام الرياض، ودار الفيحاء، دمشق، 1419هـ/1999م، ص624-625؛ مسند أحمد بن حنبل، المصدر السابق، ج1، ص84؛ الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص87 وما بعدها؛ ابن حزم: الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل: تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ج5، ص35 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص246 وما بعدها من عدة صفحات؛ مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص27 وما بعده؛ محمد أحمد عبد المولى: القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1404هـ/1984م، ج1، ص89 وما بعدها من عدة صفحات وأنظر أيضا: . W.Madelug, art « ISMA ILIYYA »dans E.I, T3, p206-215).

[2] محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص651 ولنفس المؤلف: الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية: ملتقى القاضي النعمان، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، تونس، 1977م، ص30-31؛ بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296-362هـ/909-973م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، 1415هـ/ 1995م، ص13؛ حسن حافظي العلوي: دراسة عن المذاهب الإسلامية في المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص94.

[3] بوبة مجاني، النظم، ص13.

[4] عنه أنظر أبو العرب، المصدر السابق، ص27 وما بعدها؛ المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)،ج1، ص152 وما بعدها من عدة صفحات.

إفريقية ولتضربن القبائل من الآفاق إلى إفريقية لعدل إمامهم ورخص أسعارهم وفتح فيهم..." وأنّ الإمام الذي سينشر العدل بافريقية يليهم سبعا وثلاثين سنة.[1] وكذلك معمر ابن منصور من علماء القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[2] ممن يقولون بإمامة علي- رضي الله عنه-. ففكرة المهدي لم تكن من أركان العقيدة الإسلامية وأصولها وإنّما كانت اعتقادا فرعيا انطوى على أمل الخلاص من الأوضاع المتردية على يد الزعيم الرمز.[3]

وبعد منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أسندت الدعوة الشيعية إلى أبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي المسمى بمنصور اليمن.[4] ويعد أحد كبار رجال الدعوة هناك، وذلك في سنة 266هـــ-879-880م [5]، كان ابن حوشب مسؤولا عن تكوين الدعاة وإرسالهم إلى مناطق مختلفة لنشر الدعوة، أصله من الكوفة من بيت علم وتشيع قرأ القرآن وقوّمه، وتعلم الحديث والفقه، وكان مذهبه الإمامية الإثنى عشرية، [6] من أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، وأكّد هذا لما التقى الداعي بالإمام بالعراق وسأله عن اسمه واسم أبيه ومذهبه ثم قال له:" أعرف أباك من الشيعة الإثني عشرية" فقال له:" نعم". [7]

---

[1] أبو العرب، المصدر السابق ، ص6؛ بوبة مجاني، النظم، ص13؛ ويؤكد هذا ما قاله الشاعر ابن أبي عقب من المتشيعين الذين عايشوا هذه الأحداث:

في السّتِ والتسعينَ يَأتيك العجب بعد كمال المائتين من رجب

مِن جيجل يَنقض جيشُ ذو لجب أمْضى من الجمر إذا الجمر التهب

وهذه الأبيات كانت قبل ظهور عبيد الله المهدي، (أنظر: القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، كان حيا 363هـ- 974م): افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، شركة تونس للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1986م، ص65-68؛ موسى لقبال، كتامة، ص229-107؛ بوبة مجاني، النظم، ص25-26).

[2] أبو العرب، المصدر السابق، ص113.

[3] بوبة مجاني، المرجع السابق، ص 13.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص2 وما بعدها من عدة صفحات، وعن أصل ونشأة ابن حوشب أنظر: سيف الدين القصير: ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1993م، ص31 وما بعدها من عدة صفحات.

[5] سيف الدين القصير، نفس المرجع ، ص55؛ بوبة مجاني، النظم، ص14؛ وأنظر أيضا: M . Vonderheiden : LaBerberie orientale sous la dynastie des Benou `l-Arlab 800-909, .M librairie Oriontaliste Paul Geuthner, Paris, 1927, p284.

[6] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص4.

[7] نفس المصدر، ص 6؛ بوبة مجاني، النظم، ص 17.

بعث ابن حوشب الداعيين أبا سفيان والحلواني[1] لنشر الدعوة الشيعية في بلاد المغرب ، وقد جاءا من المشرق سنة 145هـــ - 762-763م، وهناك رواية أخرى تقول أنّ جعفر الصادق سادس أئمة الشيعة في المشرق[2]، أمرهما أن يدخلا المغرب وأن يتجاوزا افريقية إلى حدود البربر[3] ثم يفترقان، فينزل كل واحد منهما في ناحية.

ولما وصلا إلى مدينة مرماجنة[4]، اختار أبو سفيان[5] منطقة تالا[6]، بينما وصل الحلواني[7] إلى ناحية سوجمار[8] واختار منطقة الناظور[9]، وهاتان المنطقتان قريبتين من

---

[1] هما الداعيان اللذان أرسلا إلى المغرب، لينشرا الدعوة لآهل البيت، و فضلهم، قبل أن يأتي صاحب البذر فيجد الأرض قد هيئت له ، وصاحب هذه الدعوة هو أبو عبد الله الشيعي، وقد اختلفت المصادر في من بعثهما إلى المغرب فابن خلدون يقول في موضع أنّ الشيعة بعثتهم دون تحديد إسمه، وفي موضع آخر أنّ أبا جعفر الصادق بعثهما(أنظر: القاضي النعمان، افتتاح، ص29؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص450 وج 4، ص41؛ وأنظر أيضا: M.Vonderheiden, Op, Cit., pp284-285).

[2] ذكر موسى لقبال (في كتابه كتامة) أن الغموض قد خيم على خط سير الحلواني وأبي سفيان، ومركز انطلاقهما ومصدر إرسالهما، إلى بلاد المغرب،(كتامة، ص235)؛ أما بوبة مجاني فقد فسرت الرواية اعتمادا على ما جاء في افتتاح الدعوة والمقريزي ومفادها، أنّ جعفر الصادق أرسلهما إلى بلاد المغرب سنة 145هـ-725م، والداعي أبوعبد الله الشيعي قدم إلى المغرب سنة 280هـ-883م فيكون الفرق بينهم 135 سنة، وذكرت المصادر كذلك أنّ أبا عبد الله الشيعي عمل مع اللذين أخذوا عن الحلواني وأبي سفيان، فبوبة مجاني تقول أنها لا تستطيع الاعتماد على هذه الرواية، لأنّ اللذين أخذوا عنهم تجاوزوا المائة سنة، رغم أنّ رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة لم تشر إلى المدة الزمنية التي قضاها الداعيان في المغرب إلا أنّ تفسير ما ذهبت إليه بوبة مجاني يحمل على الصحة،(النظم، ص19).

[3] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص27؛ موسى لقبال، كتامة، ص222-223.

[4] مدينة قديمة في منطقة الكاف بين مدينة الأربس وتامديت، والطريق منها إلى مجانة (إفريقية) مرحلتان (أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86-87؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156-158؛ موسى لقبال، كتامة، ص216؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص653).

[5] أورد مصطفى غالب نقلا عن بعض المخطوطات الإسماعيلية السرية، أنّه وُلد بالكوفة ثم رحل إلى سلمية، المقر الرئيسي للدعوة الإسماعيلية. وقد اعتبر من بين الذين ألفوا رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا(أنظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية دار اليقظة العربية، سوريا، 1953م، ص94).

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ص123؛ وعرفها موسى لقبال بأنها مدينة تقع في الشمال الغربي من تونس وتقرب من مدينة الكاف ولا تبعد عن أقرب نقطة للحدود الجزائرية بمسافة كبيرة(أنظر: كتامة، ص216)؛ أما بوبة مجاني فقد أوردت على أنّها تقع على الطريق الرابط بين مدينة بجاية وقسنطينة وأنّها غير تالا التي تقع بالقرب من مدينة مرماجنة بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية على بعد 45 ميلا إلى الجنوب من مدينة الكاف (النظم، ص123)؛ (وأنظر: محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص653)..

[7] حسب اطلاعنا لم نعثر على ترجمة له، وتحدثت بوبة مجاني في كتاب "النظم الإدارية في بلاد المغرب " ، ص19، أنّ ابن أحمد المعروف بالحلواني الذي كان يزور الرباط بالساحل قبل ظهور الدولة بافريقية، هو المكان الذي سوف سيبنى بالقرب منه مدينة المهدية؛ وجعله مصطفى غالب حسب وثائق غير منشورة، أنّه من المؤلفين لرسائل إخوان الصفا وخلان الوفا(المرجع السابق، ص95).

[8] اختلف ذكرها في المصادر بين سوق حمار، أو جمار، أو حماد، أمّا سوق جمار فيوجد في وادي سوف أقصى الزاب، كما يوجد سوق جمورة بمنطقة الأوراس (أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص41؛ ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ- 1238م): الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج6، ص450؛ محمد الطابي، الدولة الأغلبية، المرجع السابق، ص654).

[9] لقد أشار الإدريسي إلى حصن اسمه الناظور، ويقع على الضفة اليمنى من نهر الصومام بين بجاية وقلعة بني حماد، (المصدر السابق، ص118)؛ واستبعد محمد الطالبي وصول الحلواني إلى هذه المنطقة (الدولة الأغلبية، ص 654)؛ وفي نظر المقريزي هي مكان من أرض كتامة: (تقي الدين بن علي، ت845هـ- 1442م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1416هـ/1996م،ج1، ص41؛ أما الباحث موسى لقبال فذكر أنهما :" فسارا ونزل أحدهما بأرض كتامة"(كتامة، ص19).

المغرب الأوسط، وأوّل عمل قاما به كل واحد منهما هو بناء مسجد يكون مركز الدعوة للمذهب الشيعي، فكان أهل تلك النواحي يأتون من كل حدب وصوب، ليسمعوا عنهما فضائل أهل البيت، وما تعرضوا له من اضطهاد، فكسب الداعيان أعدادا كبيرة من سكان مرماجنة، والأربس، ونفطة،[1] وكتامة، ونفزة وسماتة، فقد كان الحلواني يقول:" بعثت أنا وأبو سفيان إلى المغرب، فقيل لنا اذهبا فإنكما تأتيان أرضًا بورًا، فاحرثاها، وكرّباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبّه فيها"[2].

نجح الداعيان[3] في نشر دعوتهما التي وصلت إلى مدينة تاهرت، فممن خرج إلى أبي عبد الله الشيعي يشكون له الإمارة (الرستمية) منهم الشيعة [4]، وهذا يؤكد وصول الدعوة الشيعية إليها.

دخل الدّاعي أبو عبد الله الشيعـــي بلاد المغرب، واعتمد علـــى قبيلـــة من المغرب الأوسط وهي جيملة الكتامية[5]، فكانت من القبائل ذات البأس والشدة والعدد والأموال، كما أنّها من القبائل الأولى التي انتشرت فيها الدعوة الشيعية بشكل كبير، إذ أن من جملة الحجيج[6] الذين وصلوا مع أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب من كتامـــة والذين تشيعـــوا

---

[1] ذكر القاضي النعمان أن أبا سفيان تشيع على يديه أهل مرماجنة، والأربس ونفطة، والحلواني، أهل كتامة، ونفزة وسماتة (أنظر: افتتاح الدعوة، ص27؛ بوبة مجاني، النظم، ص19).

[2] نفس المصدر، ص29؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص41؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450.

[3] كانت المدة بين دخولهما ودخول أبي عبد الله الشيعي135 سنة ، والشيعي هو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي، واختلف في نسبه فإن ابن خلدون والقاضي النعمان جعلاه من أهل الكوفة، أما صاحب المقفى والكامل ذكرا أنه من أهل صنعاء، كان ذا علم، وعقل، ودين، وورع، وأمانة، ونزاهة، أخذ أصول الدعوة من ابن حوشب داعي اليمن، فامتثل بسيرته ونظر إلى مخارج أعماله، ومجاري أفعاله فأخذ بها وعمل بها، إلى أن خرج حاجا إلى مكة ومنها إلى كتامة من بلاد المغرب، بأمر من ابن حوشب الذي قال له:" إنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك. وكان يقول لأبي عبد الله الشيعي السيّد بكتامة كما تقول العرب لصاحب أمرها، أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ، ص30 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص124؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص450؛ المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/ 1991م، ج3، ص483؛ إدريس (عماد الدين القرشي، ت872هـ-1488م): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص83 وما بعدها؛ ابن حماد الصنهاجي(أبو عبد الله محمد، ت626هـ-1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنير للكتاب، الجزائر، ص19 وأنظر أيضا: M.Vondesrheiden, op, Cit., p285).

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 130؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 294 .

[5] تنتمي قبيلة جيملة إلى يناوة بن غرسن بن كتم بن برنس أما أجانة وغشمان وملوسة فهم من أبناء ايان بن غرسن، واسم جيملة موجود حتى الآن بين بلديات ولاية جيجل، ويكون الطريق إليها من جيجل عبر بلدية تكسانة على مسافة 50كلم إلى الجنوب الشرقي(أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 48؛ موسى لقبال، كتامة، ص106-107؛ بوبة مجاني، النظم، ص24).

[6] التقى أبو عبد الله الشيعي هؤلاء الحجيج في مكة في موسم الحج، لم يقصد الحج بعينه وإنّما تمهيدا للسير معهم إلى كتامة، أعجبوا به، ودار بينهم وبينه حديث طويل من خلاله وصل إلى مبتغاة (أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص164 وما بعدها؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، 51-52 ؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص35 وما بعدها من عدة صفحات).

على يد الحلواني وسفيان هما: الجميليان حريث الجيمليٌّ وموسى بن مكارم[1].

تعتبر قبيلة جيملة من القبائل الأولى التي اعتنقت المذهب الشيعي بعدما استقر أبو عبد الله الشيعي بين سكانها من بني سكتان، وهم فرع من فروعها بقلعة ايكجان[2].

ومن الأسباب التي جعلت أبا عبد الله الشيعي يختار إيكجان، أنّ هذه المنطقة موجودة في منطقة جبلية وعرة، بجوارها ينابيع كثيرة كما أن الطرق المؤدية إليها والمنطلقة منها، طرق ضيقة فهي تلائم حركة الدعوة الجديدة بين سكان المنطقة، كما أنّ وفرة خيراتها جعل الداعي يختارها كمركز[3] للانطلاق نحو افريقية، ويساعده في تمويل الجيش الناشئ للدفاع عنها، كما أنّ موقعها في آخر افريقية، بعيدة عن الخطر الأغلبي الذي قد يهدد الدعوة بين الحين والآخر، قبل أن يشتد ساعدها فوجودها في هذا المكان يسهل الوصول إلى قلب إفريقية.

استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يكسب ثقة الكتاميين فلما نزل عندهم ثم سار حتى وصل إلى بيت الشيخ صاحبه الكتامي الذي التقى به في مكة في موسم الحج[4]، واستقبله وكان أوّل نجاح حققه أبو عبد الله الشيعي إبعاد معلم الصبيان من دخوله المحراب عند صلاة الظهر وتقديم أبي عبد الله الشيعي لذلك وفعل معه نفس الشيء في صلاة العصر، وهذه ميزة الكتاميين يقدمون من يرونه أعلم منهم[5]. فلم يعجب المعلم ما فعله الشيخ فترك ذلك المسجد، وأخذ مكانه أبو عبد الله الشيعي وبدأ يصلي ويعلم الصبيان.

لم يَكن الشيخ الكتامي يعلم هدف أبي عبد الله الشيعي إلاّ بعد ما أعطاه النقود مقابل صلاته وتعليمه الصبيان في المسجد، فعندما رفضها[6] أفصح له قصده فقال له:" لستُ بمعلم الصبيان! إنّما الأمر ما أخبرتك به! فاسمع! إنّما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة! إنكم أنصارها، والمقيمون لدولتنا، وإنّ الله يُظهر بكم دينه، ويُعزُّ بكم أهل البيت! وإنّه سيكون إمامٌ منهم أَنتم أَنصارُه، والباذلون مُهْجَتَهم دونه،

---

(1) ممّن رافقوا أبا عبد الله الشيعي عند مجيئه إلى المغرب، وحسب إطلاعنا لم نعثر لهما على ترجمة في المصادر، إلاّ أنهما من بني سكتان، وقال عنهما موسى لقبال "إنّ النصوص لم تشر إلى موطن كل منهما، وأنّ مصيرهما بقي غامضا وأخبارهما منعدمة سواء بعد استقرار الداعي في ايكجان أو بعد انتقاله عنها إلى تازروت ولعل ذلك يفهم منه ثانوية دورهما في القبيلة" (أنظر:القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص34؛ موسى لقبال، كتامة، ص250،236،107).

(2) تقع إيكجان بين مدن قسنطينة سطيف وميلة، وكانت تابعة سياسيا لمدينة ميلة دون سطيف، (أنظر: موسى لقبال، كتامة، ص154).

(3) نفس المرجع ، ص158.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص125.

(5) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36.

(6) نفس المصدر ، ص37.

وإنّ الله يستفتح بكم الدنيا كلّها، ويكون لكم أجْرُكم مضاعفا: فيجتمع لكم خير الدنيا والآخِرة!"[1].

رغب الشيخ فيما حدثه به أبو عبد الله الشيعي بقوله أنا أرغب فيما رغبتني فيه وأبذل فيه مهجتي ومالي، أنا ومن اتبعني، وأنا أطوع إليك من يدك: فمر بما شئت أمْتَثِلُه!"، فطلب منه أبو عبد الله الشيعي أن يدعو بني عمه الأقرب فالأقرب[2]، ومن ثمَّ بدأ الشيخ يدعو لما أمره الداعي.

كان أوّل ما أظهره أبو عبد الله الشيعي من مذهبه في المغرب الأوسط، عدم صلاة التراويح في أوّل شهر رمضان له لأنّها ليست من سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- وإنّما سنّها الخليفة عمر بن الخطاب[3]. وقبل الشيخ بما قاله أبو عبد الله الشيعي، فشاع خبره في تلك النواحي، فاعترض بعضهم واتصلوا بمنزل الشيخ الكتامي الذي التقى به بمكة، وأخيه وهو من المعترضين لما دعا إليه الداعي، وكان لهذا الأخير حديث مع أخيه الشيخ نصه:" مالك ولهذا المشرقي الذي أفسد دينك وغيّر مذهبك؟. وكان رد الشيخ إما أن يدخل في هذا المذهب أو يقاطعه"، رفض أخو الشيخ واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يكسب كثيرا من المعارضين فدخلوا في دعوته[4].

عزم أخو الشيخ بعد هذه الحادثة أن يقوم معلم الصبيان الأوّل وأبناؤه بمناظرة أبي عبد الله الشيعي، فطلب الشيخ من بني عمه الحضور، ثم نصب كمينا لأخيه فقتلوه فلما وصل خبر اغتياله تظاهر الشيخ بعدم علمه لما حدث لأخيه، فأخذ عزاءه من بني عمه ثم

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص127.

(2) نفسه.

(3) ترى الشيعة أن صوم رمضان فريضة وأنّ صلاة التراويح(القيام) في شهر رمضان بدعة فأبطلوها وأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ما صلاها ولو كانت خيرا ما تركه. ودليلهم أنّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- قام في بعض ليالي شهر رمضان وحده، فقام قوم خلفه فلما أحس بهم دخل بيته..ثم قال:" أيها النّاس لا تصلوا الفريضة ليلا في شهر رمضان ولا غيره جماعة، أنّ الذي صنعتم بدعة"، وأضافوا حسب رأيهم أنّ العامة روت هذا الحديث وأنّ صلاة النافلة لم تكن في عهده -صلى الله عليه وسلم- ولم تكن في أيام أبي بكر ولا في صدر من أيام عمر حتى أحدثه عمر(أنظر: القاضي النعمان: دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيض، دار المعارف، ، الإسكندرية،2003م، ص213-214؛ أحمد عبد المولى: المرجع السابق، ج1، ص215 وما بعدها)، أما السنيون فيرون أنّها سنة فعلية سنها الرسول-صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء في رمضان، وكان عليه السلام يرغبها في رمضان من غير أن يأمر بعزيمة وكان يقول:" من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"وتوفي الرّسول- صلى الله عليه وسلم- والأمر على ذلك وأبو بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما (أنظر" الإمام مالك:الموطأ، رواية يحي بن يحي الليثي المصمودي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1324م/2003م؛ الإمام مالك: المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي، تحقيق وتخريج، عامر الجزار وعبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، 1426هـ-2005م، ج1، ص323-324) وأنظر أيضا: Robert Brunschvig : Etudes d`islamologie, T.I, éditions G.p. Maisonneuve et larose, Paris,1976, p63.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص128.

أخذ منهم العهود والمواثيق بطاعة الداعي[1]. ولما أحس بقرب أجله أوصى بني عمه وأقاربه بأبي عبد الله الشيعي.

ودخلت في دعوة أبي عبد الله الشيعي قبائل كثيرة، [2] فأنشأ أبو عبد الله ديوانا لتسجيلهم وألزمهم بالخدمة العسكرية[3]، وكان يقول لهم إنّ ما قام به ليس لفائدته وإنّما لدعوتهم إلى الدخول في طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت.[4]

وما يمكن استنتاجه أنّ أبا عبد الله الشيعي كانت مهامه في المغرب أولا، الدعوة وهو تتمة لما قام به أبو سفيان والحلواني كما كانت له مهام عسكرية فكون جيشا كتاميا ليفتح به مدن به المغرب.

اتسمت إقامة الشيعي في كتامة في بدايتها بالهدوء، ما جعله يتفرغ لنشر دعوته[5] في أنحاء كتامة، فكانت الوفود تصل إليه من سائر البلاد[6] ، تسمع منه أحاديث عن فضائل أهل البيت، وتتعرف على ما كان يشاع حوله عن الزهد في ملذات الحياة والإقبال على العبادة والتفاني في أعمال البر[7]. فمنهم من كان يتأثر به ويتأثر بدعوته فيستقر هناك، ومنهم من يأخذ ما سمعه منه ويعود إلى بلده [8] فينشره بها، وكان يجيب عن كل الأسئلة التي تطرح عليه من المستحبين، وإذا طلبوا المزيد عن أسرار هذه الدعوة كان يقول لهم:"ابلغ توقِن" ، والقصد منها الكف عن كثرة الأسئلة[9]. لكن البعض ممن لا يقتنع بهذه الدعوة كان يرى أنه لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستره، وماهو إلاّ خلاف دين الإسلام، ويقولون:" وما هذا الذي يَتَصَنَّعُونَ به إلاّ رِياءٌ يجرُّون به النّاسَ "[10].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص128.

[2] نفسه.

[3] نفسه، فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م. ، 115.

[4] فرحات الدشراوي ، نفسه.

[5] كانت دعوة أبي عبد الله الشيعي في مرحلتها الأولى تمتاز بالسرية والتستر، (محمد بركات بيلي: التشييع في المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة،1993، ص74).

[6] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص52.

[7] موسى لقبال، كتامة، ص243.

[8] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص53؛ محمد بركات بيلي، المرجع السابق، ص73.

[9] نفس المصدر ص52؛ موسى لقبال، كتامة، ص243؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص685.

[10] نفس المصدر، ص53.

وأرسلت القبائل بوفودها إلى ايكجان[1] فمنها من كان معارضا للاتجاه الشيعي الجديد، ومنها من وقف معه، كعمال مدن كتامة وقادة الجيوش الأغلبية فقد قاوموا هذه الدعوة، وبعد فشلهم هاجروا جميعا إلى خارج أرض كتامة وبقوا محتفظين بتقاليدهم السنية وبالمذهب المالكي[2]. وكان من عوامل المنافسة على الرئاسة والعصبية القبلية والخوف من ضياع الامتيازات إلى جانب طابع السرية في النحلة الجديدة ومخالفتها للدين وللتقاليد السنية والمالكية خاصة وراء استمرار حركة المعارضة وقوتها[3]، فقد رفض بعض القادة أن ينضموا إلى الحركة بعدما سبقهم غيرهم إليها، وامتنعت بعض القبائل خوفا من أن تصبح تابعة للقبائل التي اكتسبت ميزة السبق[4]، فلا بد من أن نشير إلى أنّ هذا المعارضة لم تقتصر على القبائل بل ظهر العداء بين أفراد العائلة الواحدة، فإذا أراد أبو عبد الله الشيعي أن يطبق العقوبة لمن يستحقها يأمر بها أخاه أو أباه أو أقرب النّاس إليه فينفذها فيرى ذلك طاعة منه. وذكر القاضي عياض أنّ بهذا يكون قد اقطع الفساد بقوله:"...وانقطع الفساد والخيانة وفشا الورع في الدين والأمانة"[5].

اشتهر أمر أبي عبد الله الشيعي في كتامة وسمي بالمشرقي[6]، لقدومه من المشرق، وتسربت دعوته بين الناس، إلاّ أنّ هذه الدعوة لقيت معارضة في بدايتها. فانتشرت إشاعات ضده وضد الحركة الإسماعيلية، وضد أنصاره من بني سكتان، ثم تحولت إلى الضغط على بني سكتان لتسليمه ومناظرته فيما يدعيه. وكان موسى بن العباس صاحب ميلة أرسل في طلبه ليناظره علماؤها[7] لما يدعو إليه فرفض بنو سكتان هذا العرض بحجة أنه ضيفهم وتمنعهم أعرافهم القبلية من خدلانه، فاستطاعوا التملص منه بهذه الحجة

---

(1) قدم وفد عن قبيلة مسالتة برئاسة هارون بن يونس الذي انتدب لإقناع الداعي بالانتقال إلى مضاربه و هارون من الأوائل الذين بادروا إلى عبيد الله المهدي ومواجهته بالشك في نسبه، وفي مهدويته، ووفد عن قبيلة عشمان قدم برئاسة الحسن بن هارون، الذي دعا الشيعي للانتقال إلى تازروت بطلب من قبيلته، ووفد من أجانة تزعمه أبو يوسف ماكنون بن ضبارة وابن أخيه أبو زاكي تمام بن معارك الذي أصبح من أخلص رجال الداعي، ومن المتآمرين على عبيد الله المهدي لإبعاده عن الإمامة، كما وقفوا ضد المعارضين للدعوة الإسماعيلية(أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص110-111؛ موسى لقبال، كتامة، ص246).

(2) موسى لقبال، نفس المرجع ، ص247.

(3) نفسه.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص112.

(5) نفس المصدر، ص121.

(6) ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص451؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص42؛ محمد الطالبي،الدولة الأغلبية، ص688.

(7) إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص91.

لكي لا يلحقهم العار[1]. وانضم إليه علي بن عسلوجة صاحب سطيف، وحي بن تميم صاحب بلزمة ومن رؤساء القبائل فتح بن يحي المسالتي ومهدي بن كناوة رئيس لهيصة، وفرج بن جيران رئيس أجانة، وتميم بن فحل رئيس لطاية، وزياد المتوسي، رئيس متوسة،[2] وبعض بطون كتامة، من المحافظين على التقاليد القبيلية، وعلى المذهب السني. كما انضم إليه من تضرر من الإجراءات الصارمة التي اتخذها الداعي ضدهم خاصة بعدما جاهر بمذهبه وأعلن إمامة أهل البيت[3]. وهؤلاء لهم من العدة والعدد والقوة والأموال الكثير.[4] واشترك ضد الحركة كل المحافظين على تقاليدهم القبلية ومذهبهم السني، فحاولوا التأثير على يدان بن صقلاب رئيس بني سكتان الذي لم يعتنق بعد مذهب الداعي، إما أن يسلمه إليهم أو يخرجه من بني سكتان[5]. أو أنّ إبراهيم الثاني سيتدخل بجيشه وتكون الكارثة على الجميع، فَقَابل هذا العرض بالرّفض، فَعَرض ابن صقلاب عليهم أن يُناظر علماؤهم أبا عبد الله الشيعي فيتم فضحه، ويمكنه طرده بسهولة، أو يكون دليلا على صدق ما جاء به، ويلزم عندئذ أتباعه به.[6]

تظاهر رؤساء القبائل المعادية بالموافقة على هذه الاقتراحات، وقرروا أن ينصبوا له مكيدة، لكن أبا عبد الله الشيعي علم بما يحاك ضده، فاختار الاختفاء عن الأنظار، فلا يعرف مكانه إلاّ من كان من المؤمنين[7] ، خلافا " للكافرين" الذين عارضوا دعوته،[8] لأنّ هذه المناظرات تكشف ما كان يدعو إليه ومن ثمّ تكون نهاية دعوته، وهو نفس الحديث الذي قاله رئيس بني سكتان، عندما بعثوا إليه أربعة فراس ومائة شاة هدية، بقوله:" وفي إخراجنا إياه وطردنا له أيضا نقص علينا، وعيب ولكن من الرأي أن نجمع العلماء ويخرج إليهم ويناظرهم فإن كان على باطل عرف ذلك من اتبعه فرجع عنه ووسعنا وأمكننا إخراجه فحاولوا على غير ذلك فلم يجد..."[9].

---

[1] محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص686.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص80؛ وأنظر أيضا: M.Vonderheiden, op, Cit.,289

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص42.

[4] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص80، محمد بركات بيلي، المرجع السابق ، ص73؛ موسى لقبال، كتامة، ص247-248.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص42.

[6] اسم أطلقه على أنصاره (أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص83).

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص127.

[8] نفسه.

[9] نفس المصدر، ص82-83.

فاجتمعوا وقرروا أن يمضوا بالعدة ويتظاهرون بأنهم جاؤوا بالعلماء، ولما يظهر لهم يقومون بقتله. ولما رآهم بنو سكتان ثاروا، وأخرجوا رجالهم وعدتهم، وتقاتل الفريقان وبقي أبو عبد الله متخفيا، وذكروا لصقلاب أنهم جاءوا بما اتفقوا معه عليه، فقال لهم:" ما هذا بيني وبينكم وأن تجيئونا بالزحف والعدة إنّما قلنا يؤتى بالعلماء فيناظرون الرّجل، فتراكم جئتمونا بالملأ تريدون أن تنتزعاه بالغلبة..."[2]. لكنهم لم يفشلوا فأرسلوا إلى صقلاب مرة ثانية، فاعترفوا له بخطئهم، و ذكروا له بأنّهم قدموه عليهم ليحقن الدماء ويلم الشمل وأن هذا الرجل الذي يقوم بحمايته قد تسبب في العداوة بين القبائل كما عادى من أجله الأخ أخاه والابن أباه والغريب قريبه. وأن هذا الرجل أمره مكتوم والذي يدعو إليه غير معلوم، ولو كان على حق وصواب لأظهر ما كتمه.[3]

فوعدهم رئيس قبيلة بني سكتان أن يتلطف في إخراجه. وبدأ بتنفيذ ما وعدهم، فاستشار أبو عبد الله جماعة من المؤمنين (أتباعه) فتحصل على موافقتهم، وانتقل من إيكجان إلى تازروت، هو ومن استطاع من المؤمنين التنقل معه وترك الضعفاء هناك واستقبله بنو غشمان أحسن استقبال.[4]

وبعدما كان الداعي ضيفا على بني غشمان، أصبح رئيسا عليهم فاستطاع بدهائه أن يجمع كل من كان ضده، فاعتنق بنو غشمان الدعوة جميعا، وحتى ملوسة وبني سكتان المتمثلة في رئيسها صقلاب. أما القبائل المعارضة فكانت بينه وبينهم حروب انتصر فيها أبو عبد الله الشيعي، فدخلوا دعوته. وسقطت ميلة، أوّل مدينة محصنة بيد الداعي، فهي تتصف بمناعة بشهادة اليعقوبي الذي قال إنّ:" لها حصن دون حصن"[5]، ثم سطيف وباقي المناطق الأخرى، فازدادت قوة الداعي باستيلائه على أموال المنهزمين وانتشرت دعوته. وبهذا النصر الذي حققه أقدم على بناء قاعدة لدولته الجديدة في تازروت، وسماها بدار الهجرة،[1] حوالي سنة 289هـ-901-902م. اقتدى في ذلك بشيخه ابن حوشب[2]، فانظم إلى دعوته الكثيرون لأسباب مختلفة منهم من هو صادق ومنهم من انظم وكانت

---

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص83-84.

[3] نفس المصدر ، ص85.

[4] نفس المصدر، ص87-88؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص43-44؛ محمد الطالبي،الدولة الأغلبية، 691-692.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص107، فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص118. [1]

[1] اليعقوبي، المصدر السابق ، ص109؛ الدشراوي، المصدر السابق ، ج3، ص452.

[2] قام ابن حوشب ببناء دار الهجرة بعدن لاعة في اليمن فكان منها انطلاق دعوته إلى الأقطار وتأسيس عبد الله الشيعي لهذه الدار جزء من التنظيم الدعوي(أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص11 وما بعدها؛ بوبة مجاني، النظم، ص26-27؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص692 وما بعدها من عدة صفحات).

نواياه القضاء على العدو القديم، أو التشفي، أو الحصول على مناصب في الدولة الجديدة[1].

إنّ قاعدة دولته في تازروت اتخذها مؤقتا من أجل إبعاد كل انقسام كان يهدد القبيلة التي آوته بعدما أُخرج من بني سكتان، فترك هذه الدار إلى غشمان وعاد إلى جيملة وايكجان بعدما زال خطر الانقسام. فاتخذ قصرا منيعا وحصينا ليمارس فيه سلطته وسمى هذه القاعدة: دار الهجرة [2]، لكي يتخذها فيما بعد الإمام عبيد الله المهدي قاعدة له، لكنه استغنى عنها فاتخذ عاصمة الأغالبة قاعدة له لما انتصب إماما سنة 297هـ/909-910م.

ولما افتتح أبو عبد الله الشيعي البلاد، غيّر السكة ونقش عليها" الحمد لله رب العالمين"وسميت "السيّدة" ونقش على خاتمه الآية الكريمة﴿ وَتَوَكَلْ عَلَى الله﴾[3]و ﴿ إِنَّكَ عَلىَ الحَقِ المُبِين﴾ وعلى الخاتم الذي يطبع به السجلات قوله تعالى﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ﴾[4]، وكتب على أفخاذ الخيل" الملك لله"، وفي بنوده قوله تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[5]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[6] وأمر بالصلاة على عليّ بن أبي طالب في الخطب بعد الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، والاقتداء به في زيادة " حي على خير العمل" في الأذان، ثم قال لهم :" اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول...".[7]

2 - جهود الفاطميين في فرض التشيع في بلاد المغرب الأوسط

لا يمكن تفسير ذهاب أبي عبد الله الشيعي إلى الحجاز ولقاء الكتاميين صدفة، إذ أنّه لا يمكن قيام أي حركة دون تنظيم مسبق ومحكم، وإلاّ ستزول عند نشأتها، ودليله الأسئلة التي طرحها أبو عبد الله على الحجيج عن طاعتهم لأيّ سلطان وما المسافة التي بينهما ثم

---

[1] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص117؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص699-700.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص455؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص452؛ بوبة مجاني، النظم، ص27.

[3] سورة النساء، الآية 81.

[4] سورة الأنعام، الآية 115.

[5] سورة القمر، الآية45.

[6] سورة الإسراء، الآية 81.

[7] وضع المحققان﴿ وتوكَلْ عَلَى الله - إِنَّكَ عَلىَ الحَقِ المُبِين﴾ سورة النساء ، الآية 81، لكنه لما رجعنا إلى السورة وجدنا الشطر الأوّل من الآية 81 وهوما يمكن تفسيرما فعله ابن عذاري عندما وضع علامة التعجب بينهما، (أنظر:ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص19-20؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص150-151).

عن الأمصار التي لها نفس الحدود فذكروا له ميلة وسطيف وبلزمة[1]، ولم يقف عند هذا الحد بل سألهم عن كتامة وعن الخيل والسلاح وكانت أجوبتهم معلومة لديه[2].

إنّ هذه الأسئلة تصلح لأي حركة تريد قيام دولة أو خلافة في مكان ما، تختار الأماكن الوعرة والبعيدة عن أخطار السلطة المركزية، التي قد تهدد دعوتهم في بدايتها. وخير دليل على ذلك ما قام به عقبة بن نافع عند بنائه للقيروان، أو عبد الرحمن بن رستم عند اختياره لتاهرت أو إدريس الأكبر لمّا فر من المشرق واتجه نحو أقصى المغرب بعيدا عن مركز الخلافة العباسية، أما أسئلته عن الخيل والسلاح فالقصد منها هو عدة الجيش الفتي الذي سيعتمد عليه في ما بعد في فتوحاته لمناطق المغرب.

سافر أبو عبد الله الشيعي معهم فنزل عند أبي عبد الله الأندلسي[3]، أحد المتشيعيين على يد الحلواني وأبي سفيان وكان دخول أبي عبد الله الشيعي إلى كتامة سنة 280هـــ-893م[4]، لم يكف الداعي عن سؤال الكتاميين، فقد سألهم عن فج الأخيار فدهشوا منه كأنّه يعلم ذلك فقالوا له أنّه عند بني سكتان[5]، وتابع سيره معهم حتى وصلوا إلى فج الأخيار فقال لهم:" هذا فج الأخيار"، فاندهشوا جميعا وسألوا أنفسهم كيف عرفه وهم لم يدلوه عليه؟ فقال لهم:" إنّ للمهدي هجرة تَنْبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأخيار من أهل الزّمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان[6] فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفج يسمى فجّ الأخيار"[7]، فاجتمع إليه أكثر الكتاميون واستطاع بدهائه أن يسيطر على كتامة ثم بدأ بتكوين المجتمع الذي سيكون في ما بعد مركز انطلاق لنشر دعوته في جميع الأنحاء.

قسّم أبو عبد الله الشيعي كتامة إلى أسباع، وجعل لكل سبع منها عسكرًا، وقدم عليها مقدمًا، وأرسل لكل موضع داعيا، ولقبهم بالمقدمين والدعاة بالمشايخ[8]. وأبقى أعمال المؤمنين والفيء من المغارم على وليٍّ من المسلمين في أيدي المشايخ، فلم يكن يقبض

---

(1) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص36.

(2) ذلك بفضل الأخبار التي كانت تصل إلى المشرق من الداعيان أبو سفيان والحلواني(أنظر: نفس المصدر، ص38).

(3) نفس المصدر ، ص40.

(4) وهي الرواية التي ذكرت عند ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص451؛ أما ابن خلدون فذكر في موضع سنة 288هـ/900م وفي موضع آخر238هـ/852م، المصدر السابق، ج3، ص 451 و ج4، ص42؛ وهو ما ذهب إليه حسن الحافظي العلوي ، المرجع السابق، ص94 وهذه الرواية مستبعدة تماما؛ ومرمول محمد الصالح، المرجع السابق ص35؛.

(5) القاضي النعمان، افتتاح، ص47.

(6) نفس المصدر ، ص48؛ ابن الأثير، نفسه؛ ابن خلدون، نفسه.

(7) نفسه.

(8) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص124؛ موسى لقبال، كتامة، ص243.

منهم شيئا ولا يصل إليه حتى مجيء عبيد الله المهدي فأصبحت تدفع إليه[1]، وامتحنهم أبو عبد الله الشيعي ومَن نجح رفعه بقدر ما يستحق، وكانوا يسارعون لهذه المحن ولا يرغبون عنها، كما أرسل الدعاة إلى بلاد المغرب والمشرق وإلى أماكن بعيدة، لنشر المذهب الإسماعيلي بين القبائل في الأرياف وسكان المدن، ولم يفصحوا عن المكان الذي قصدوه إلى أسرهم، وذلك بأمر من الداعي أبي عبد الله لأنّه أرادها سرية، ولا يطلع عليها أهلهم ولا أولادهم فلا يعرفون مسارهم أو توجههم فيعتبرون في نظرهم مفقودين حتى يعودوا[2]، وقد حققوا نجاحا عظيما بين سكان النواحي البعيدة[3].

استطاع أبو عبد الله الشيعي أن ينمي في الكتاميين الروح العسكرية، ونظمهم، وقواهم، وألزمهم ذلك ليكونوا فيما بعد من يعوّل عليهم في تهديم النظام السياسي الموجود في منطقتهم أولا ثم في المناطق المجاورة، وقد واجهته في البداية مصاعب وأخطار استطاع التغلب عليها، بداية بميلة وسطيف.

وهزم أبو عبد الله الشيعي جيش زيادة الله المتحصن في قسنطينة ، ودفعهم إلى مدينة بلزمة وأرسل إلى عبيد الله المهدي من يخبره بالفتح وهو في سجنه[4]، حاصر مدينة طبنة فملكها بالأمان، ثم مدينة بلزمة فملكها عنوة، وزحف إلى باغاية فهرب عاملها فملكها، ثم مدينة مرماجنة ففتحها عنوة وقتل عاملها ثم مدينة تيفاش، التي طلبت منه القبائل بها الأمان فأمنّهم، ثم سار بنفسه إلى مسكيانة ثم تبسة ومجانة ففتحا على الأمان[5]، وفي سنة 296هـ- 908م زحف أبو عبد الله الشيعي في مائة ألف مقاتل لقتال إبراهيم بن الأغلب فهزمه وقتل وأسر عددا كبيرا من جيشه وغنم أموالهم وخيلهم. ثم دخل الأربس فنزل قمودة[6]، ولما علم زيادة الله بهذا الخبر هرب إلى مصر، لكن إبراهيم بن الأغلب لم يستسلم بسهولة فنزل بقصر الإمارة وجمع الناس حوله ووعدهم الحماية، وطلب منهم

---

(1) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص124-125.
(2) نفس المصدر ، ص 126-127.
(3) نفس المصدر ، ص126؛ موسى لقبال، كتامة، ص244.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص453؛ وأنظر أيضا: M.Vonderheiden, op, Cit., p. 51
(5) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص198 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن خلدون، نفس المصدر، ج3، ص453؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص456؛ وانظر الملحق (8).
(6) هي مدينة تقع جنوب القيروان(أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص137 و213).

المساعدة بطاعتهم وأموالهم فاعتذروا له، ثم ثاروا عليه فأخرجوه، ودخل أبو عبد الله بعدها رقادة[1]. وخرج أهل القيروان لاستقباله فأكرمهم وأمّنهم، ثم نزل قصورها[2].

وتوجه أبو عبد الشيعي إلى سجلماسة سنة 296هـ-909م لإخراج عبيد الله المهدي[3]، فاستولى على تاهرت، وقد ذكرت بعض المصادر أسباب سقوطها، منها المشاكل الداخلية التي حلت بالأسرة الرستمية نفسها في عهد الإمام الرابع أبي بكر بن أفلح (258هـ-261م)[4]. إلاّ أنّهم لم يستطيعوا مواجهة هذه الأخطار وقد غمرها الصراع المذهبي في عصري عبد الوهاب وأفلح[6]، كما اتسع نشاط حركة التوسع في افريقية التي بدأت تلوح من بعيد ضد مدن الزاب، وكتامة الأغلبية[5]، كذلك التفكك الأسري ومن مخلفاته تآمر دوسرا[7] مع أبي عبد الله الشيعي[8] فلم تستطع الدولة لمَّ الشمل والدفاع عن سلطتها، وما تميز به المجتمع التاهرتي عن باقي المدن أنّه مزيج من القبائل والأجناس والمذاهب[9] وهؤلاء ليس لدولة ولاء عليهم، فلا تستطيع إرغامهم على الدفاع عنها، ولا يهمهم مصير الإمامة لأنها ليست من مبادئهم، كما أنهم فلا يفكرون في المقاومة والتضحية من أجل المصلحة العامة. أما المنتمون إليها فقد ذهب خيرة الرجال في الفتن والثورات الداخلية ضد تحرشات مغراوة وبني يفرن الزناتية[10].

---

(1) هي من حواضر القيروان تبعد عنها حوالي أربعة أميال، حديثة البنيان بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبي ، انتقل إليها من القصر القديم، وبنى فيها قصورا عجيبة وجامعا، ثم أقام فيها عبيد الله المهدي قبل بناء المهدية (أنظر: البكري، المصدر السابق، ص27؛ أبو الفدا، المصدر السابق، ص143؛ وأنظر أيضا: M .Vonderheiden, op, Cit., p51.).

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص454؛ وقدّر القاضي النعمان وابن الأثير عدد الفرسان بمائتي فارس (افتتاح الدعوة) ، ص 227؛ ابن الأثير، المصدر السابق: ج6، ص458.

(3) أبو زكريا، المصدر السابق، ص164؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص91-92.

(4) هو رابع الأئمة الرستميين، لا توجد ترجمته في المصادر الإباضية ويرجع البعض السبب إلى فتنة ابن عرفة، وقد قيل أنّه قاتل لابن عرفة (أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص70 ، هامش1؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص197؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق. ص66).

(6) اقد وصف اليعقوبي الذي زار تاهرت ب " العراق المغرب" للصراعات الموجودة بها (المصدر السابق، ص109)؛ أما المقدسي فذكر أنّ " فيها أخلاط من الناس" (المصدر السابق، ص 186)؛ و(انظر عنها كذلك البكري، المصدر السابق، ص67).

(5) قصد موسى لقبال حركة توسع الدعوة الشيعية (كتامة، ص338-339).

(7) عنها أنظر معجم أعلام الإباضية،ج2، ص147.

(8) تآمرت دوسر مع أبي عبد الله الشيعي، لما اغتال أبو حاتم يوسف على يد بني أخيه اليقظان، الذي أخذ الإمامة دون حق شرعي، ما جعل أبناء أخيه يسلكون طرقا ملتوية للثأر والانتقام منه(أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص94؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص169؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص231؛ وأنظر أيضا :

E. provençal, art, « Rustumides » dans Encyclopédie de l`islam, T. III, p657-658.

(9) حول هذا الموضوع، أنظر الفصل الأول انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط.

(10) موسى لقبال، دور كتامة، ص340.

وقد ذكرت المصادر الإباضية أنّ أبا عبد الله الشيعي لما اقترب من تاهرت خرج إليه وجوه من أهلها المخالفين، والشيعة، والواصلية، ومن بها من الصفرية وتلقوه وشكوا إليه الإمارة ووعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين[1]، فطالب أبو عبد الله الشيعي بأبي اليقظان فقتله هو ومن كان معه من أهل بيته وأرسل برؤوسهم إلى أخيه العباس فطوفت بالقيروان ونصبت على باب رقادة[2]. ولما دخل تاهرت قام بنهب المدينة، وانتهاكها وارتكب جند كتامة أفعالا سيئة ضد السكان، ومن كان فيها أعزّة جعلهم أذلاء ، لتنكرهم للوعود السابقة من أمان وتسامح. فلم يفرق بين من سبق لهم الاتصال به وغيرهم، إلاّ من هرب إلى أقاصي صحراء ورجلان[3]، فلم يتمكن من الوصول إليهم. وتوجه أبو عبد الله الشيعي بعد تاهرت إلى سجلماسة [4] ليخلص عبيد الله المهدي[5] وابنه القاسم[6] من السجن الذي وضعه فيه صاحبها عند قدومه من المشرق.

---

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص 169؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص231.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 68؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص153؛ الباروني، المصدر السابق، ص294-295 ؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص231. .

[3] قال الإدريسي عن مدينة ورجلان (ورقلة): هي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة، ونقارة (هقارة)، فيخرجون منها التبر، ويضربونه في بلادهم، عملة مسكوكة باسم بلدهم وهم إباضية ونكارية، (المصدر السابق،ص 160).

[4] أنشئت سنة 140هـ- 757م، وكان الوالي عليها عند قدوم عبيد الله المهدي اليسع بن ميمون بن مدرار، الملقب بالمنتصر على اسم جده، استولى عليها بنو عبيد سنة 296هـ-908م (أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق ج1، ص157؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص47).

[5] هو أبو محمد عبيد الله، الملقب بالمهدي، أوّل إمام الظهور في بلاد المغرب ولد سنة 259هـ- 873م في سلمية وقيل بالكوفة بعد وفاة أبيه سنة 249هـ- 864م، بعد دخول الداعي أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب استتب له الأمر، أرسل أخاه العباس إلى الإمام عبيد الله المهدي ليخبره بما فتح الله عليه، فخرج الإمام من سلمية متجها نحو المغرب، فلما وصل إلى مصر تنكر بزي التجار، بعدما أُشيع خبره، فهرب مع ابنه أبي القاسم بأموال كثيرة إلى سجلماسة، ولما وصلا إليها سجنهما آخر ملوكها اليسع بن مدرار، فتوجه إليه أبو عبد الله الشيعي ليفك أسره، فنجح وفتح سجلماسة، وانتقل عبيد الله المهدي إلى افريقية و أقيمت الدعوة له ودعي بالخلافة في المغرب على منابر رقادة والقيروان، يوم الجمعة سنة 297هـ-910م، اختُلِفَ في نسبه، ووردت فيه عدة أقوال: أنّه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أو هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وقيل هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرها من الأقوال، توفي بالمهدية سنة 322هـ- 934م (أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص269 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص17-18؛ ابن خلكان، ج3، ص118؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص60 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص453؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص101 وما بعدها).

[6] هو القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي، وقد ذكر ابن خلدون أنّه نزار، ولد سنة 280هـ-893م، وقيل 277هـ-890م بسلمية من عمل حمص، ارتحل مع أبيه إلى مصر سنة 291هـ-903م، وهو غلام، فأقاما بها حتى دخلا المغرب، وعهد له الإمام عبيد الله المهدي من بعده حسب الأصول الإسماعيلية، أخفى موت أبيه حتى فرغ من جميع ما يريده (أنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص74؛ نفس المؤلف، المقفى، ج6، ص169-170؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص51؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص130).

ثانيا: معارضة المالكية للتشيع الإسماعيلي

أ - المعارضة السلمية

1 - المناظرات بين الفقهاء المالكية والشيعة

حدث وأن طُلب من أبي عبد الله الشيعي أن يناظر وجوها من علماء كتامة مرتين، في المرة الأولى طلب منه أخو الشيخ الكتامي أن يناظر معلم الصبيان وأولاده، فدبر لهم الشيخ الكتامي ومن اتبعه مكيدة فقتلوا عن آخرهم[1]، وفي المرة الثانية عندما شاع أمره في كتامة، طلب المعارضون وهم موسى بن العباس صاحب مليلة وعلي بن عسلوجة صاحب سطيف وحي بن تميم صاحب بلزمة وبعض بطون كتامة من بني سكتان تسليمه ومناظرته[2]، فرفضوا ذلك واختفى أبو عبد الله الشيعي عن الأنظار، فقد يعود رفضه المناظرة إلى الخوف من أن ينكشف أمره ويفشل من قيام الدولة قبل تأسيسها.

تميزت مجالس الفقهاء المالكية بالمناظرات فيما بينهم، فكانوا يلقون بمسائل ثم يتناظرون فيها[3]، وهو ما حدث في مسألة الإيمان بين أبي محمد بن أبي زيد القيرواني(ت.386هـ-996م) وعبد الله أبي محمد بن إسحاق المعروف بابن التبان(ت.413هـ-1022م)، وكان الفقيه محمد بن الحارث بن إسماعيل الخشني شعلة يتوقد في المناظرة في مجلس الفقيه أحمد بن نصر القيرواني،[4] فقد أكسبتهم التفوق والغلبة على مخالفيهم من الشيعة.

قام كل من الفقهاء المالكية والعامة بمقاطعة القضاة وعمالهم، ورفض من استطاع دفع المال[5]، فأحس عبيد الله المهدي أنّه غير مرغوب فيه في هذه البلاد، فغيّر معاملتهم، وحاول إرغامهم بحد السيف وإراقة الدّماء، فنفر منه فقهاء الأحناف ممّن تشرق[6]، وظن أنّه يستطيع أن يقنعهم بالرأي لأنّ سياسة العنف لم تجد، فغير سياسته ظنا منه أنّه يستطيع إقناعهم، لأنه لا يعرف تمامًا مستوى الفقهاء المالكية من العلم، فقد كان عبيد الله المهدي ودعاته (أبو عبد الله الشيعي وأخوه العباس) ومن قضاتهم محمد بن عمر المروذي[7]،

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 128؛ وانظر أيضا:.M .Vondesrheiden, op, Cit.,p288

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص91؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص451 وكذا: Iibid

(3) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص532.

(4) نفس المصدر، ج4 ، ص536.

(5) المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ص17.

(6) نفسه.

(7) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص291.

ممّن عقدوا مناظرات مع المالكية، وعملوا على إقناع المالكية وإلزامهم الحجة، وترجيح أرائهم في مذهبهم الشيعي.

فقد بدأت تعقد المجالس بين دعاة الشيعة وفقهاء المالكية. وكانت الغلبة فيها حسب ما ذكرته المصادر السنية أن زعيمها الفقيه أبا عثمان سعيد بن الحداد، الذي كان يرد على أهل البدع من المخالفين للسنة، مثل المسلمين فيها أحسن تمثيل، حتى شبهه أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنة (خلق القرآن)[1] ، فكانت له مناظرات مع أبي عبد الله الشيعي في مسألة "التفضيل" أي أفضلية أئمة أهل البيت على غيرهم من الصحابة ، فقال له مرّة:" أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم"[2]- " فرد عليه أبو عثمان :" أي أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل؟ أو اثنان الله ثالثهما؟"[3] فاستغرب أبو عبد الله الشيعي من إجابة ابن الحداد، لأنه لم يكن يتوقع هذا الرّد.

وعقد معه مناظرة أخرى حول إثبات ولاية علي- رضي الله عنه- بنظرية الخاتم فقال فيها أبو عبد الله الشيعي لابن الحداد:" إنّ القرآن يقول: إنّ محمدا ليس بخاتم النبيين فقال:" وأين ذلك؟ قال في قوله تعالى﴿ وَلَكِنَ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَبِيّينَ﴾[4] وخاتم النبيين غير رسول الله فقال له ابن الحداد: هذه "الواو" ليست من واوات الابتداء، وإنما هي من واوات العطف، كقوله تعالى﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5]، فهل أحد يوصف بهذه الصفات غير الله[6].

وكانت للخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي مناظرة مع ابن الحداد حول حديث موالاة علي- رضي الله عنه- ودلالته، فذكر عبيد الله المهدي الحديث:" من كنت مولاه فعلي مولاه"[7]، ثم قال ما بال النّاس لا يكونون عبيدًا لنا؟ ، فقال ابن الحداد:" لم يرد بولاية رق، وإنّما أراد بها ولاية الدين وذكر قوله تعالى﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِن دُونِ اللهِ ولَكِن كُونُوا ربَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص298.

[2] أصحاب الكساء هم: محمد- صلى الله عليه وسلم- والحسن والحسين، وعليا، وفاطمة، أما غيرهم فمعناها: أبو بكر (نفسه).

[3] نفسه.

[4] سورة الأحزاب، الآية 40.

[5] سورة الحديد، الآية 3.

[6] الدباغ، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص283؛ عبد العزيز مجدوب، المرجع السابق، ص150.

[7] ابن حنبل، المصدر السابق، ج1، ص84؛ الترميذي، المصدر السابق، 842؛ وابن ماجة، المصدر السابق، ج1، ص81؛ الدباغ، المصدر السابق، ص299.

تَعلمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسلِمُونَ﴾ [1] وقال له :" فما لم يجعله الله عزوجل لنبي لم يجعله لغير نبي، وعلي لم يكن نبيا، وإنّما كان وزيرا للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم"، فضربه المهدي ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن تعهد بكتم المجلس على لسان أبي جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي [2]. وكان القاضي المروذي يرسل في طلب الفقهاء من المالكية والحنفية ليناظرهم في بعض المسائل عسى أن يرجعهم إلى مذهبه، ومن هذه المسائل قيام رمضان فكان يقول لهم :" إن وجبت لكم الحجة رجعنا إليكم وإن وجبت لنا رجعتم إلينا"[3].

دارت المناظرات حول المسائل التي تتناول الفقه وأصوله، ومناقب الصحابة ومراتبهم وبعض المسائل الكلامية ذات المدلول السياسي[4]، منها: مسألة خلق القرآن، القياس، قيام الليل، الإمامة، مسألة التفضيل (علي رضي الله عنه)، تكفير الصحابة[5]... والتي فسروها بمفهوم خاطئ معتمدين على التأويل لظاهر النصوص (القرآن والسنة)حسب ما تمليه عليهم ميولهم ومعتقداتهم. ولولا وقوف أهل النظر والجدل ومعرفتهم للأحاديث والآيات القرآنية وإدراكهم لمعانيها ومدلولاتها، وتبحرهم في اللغة العربية والنحو لمّا استطاعوا التغلب عليهم.

قال موسى القطان في شأن سعيد بن الحداد:" لو سمعتم سعيد بن محمد في تلك المحافل -يعني مناظراته للشيعي- لتمنيتم أن لا يسكت"[6]، وقد تميز المناظرون بالشجاعة والقدرة العظيمة في المواجهة، فذكر الدباغ أنّ أبا عبد الله الشيعي أمر خادمه الصقلي حين يجتمع إليه النّاس أن يأذن لهم بالدخول عليه، فلما جاء سعيد بن الحداد أذن له بالدخول،

---

[1] سورة آل عمران، الآية، 79-80.

[2] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص299-300؛ عبد العزيز مجدوب، المرجع السابق، ص151.

[3] نفسه.

[4] محمد اليعلاوي: الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين، ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4-5- 6-ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، ص270.

[5] شكك الشيعة في إيمان الصحابة -رضي الله عنهم- لقوله تعالى﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتتمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ﴾ (سورة أل عمران، الآية144)، فأولوا الآية وقصدوا من قوله تعالى أنّ الصحابة ارتدوا بعد وفاته- صلى الله عليه وسلم- استشهد أحدهم أنّ عمر بن الخطاب لما توفي الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال:" إن" رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي الرجال وأرجلهم" (أنظر: محمد أحمد عبد المولي، المرجع السابق،ج2، ص؛263؛ وللمزيد أنظر: R.Brunschvig: Le Fiqh Fatimide et histoire de l`Ifriqiya, Dans les etudes d`Islamologie, edition G. P. maisonneuve et larose, 1976, Paris, T.1, p63-71.

[6] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص309؛ عبد المولى، المرجع السابق،ج1، ص369.

فقال له الشيعي:" هذا هو النّاس كلهم! فقال له الصقلي:" فأنا فعلت ما أمرتني به"، فالصقلي كان مسلما وكان علم ابن الحداد الغزير يعجبه فقتله الشيعي بعد ذلك لما كان له من مدح سعيد ابن الحداد.[1]

والغاية من هذه المناظرات إما الترجيح لما قالته الشيعة أو نفيه من الفقهاء المالكية، وذهب بعض الباحثين إلى القول إنّ سياسة الفاطميين مع الفقهاء المالكية أمر طبيعي، فكل دولة تريد فرض سلطانها ومبادئها، تتبع سياسة خاصة بها، ولو أدى ذلك إلى تعذيب وتشريد وقتل من خالفها، [2] فليس من الطبيعي أن تقوم هذه الدول فيمن خالفها في الرأي والعقيدة، بل لابد لها من إقناعهم بالحجة والبرهان لأن العنف لا يجدي نفعا، فكل حركة تقاوم تزداد عنفا، وكانت المالكية في أعنف مظاهرها وأشد صمود مع بني عبيد رغم ما نالهم من قتل وتعذيب[3].

نتجت عن هذه المجالس هزيمة عبيد الله المهدي ودعاته من طرف الفقهاء المالكية الذين أفحموهم بالحجة بعد الحجة مما أدى إلى زيادة شدة كراهية أهل إفريقية للعبيديين، فاستهانوا بأمرهم واستعدوا للانقلاب عليهم، وإزاء ذلك فكر عبيد الله المهدي في مغادرة القيروان وبناء مدينة خاصة به وبأبنائه فبنى المهدية، وترك القيروان للمالكية، لكن القاضي النعمان ذكر أن سبب بناء المهدية سنة 303هـ-916م حتى لا يصل إليها أبو يزيد مخلد بن كيداد ولا يدخلها، فيعتصم بها هو وأنصاره[4]، ووافقته بعض المصادر السنية في ذلك[5].

2 - الرحلات بين المدن

استولى الفاطميون على بلاد المغرب[6]، وسيطروا على غالبية مدنه، ما أثر بشكل مباشر على الفقهاء المالكية الذين تعرضوا للتعذيب والقتل، ومنهم من لم يتحمل التعذيب فتشرق، ومنهم من اختار مقاومتهم والبقاء في وطنه، إلاّ أنّ البعض هاجر إلى مدن أخرى

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص309.
[2] أبو العزم، المرجع السابق، ص184.
[3] المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ص13.
[4] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص327-328.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص49؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص49-50.
[6] شهدت الأندلس ازدهارا في التعليم في عهد الناصر، و وصل ذروته في عهد الحكم المستنصر لحرص هذا الخليفة وتشجيعه للعلماء، أكرم واستقبلهم في بلده من جميع الأقطار، مشرقا ومغربا، شجع الكتابة ونسخ الكتب كما أمر بشراء الكتب ونسخها من المشرق، (منيرة بنت المهدي: علماء الأندلس في القرنيين الرابع والخامس الهجريين، الرياض، 1423هـ/2002م، ص51) .

فرارًا من الفاطميين، للحفاظ على أنفسهم ومذهبهم، فقد ذكر عياض أنّ الفقيه أبا محمد بن الكراني من فقهاء القيروان سئل إذا خيّره بنو عبيد بين الدخول في دعوتهم، أو القتل؟ فقال:" يختار القتل، ولا عذر أحد بهذا، إلاّ من كان أوّل دخولهم البلد، فيسأل إن يعرف أمرهم، وأما بعد، فقد وجب عليه الفرار، فلا عذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأنّ المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع، لا يجوز، وإنّما أقام من هنا من العلماء والمتعبدين على المباينة لهم، لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم فيفتتونهم عن دينهم وعلى هذا كان الفقيه القطان وأبو الفضل الممسي..."[1]، وغيرهم مما قيل فيهم الكثير لِما أصابهم من العبيديين فهذا ابن ناجي يقول"...جزى الله مشيخة القيروان خيرًا هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة"[2].

لقي فقهاء القيروان من الفاطميين شتى أنواع التعذيب والتنكيل والقتل، ما لم يشهده غيرهم، لذلك اختار بعضهم الفرار خوفا على دينهم وسنيتهم من عساكر الشيعة، فالفقيه أحمد بن الفتح تاهرتي ويعرف بالبزاز[3] مالكي تولى قضاء تاهرت ثم المليلة، فرّ إلى قرطبة خوفا من الشيعة، التي كانت تلاحق فقهاء السنة في كل مكان، فأجاره عبد الرحمن الناصر (325-350هـ/937-961م) حاكم الأندلس وجعله قاضيا على ناحيته[4]. وأحمد بن أبي عون الوهراني فقيه وقاضي مدينة وهران، رحل إلى الأندلس سنة 341هـ-952م [5]. وسعيد بن خلف الوهراني، فقيه ومحدث على مذهب الإمام مالك، رحل إلى المشرق[6]، وآخرون ومنهم من اختار الرّحلة طلبًا للعلم، مثل الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي (ت.378هـ-997م) الذي دخل قرطبة هاربا من الشيعة[7]، والفقيه قاسم

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص719-720؛ وأنظر أيضا: H. R Idris : Deux juristes Kairouanais de l`èpoque Ziride : Ibn Abi Zaid et Al- Qabisi X$^{e}$- XI$^{e}$, anneles de l`institut d`ètudes Orientales, Facutè des lettres de l`universitè d`Alger, Alger, 1954, T. XII, p127.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص292.

(3) أبو جعفر أحمد بن الفتح تاهرتي، ونسب في بعض المصادر إلى المليلة، كان عظيم القدر جليلةً يضاهي بكر بن حماد في الشعر، من الذين هاجروا إلى فاس ثم انتقل إلى البصرة ومدح صاحبها أبا العيش، ثم ولى قضاء مليلة ثم دخل الأندلس سنة 325هـ -936م، خوفا من عساكر الشيعة،فأجاره عبد الرحمن الناصر وعينه قاضيا على ناحيته، توفي بالمليلة سنة 332هـ-743م(أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص103؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ص61؛ عبد الوهاب ابن منصور، أعلام المغرب العربي المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م، ج2، ص287).

(4) وهناك من نسبه إلى ميلة لأنّه كان قاضيا عليها(أنظر، ابن الفرضي: المصدر السابق، ص61؛ منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي، المرجع السابق، ص443).

(5) ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص295؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص32؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص 137.

(6) عادل نويهض، نفس المرجع ، ص208؛ الهنتاتي، نفس المرجع ، ص137.

(7) منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي، المرجع السابق، ص440.

بن يونس الضبي الجزائري (ت.370هــ- 1000م)، ومن تاهرت الفقيه زكريا بن أحمد الغساني (ت.393هــ- 1003م)، وحسين بن سلمون وغيرهم[1].

فضّل بعض الفقهاء الاستقرار في الأندلس، كأحمد بن خلوف المسيلي ويكنى بأبي جعفر ويعرف بالخياط(ت.393هــ-1003م) الذي دخل الأندلس قصد الجهاد وبقي فيها إلى وفاته[2]، والفقيه قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي، من جلساء بكر بن حماد فكان يكتب له أربع أحاديث ويلزمه بحفظها، ويقول له بكر:" لا تأتيني إلا وقد حفظتها"[3] ، رحل إلى الأندلس سنة 317هــ- 929م، ولاه الحاكم المستنصر بالله(350-366هــ/961-976م) القضاء[4]، ورحل معه ابنه أبو الفضل أحمد وكان سِنّه لا يتجاوز ست سنوات، أخذ علمه عن فقهاء الأندلس واشتغل بالتأليف في أواخر حياته (ت.395هــ-1400م)[5].

وقد أدى كل هذا إلى بروز فقهاء من المالكية، في مدينة تاهرت التي كان يسودها المذهب الإباضي قبل زحف الفاطميين إليها، وفي مدينة وهران ومدينة المسيلة وميلة وغيرها، فقد منعوا من المجالس العلمية في المساجد والفتيا، ما أدى إلى تراجع الإنتاج العلمي الذي استفادت منه الأندلس وأصبح علماء المغرب يجتمعون سرا في دور أحدهم.

رغم استيلاء الخلافة الفاطمية على المغرب الأوسط، أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، والتي كان الغلبة فيها للمذهب الخارجي، قبل سقوط الدولة الرستمية على يد عبد الله الشيعي، ما جعل الفقهاء المالكية في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) يبرزون أكثر من غيرهم خاصة في مدينة تاهرت ووهران والمسيلة، أما إفريقية ففي هذا القرن سادها نوع من التراجع في الإنتاج العلمي سببه تغيير وجهة الفقهاء العلمية، فبينما كانت محطتهم ومستقرهم، وهناك سبب أقوى يتمثل في منعهم من حضور المجالس العلمية في المساجد والفتيا[6]، مما اضطر بعضهم إلى تعاطي ذلك سرا في أحد

---

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق، ص130؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص74.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص627-628؛ ابن الفرضي، نفس المصدر ، ص62؛ منيرة بنت عبد الرحمن الشرقي، ص440.

(3) الأوسي المراكشي(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري): الذيل والتكملة، تحقيق أحسن عباس، دار الثقافة، بيروت، ج8، ص430.

(4) الضبي، المصدر السابق، ص394؛ الحميدي، المصدر السابق، ص313؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص131.

(5) ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص74؛ الحميدي: نفس المصدر ، ص132-133، الضبي، نفس المصدر ، 172؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص35.

(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3 ، ص 318.

دور عالم ما جعل هذا التراجع يعود بالفائدة على الأندلس التي أخذت مكانتها في هذه الفترة، وأصبح فقهاء المغرب الأوسط والأقصى... يفدون إليها، فالخليفة المستنصر اعتنى بحركة التأليف في شؤون إفريقية لاسيما ما يتصل منها بالشيعة، فالفقيه محمد بن الحارث الخشني (ت.361هـ-971م)، أحد الذين حضروا مجالس أحمد بن نصر الداودي، فقد هاجر إلى الأندلس سنة 312هـ-924م، والفقيه محمد بن يوسف الوراق[1] صاحب كتاب الجغرافية "المسالك والممالك" الذي نقل عنه البكري[2]، ألفة بطلب من الحكم المستنصر، وهو يخص مسالك إفريقية وممالكها، والحروب التي شاهدتها افريقية، وكانت له تآليف حول تاهرت ووهران وتنس... [3] لم تصل إلينا، ولو وصلتنا لعرف الكثير عن المغرب الأوسط .

3 - المعارضة بالتأليف

في القرن الثالث الهجري كانت الحركة الثقافية في المغرب الأوسط، مقتصرة على الإباضية أكثر من غيرها من المذاهب الأخرى، لكن هذا لم يدم طويلا ففي القرن الرّابع أخذ المذهب المالكي الحظ الأوفر في التأليف، وقد فسرت بعض الدّراسات الحديثة أنّ مرده يعود بالدّرجة الأولى إلى الإنجازات العمرانية التي قامت في العهد الفاطمي والصنهاجي كتأسيس المسيلة سنة 313هـ- 925م وأشير[4] سنة 324هـ- 935م، وقلعة بني حماد إلى أن ظهرت بجاية كمركز ثقافي مشع[5].

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص.90

[2] نفسه؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص532؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص162.

[3] نفسه؛ الحبيب الجنحاني: الصراع الفاطمي الأموي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري الأعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني ، قرطاج11-17 أفريل 1977م، الكراسات التونسية عدد خاص العدد 103-104، الثلاثي 3 و4، منشورا كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1978، ص24.

[4] تسمى بأشير زيري وهي مدينة حصينة لا يوجد مَن أحصن منها في تلك الأقطار، تقع بين جبال شامخة محيطة بها، بينها وبين تامزكيدة مرحلة، ومن أشير إلى المسيلة ثلاث مراحل، عمرها زيري بن مناد الصنهاجي، جاء بالبنائين من المسيلة وطبنة وغيرها وشرع في بنائها، سنة 324هـ- 936م، خربها يوسف بن حماد بن زيري، وقال عنها الوراق أنّ الذي بنى أشير زيري والدليل على ذلك ما أنشده عبد الملك بن عيشون:

يا أيها السايل عن غربنا وعن محل الكفر أشير
عن دار فسق ظالم أهلها قد شيدت للفك والزور
أسسها الملعون زيريها فلعنه الله على زيري

(أنظر: البكري، المصدر السابق، ص60-61؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص89؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص111-108؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص202-203).

[5] عبد الحميد خالدي: الحياة العلمية ببجاية الحمادية وأثرها في الحضارة الإسلامية، ضمن محاضرات الموسم الثقافي، 98-99 الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 1420هـ- 1999م، ص179، 197، 181، 182؛ الهنتاتي: المرجع السابق، ص137.

لكن عند استقرائنا للمصادر، وجدنا أنّ الحركة الثقافية برزت أثناء وجود الخلافة الفاطمية بالمغرب، إذ أنّ الفقهاء المالكية اختاروا التأليف كمقاومة سلمية لوجودهم، فحركة التأليف عرفت ازدهارا كبيرا لم تشهده مدن المغرب في القرن الثالث الهجري، أمّا القرن الرابع الهجري، فقد برز فيه المغرب الأوسط.

فالفقهاء المالكية في المغرب الأوسط، اختاروا المقاومة السلمية باهتمامهم بالتأليف عكس غيرهم الذين اختاروا المقاومة بشكل أخر، كالمقاطعة أو المناظرة التي كان يقودها الفقيهان سعيد بن الحداد وابن التبان وغيرهم، ومنهم من اختار المقاومة الدموية كثورة أبي يزيد صاحب الحمار الذي تحالف معه الفقهاء المالكية.

ومن الفقهاء الذين كان تأليفهم متنوع بحيث وشمل عدة مجالات كالفقه والحديث وعلوم القرآن، والعقيدة والشعر وحتى الجهاد، فالفقيه زكريا بن بكر بن أحمد الغساني التاهرتي (ت.393هـ- 1002م) دخل الأندلس مع أبيه سنة 326هـ- 937م وتفقه عن القاسم بن أصبغ وله رحلة إلى مصر سمع من أبي قتيبة مسلم بن الفضل، كما التقى فيها بالشاعر المشهور أبي الطيب المتنبي فأخذ عنه ديوان شعره رواية، ثم عاد إلى قرطبة وحدث بكتاب صحيح البخاري وغير ذلك[1].

والفقيه أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز(ت.396هـ-1005م)، ألف كتابا في" فضائل الجهاد" لتوعية الفقهاء والعامة في فضل الجهاد، ولمحاربة بني عبيد الذين كانوا يعتقدون كفرهم قطعا، لذلك لما تحالفوا مع أبي يزيد مخلد بن كيداد كانوا يقولون له " أنت رجل من أهل القبلة ، نقاتل بك من كفر بالله ورسوله" [2]، و"رسالة إلى أهل طبرستان"، وكتاب " المعرفة بالتبصير"عن أبي بكر بن أحمد بن الفضل الدينوري عن الطبري[3]، وسعيد بن فحلون بن سعيد أبو عثمان (ت.346هـ-956م) من الذين سكنوا بجاية وقد انفرد برواية كتب عبد الملك بن حبيب، والواضحة وغيرها[4].

والفقيه أحمد بن علي الربعي الباغائي(ت.401هـ-1010م) من مدينة باغاية من المغرب الأوسط دخل الأندلس سنة 376هـ-986م، استدعاه محمد المنصور لتأديب ابنه،

---

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق، ص130؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص74.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص302، 317-318.

(3) نفس المصدر، ج4، ص691؛ الحميدي، المصدر السابق، ص133؛ الضبي، المصدر السابق، ص171-172؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص35.

(4) ابن فرحون، المصدر السابق، ص203-204.

ولاه الخليفة هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى خطة الشورى، له كتاب " أحكام القرآن" قال عنه ابن حيان:" كان رياسيا في علوم الإسلام، جمّ الرواية شديد الحفظ آية في ذلك، لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن..."[1].

والفقيه أحمد بن نصر الداودي[2] المالكي (ت.402هـ- 1011م)عاش في مدينة المسيلة بالمغرب الأوسط وقيل في بسكرة، وصل إلى درجة عالية من العلم والتفقه، وله كتب عديدة منها " النصيحة في شرح البخاري" فقد ذكرت المصادر أنّ بغضه وكرهه للعبيديين، وصل به إلى أن ينكر على معاصريه من الفقهاء سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين أظهرهم، فكتب إليهم بذلك، إلاّ أنهم عارضوه وسبب ذلك حسب رأيهم أن بقاءهم مع عامة النّاس يكون لتثبيتهم على الإسلام، ولو خرجوا من افريقية لتشرق من بقي من العامة الألف والآلاف[3]، فاختاروا ماهو خيرا لهم وللأمة جميعا.

وقد جرى في القيروان تقاطع وتهاجر[4] في مسألة الإيمان بين طائفتين فذكر أحمد ابن نصر الداودي عن ابن التبان أنّه إذا سئل عن غيره هل يقول : هو مؤمن عند الله أن يسكت فكان يقول هو مؤمن عند الله وذهب إلى رأيه طائفة وخالفه أبو محمد بن أبي زيد. وقال إنما يقول(أي التبان)، إذا كانت سريرتك، علانيتك، فأنت مؤمن عند الله. فالفقيه أحمد بن نصر لم تعجبه هذه الفُرقة بين الفقهاء خاصة ابن التبان وأبو محمد بن أبي زيد اللذان كانا من المتصدرين لمناظرة الشيعة. فكعادته يعمل بمبدأ النصيحة لحديث الرسول- صلى الله عليه مسلم- " ...النصح لكل مسلم"[5]، ولقوله تعالى ﴿ إذا نَصَحُوا لله ورَسُولِهِ﴾[6] .

وطرح أحمد بن نصر المسألة على ابن التبان فقال له:" كيف نقطع على غيبة"، فقال:" فإن كان سريرته مثل علانيته، كان كذلك، يقال هذا مؤمن في حكم الله تعالى" ثم

(1) عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج3، ص9-10.
(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص623؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص47.
(3) نفسه.
(4) نفس المصدر، ج4، ص523.
(5) لحديث مسدد قال: حدثنا يحي عن إسماعيل، قال: حدثني قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله، قال: بايعت رسول الله- صلى الله علي وسلم- على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم" البخاري: المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم- الدين نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، رقم الحديث 57، ص13.
(6) سورة التوبة، الآية 91.

تلا قوله تعالى ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ﴾[1]. فذهب إلى محمد ابن أبي زيد فأخبره عن رأيا بن التبان فعلم أنّ رأيهما واحد[2].

كما يعتبر أوّل من شرح كتاب " صحيح البخاري" وكتاب " النامي" شرح لموطأ الإمام مالك الذي كتبه وهو في طرابلس الغرب، ، وكتاب "الإيضاح" في الرد على القدرية، وكتاب " النصيحة" [3]، والتي برز بعضها في معاملته مع الفقهاء المالكية حين خرجوا مع أبي يزيد مخلد بن كيداد[4] وكذلك تدخله مع أبي محمد بن أبي زيد وابن التبان في مسألة الإيمان كي لا يحدث شقاق بين الفقهاء المالكية خاصة وأن عدوهم واحد (بنو عبيد)، وتأليف أحمد بن نصر الداودي لهذه الكتب في هذه الفترة ليس صدفة، فرغم أنّه لم يشارك في ثورة أبي يزيد الدموية فقد كانت معارضته بشكل أقوى وكتبه خير دليل، فالعبيديون عارضوا المالكية في بعض المسائل الفقهية، وكان كتاب "الواعي في الفقه" للداودي هو بيان الوجه الشرعي والصحيح لهذه المسائل، ومن أحسن كتبه التي عرفت شهرة "كتاب الأموال" [5]فهو يعبر عن السياسة المالية التي فرضتها الدولة الفاطمية على سكان أهل المغرب من المعارضين لها.

ومن الفقهاء المالكية الذين استقروا في المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) ، نذكر أشهرهم: أبو عبد الملك البوني فقيه أصله من الأندلس، استقر في بونة وأخذ علمه عن الفقيه أحمد بن نصر الداودي، له تأليف في شرح الموطأ[6]، والفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي، ممّن سكنوا قلعة بني حماد، تفقه عنه أبو الفضل بن النحوي، له تأليف في علوم القرآن، وكتاب سمّاه " الاستيلاء" وله تعليق كبير في المذهب (المالكي)[7]، والفقيه فضل بن سلمة ابن جرير بن منخل الجهني (ت.319هـ-931م)، أصله من البيرة وسمع ببجاية، له "مختصر المدونة"

---

(1) سورة الممتحنة، الآية10.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص523.

(3) نفس المصدر ، ج1، ص48 و ج4، ص710-717-719؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص94؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص47؛ عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج1، ص264.

(4) نفس المصدر ، ج4، ص623.

(5) تنول الداودي في كتابه مسائل لها علاقة بالحياة الإجتماعية أثناء وجود الفاطميين بالمغرب، منها مسألة الخمس وكيف يتم تقسيمها، والزكاة وماهي الأشياء التي تجب فيها وماهو مقدارها، والخراج، وذكر مايجري على أيدي الأمراء من أموال وغيرها (أنظر:(أبو جعفر أحمد بن نصر الداوودي، ت402هـ- 1011م): الأموال، دراسة وتحقيق مركز الدراسات الفقهية، محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 1421هـ -2001م، ص65 وما بعدها من عدة صفحات).

(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص709-710؛ وأنظر أيضا: .Deux juristes, Op, Cit., p193

(7) نفس المصدر، ج4، ص793.

و"مختصر الواضحة" وأضاف فيه فقهه، وعقب على ابن حبيب، له كذلك " مختصر كتاب ابن المواز"، وكتاب جمع فيه " مسائل المدونة والمستخرجة" وله "جزء من الوثائق"، ألف كتاب "الطبقات" فيمن روى عن مالك وأتباعه[1]، ونقل عنه القاضي عياض في كتابه "ترتيب المدارك" الكثير، والفقيه علاء بن محمد (ت.347هـ-958م) من أهل تدمير بالأندلس، سكن مدينة بونة بالمغرب الأوسط، له رحلة إلى مصر سمع فيها من جعفر بن عبد السلام البزاز، وبإفريقية و تونس من أبي البشير التونسي وفي القيروان من أبي بكر بن اللباد، وله العديد من الكتب.[2]

والفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت.351هـ-962م) من قرطبة، أخذ علمه عن قاسم بن أصبغ والخشني صاحب كتاب"طبقات علماء إفريقية"، ولمكانته عند الخليفة الحكم المستنصر، ولاه قضاء بجاية وأحكام الشرطة بقرطبة[3].

إنّ الفقهاء المالكية لم يبقوا مكتوفي الأيدي، فرغم المحن التي تعرضوا لها على يد العبيديين في بلاد المغرب، إلا أنّ الحياة الفكرية والثقافية كانت على مستوى كبير من الازدهار وهذا راجع إلى مساهمة الفاطميين أنفسهم وبطريقة غير المباشرة في جعل الاتجاه السني ينتشر بشكل أقوى في المغرب الأوسط، دون غيره من المناطق عن طريق التأليف المضاد بقوة وبغزارة .

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص440-441.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص262.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص194-295؛ الضبي، المصدر السابق، ص388؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص123؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص315؛ ابن الفرضي، نفس المصدر ، ص278؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص130.

ب- المعارضة المسلحة

دور الفقهاء المالكية في ثورة يزيد مخلد بن كيداد

لم يستأصل الشيعية جذور المقاومة ضدهم في المغرب الأوسط، رغم نجاحهم في القضاء على الدولة الرستمية، والدليل على ذلك قيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، التي كادت تطيح بالخلافة الفاطمية. و نتساءل هنا عمّن كان وراء هذه الثورة؟ ومن أكسبها الشرعية والقوة التي مكّنتها من الوقوف أمام السلطة الشيعية؟ وللإجابة لابد من التعريف بهذه الثورة.

إنّ صاحب هذه الثورة هو أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني [1]، نشأ في توزر واعتنق المذهب النكاري[2]، ثم أقام بتاهرت وسجلماسة قبل عودته إلى قسطيلية [3]، وذكرت بعض المصادر أنّ الإباضيين يعتبرونه من المفسدين في الأرض[4].

كان أبوه من أهل قسطيلية من مدائن توزر، وكان يذهب إلى بلاد السودان من أجل التجارة، هناك ولد أبو يزيد، فلما خرج أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة في طلب عبيد الله المهدي، رحل إلى تقيوس[5] - من مدن قسطيلية- ، واستمر في تعليم الصبيان القرآن، فقد جعلها مهنة لِبَثِ أفكاره المناوئة للنظام الفاطمي ثم التجأ إلى جبل الأوراس ينشر به دعوته علانية، ومنها إلى تاهرت لإدراكه خطر الشيعة.

وتعتبر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد من أخطر ردود الأفعال ضد الوجود الفاطمي في المغرب، بسبب السياسة المالية الجائرة التي انتهجتها الدولة الفاطمية، والمتمثلة في الضريبة التي مسّته عندما قصد الحج. فكل بلد كان يمر منه إلاّ وطُلب منه دفع المكس،

---

(1) جعل الدشراوي ولادته سنة 270هـ/883-884م، المرجع السابق، ص248؛ أما لوتورنو R . Le Tourneau لم نعثر على تاريخ ولادته في المصادر (أنظر: La révolte de A`Bu- Yazid au X siècle, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, T.I, p105. ونشأ بتوزر فتعلم القرآن وخالط النكارية من الخوارج، فمال إلى مذهبهم، قال الرقيق:" قرأ على عمار الأعمى"، وكان يركب حمارا أهدي له، وسمي" بشيخ المؤمنين"(أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص217؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص52؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص175 وما بعدها).

(2) وهم أتباع يزيد بن فندين الخارج عن إمامة عبد الوهاب بن رستم، فأظهروا إنكار إمامته، فسموا بالنكارية وبالنكاثية لنكثهم بيعة الإمام(أنظر: أبو زكريا، نفس المصدر ، ص89 وما بعدها؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص51؛ الشماخي، المصدر السابق، ص55؛ ابن خلدون، نفس المصدر ، ج1، ص52).

(3) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص248.

(4) ذكرت الرّواية الإباضية أنّه وُجد على حجر مكتوب عليه:" ثلاثة مفسدون في البلاد، شداد بن عاد، وفرعون ذي الأوتاد، ومخلد بن كيداد"، وهو تأكيدا ما قام به عند دخوله القيروان من تخريب وما فعله من الفسوق والمعاصي والفجور (أنظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص 176 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص189؛ موسى لقبال، كتامة، ص427).

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص52؛ ابن الأثير، نفس المصدر، ج7، ص188.

ما جعله يقول لمرافقه عند عودته إلى المغرب:" اقرأ عني السلام على جميع إخواننا، وقل لهم قد وافينا كثيرا، وأنّه ليس لله علينا أن نشتري حجة"[1].

كما مست الضريبة التي وُضعت على التجار أبا يزيد وأباه كيداد ،[2] قرر القيام بالثورة، فبدأ دعوته بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، ومحتسبا على جباة الأموال[3] وكفّر الشيعة واستباح أموالهم ودماءهم[4]، مستغلا ضيق الفقهاء والعامة من معاملة الفاطميين لهم [5]، الذين رفضوا جميع أشكال التعاون معهم[6]، فكثر أتباعه واشتدت قوته[7]، وكانت بداية ثورته سنة 322هـ-944م، بتنظيم غارات على مدينة باغاية[8] فقدمت قوات كتامية، من ميلة وسطيف وبلزمة، وعناصر من تيجس وهوارة وورفجومة، فأزاحهم أبو يزيد وأجبرهم على الانسحاب إلى باغاية...، وأدّت هذه المعارك إلى تأخر دخول أبي يزيد إلى افريقية. ثم احتل تبسة وأخضع أهلها ، وتمكن من الاستيلاء على مرماجنة ووصل إلى حدود افريقية. وفي هذه المنطقة أُهدي حمارا أشهب فسمي بصاحب الحمار[9]، وبعد وفاة المهدي سنة (322هـ-944م)[10]، سنحت له الفرصة في نشر دعوته والقيام بثورته ضد الفاطميين، فانتقل من تقيوس إلى الأوراس بالمغرب الأوسط[11]، وانضم إليه عدد كبير من البربر، وسمي بشيخ المؤمنين[12].

واصل طريقه إلى الأربس واستولى عليها بعد أن سفك الكثير من دماء أهلها، وفعل بهم ما لم يفعله مسلم[13]. حاول الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي وقف هذا الزحف فأرسل جيوشا لمحاربة أبي يزيد إلا أنه مُني بالفشل مما سمح لأبي يزيد بدخول تونس، ثم

---

(1) أبو زكريا، المصدر السابق، ص176؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص97؛ .بوبة مجاني، النظم ، ص57.

(2) إدريس القرشي، المصدر السابق، ص265؛ بوبة(نفسه).

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق،ج1، ص173؛ موسى لقبال، كتامة، ص54.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص52؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص188-189.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص193.

(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص339-363.

(7) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص74.

(8) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص17؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 249-250؛ وانظر أيضا: Le Tourneau, Op. Cit., p. 108.

(9) ابن الأثير ، المصدر السابق، ج7، ص189؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص250.

(10) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص206.

(11) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص19.

(12) نفس المصدر، ج4، ص52.

(13) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص216؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص73؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص194.

واصل طريقه مع أتباعه حتى استولى على رقادة القيروان في سنة (333هـ/944م)[1]، أما القائم بأمر الله فبقي في المهدية يستعد للمقاومة، لكن أبا يزيد حاصر المهدية، وضيق الخناق على أهلها، حتى أكلوا الدواب، والميتة وافترقوا في النواحي[2]، ويعود نجاح أبي يزيد إلى الفقهاء المالكية وبعض الأحناف من الذين تحالفوا معه وأعطوا لهذه الثورة الشرعية مدفوعين بما تعرضوا له من محن على يد الفاطميين.

فاكتسبت هذه الثورة طابعا سنيا، واستغل أبو يزيد مخلد بن كيداد الفرصة فأظهر الترحم على أبي بكر وعمر خلافا لما ذهبت إليه الشيعة من تكفيرهم[3]، وأمر أبو يزيد أتباعه بقراءة مذهب مالك والالتزام به ومع ذلك فإنّ الفقهاء المالكية لم يكونوا واثقين منه تمام الوثوق، في البداية، لكنّ بغضهم لبني عبيد حملهم على الانضمام إليه[4]، ويراقب تطبيق قواعد الشرع الإسلامي(القرآن والسنة) وتنفيذها بواسطة الاحتساب على الولاة والعمال وأوساط الناس، كما كان يدعو إلى التكتل لقتال الشيعة، والحط من شأنهم وشأن أئمتهم[5] .

وفي نفس السنة تشاور الفقهاء المالكية وبعض الأحناف في المسجد الجامع بالقيروان لمحاربة الفاطميين[6]، ومن تشيع معهم، واتفقوا على الالتقاء مرة ثانية في المصلى إلا أنه لم يستوعبهم لكثرتهم، فقرروا أن يطوفوا بشوارع مدينة القيروان في اليوم الموالي.فخرج الجميع من معهم محتشدين في سماط القيروان حاملين مصاحفهم في أيديهم، ينادون الجهاد الجهاد، ورافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي- صلى

---

(1) ذكر أبو زكريا أنّه بلغ ما خرب على يد أبي يزيد مخلد بن كيداد في إفريقية، ثلاثون ألف قرية لم تعمر إلى يومنا هذا، وفعل في إفريقية من الفسوق والمعاصي والفجور ما لم يبلغنا مثله عن الفراعنة...(المصدر السابق، ص182)، إن كلام أبي زكريا على أنها ثلاثون ألف قرية هذا فيه لمبالغة .

(2) ابن خلدون ، المصدر السابق، ج4، ص54.

(3) ترى الشيعة أنّ عليا أولى بالولاية من غيره مستدلين بقوله تعالى﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة، الآية 55، فسروا هذه الآية بولاية الأمر وأنّ النبي- صلى الله عليه وسلم لم يفسرها خوفا-حسب تأويلهم أنهم سيرتدوا بعدها حتى أنزل الله قوله﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ سورة المائدة، الآية 67، وأنّه- صلى الله عليه وسلم قام بولاية علي-رضي الله عنه- يوم غدير خم عندما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم:" أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"...(أنظر: القاضي النعمان، دعائم، المصدر السابق، ج1، ص15-16)؛ حديث صحيح رواة البخاري في صحيحه، المصدر السابق، كتاب فضائل أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم-باب مناقب علي، رقم الحديث 2706، ص625، إنّ السنيون لا يرون ذلك وأن خلافة المسلمين تكون بالشورى.

(4) القاضي عياض ، المصدر السابق، ج1، ص13.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص217؛ موسى لقبال، كتامة، ص427.

(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص319-320؛ ابن عذاري، نفس المصدر ،ج1، ص217؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص201 .

الله عليه وسلم- والترحم على أصحابه وأزواجه- رضي الله عنهم- ويعلنون البراءة من الفاطميين ومن ذهب مذهبهم. وتحريض العامة على قتال الشيعة. ومن أبرز الفقهاء المالكية المشاركين عباس الممسي(ت.333هـ-944م)، وإسحاق السبائي (ت.356هـ-966م)، وأبو العرب صاحب كتاب الطبقات (ت.333هـ-944م)، وربيع القطان (ت.334هـ- 945م)، الذي أصر على مواصلة القتال.

فاستنهضوا عزائم الناس للجهاد ورغبوهم في قتال الفاطميين وتمكنوا من تعبئة الرأي العام[1]، واتفقوا على أن يكون يوم الجمعة اللقاء في المسجد الجامع بالقيروان، وكان منهم 35 من الفقهاء والصالحين[2]، فركبوا بسلاحهم الكامل مع أبي يزيد يدقون الطبول ويرفعون البنود وركزوها قبالة مسجد القيروان[3]، فكان عددها سبعة بنود، تميزت بألوان خاصة وكتب عليها شعارات، كان الممسي زعيم الحركة، فكان بيده بند أحمر مكتوب عليه:" لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا حكم إلا لله وهو خير الحاكمين"[4]، أما ربيع القطان فحمل بندين أصفرين مكتوب على أحدهما البسملة ومعها" لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الآخر " نصر من الله وفتح قريب على يد أبي يزيد اللهم انصره على من سب نبيك"[5].

وكان مكتوب على بند أبي العرب بعد البسملة ﴿ فقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[6]. وبند لابن نصر بن مروان كتب عليه بعد البسملة:﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[7]، أمّا السادس فكان لأبي إسحاق السبائي وفيه بعد البسملة" لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعمر الفاروق" والبند الأبيض والأخير، رفعه إبراهيم بن العشماء الحنفي وهو أكبرهم مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله[8] ،﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[9].

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص319.
[2] نفس المصدر، ج3، ص321.
[3] نفس المصدر ، ج3، ص320؛ ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص217.
[4] نفس المصدرين السابقين.
[5] نفسه.
[6] سورة التوبة، الآية 12.
[7] سورة التوبة، الآية14.
[8] القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص320؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص217.
[9] سورة التوبة، الآية 40.

وخطب أبو العرب على المنبر خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على الجهاد ثم تلا الآية القرآنية ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ﴾[1]، وقال:" يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله وغيّر أحكام الله وسب نبيه وأصحابه... فتأثر الناس وبكوا بكاءَ شديدا ثم سب الفاطميين فقال:" اللهم إن هذا القرمطي الصنعاني المعروف بعبيد الله المدعي الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا بربوبيتك طاعنا في أنبيائك..."[2].

ذكرت المصادر أنّه بفضل تأييد أهل السنة لحركة أبي يزيد استطاع أن يحقق انتصارات على القادة الفاطميين، واستخلاص حواضر افريقية السنية بما فيها القيروان مركز القوة المالكية، وهدد الخلافة الفاطمية بالسقوط. وفي هذه الأثناء مات القائم مقهورا محصورًا في المهدية. وفرّ البربر على وجوههم، فمات أكثرهم جوعا وعطشا[3].

ثم ما لبث أبو يزيد أن تآمر على الفقهاء السنيين المشاركين في هذه المعركة، فقال لجنوده:" إذا التقيتم مع القوم انكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن فنستريح منهم"[4]، فيكون هنا قد أضعف الفاطميين والسنيين بضربة واحدة ليخلوا له الجو فسيطر على المدن السنية ويظهر مذهبه الإباضي النكاري ويفرضه.

ولم يتفطن الفقهاء المالكية والجماهير السنية في البداية لمكيدة أبي يزيد هذه فأخلصوا في القتال وحدهم ولما سقط الكثير منهم، عرفوا حقيقة الأمر وكشفوا نواياه وعداءه الشديد للسنة، ففارقوه واشتد بغضهم له وقالوا:" قَتَلَ أَوْلِيَاء الله شهداء" [5].

وهكذا بدأت ثورة أبي يزيد تضعف [6]، وأرسل الفقهاء المالكية إلى الخليفة المنصور

---

(1) سورة النساء، الآية 95.

(2) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص333؛ وأنظر أيضا: B. Alfred: La religion Musulmane en Berberie, librairie oriontaliste Paul Geuthner, Paris, 1938, p.192.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 218؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص83؛ موسى لقبال، كتامة، ص428-429.

(4) إنّ أبا يزيد لم يتآمر ضد المالكيين فقط بل حتى الوهابيين، فالمصادر ذكرت أنّه لما أحس من نفسه القوة، ورأى كثرة من اجتمع حوله من الناس تكلمت إليه الإباضية النكارية في الثأر من أتباع عبد الوهاب ليزيد بن فندين فقال مخلد:" دعنا حتى نفرغ من نسج كسائنا، فإذا فرغنا منه وقعدنا في مصحات اشتغلنا في تنقية كساءاتنا..."(أبو زكريا، المصدر السابق، ص 180؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص218).

(5) ابن عذاري، نفسه

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 246.

ابن القائم[1] وعبّروا عن مساندتهم له ضد أبي يزيد، وطلبوا منه أن يرسل في طلبه ويتخلص منه ومن ثوراته، فزاد الضعف في صفوفه.

كما أعاد الخليفة الفاطمي النظر في معاملته النّاس عامة والفقهاء المالكية خاصة، فعيّن الفقيه المالكي أبا عبد الله محمد بن أبي منظور (ت.337هـ-948م) قاضيا، واشترط عليه ابن منظور أن لا يأخذ له صلة ولا يركب له دابة ولا يقبل شهادة من طاف به أو قاربه ولا يركب له مهنئا ولا معزيا[2]. فقبل بها المنصور ليسكت نفوس الفقهاء والعامة من جراء ما لحقهم من ثورة صاحب الحمار[3]. فكان يحكم بالفقه المالكي، فلما توفي خلفه عبد الله بن هشام فقيه مالكي آخر، وأصبح من جلساء المعز لدين الله الفاطمي[4] (341-365هـ/953-975م)[5].

وفي سنة(336هـ- 946م) قام الخليفة المنصور باستدعاء القاضي النعمان[6] (ت.363هـ -974م) فعينه قاضيا للقضاة وداعيا للدعاة، وهذا لا يعني أنّه غيّر قراره في التعامل مع الفقهاء المالكية، بل أراد به تسهيل عملية السيطرة على افريقية وما وراءها، كما أظهر الفقهاء المالكية مدحهم وصحة نسبهم وقبول هداياهم[7]، خلافا لما ذكره حسين

---

(1) هو الإمام المنصور بالله إسماعيل ابن الإمام القائم، ولد بالمهدية في جمادى سنة 303هـ- 915م، وقيل ولد بالقيروان سنة 302هـ- 915 م تقلد الإمامة بعد وفاة أبيه القائم الذي كان محاصرا في المهدية، كتم موت أبيه خوفا من أبي يزيد مخلد ابن كيداد اليفرني، وأمر لمن يُحضر رأس أبي يزيد بعشرة ألاف دينار، فكانت معه حروب تميزت بالفر والكر، إلا أنّ النجاح حالف المنصور في الأخير سنة 336هـ - 948م، توفي المنصور يوم الأحد في 23 من شوال سنة 346هـ- 958 م ودفن بالمنصورية، وقيل سنة 343هـ- 955م ودفن بالمهدية (أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص333 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص197 وما بعدها؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص119).

(2) المالكي، المصدر السابق، (ط. بيروت) ، ج2، ص358-359؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص55، 339؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص55؛ عبد العزيز مجذوب، المرجع السابق، ص191.

(3) القاضي عياض، نفس المصدر ، ج3، ص339؛ عبد العزيز مجذوب، نفس المرجع ، ص201، بوبة مجاني، النظم، ص66.

(4) هو أبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي، ولد بالمهدية سنة 319هـ-932م، بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور وجددت له البيعة بعد وفاته سنة 341هـ-935م، في عهده تم فتح مصر من قبل جوهر الصقلي سنة 358هـ-969م، أرسل جوهر كتابا إلى المعز لاستدعائه إلى مصر، فلما تقرر له الذهاب استخلف على إفريقية وما جاورها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، فخرج المعز إلى مصر في شوال سنة 361هـ- 972م، فانتقل إلى سردانية وأقام بها حتى جمع رجاله وأتباعه ورحل عنها في سنة 362هـ- 973م، نسبت القاهرة له، وسميت القاهرة المعزية، توفي سنة 365هـ- 976م(أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص224 وما بعدها من عدة صفحات؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص52؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص121 وما بعدها من عدة صفحات).

(5) المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج2، ص357- 498.

(6) إدريس القرشي، المصدر السابق، ص389.

(7) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص709؛ الدباغ، المصدر السابق،ج3، ص188؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص169.

مؤنس و دائرة المعارف الإسلامية، حيث بالغوا في الحديث عن القطيعة بين المالكية والفاطميين[1].

وأسقط الخليفة الجباية وأعفى جميع الناس مسلمهم وذميهم من جميع الضرائب الشرعية وغيرها، وتعهد أن لا تأخذ إلا العشر والصدقة، وفقا لأحكام الشرع والسنة النبوية[2]. أمّا مع باقي المدن المجاورة حاول إغراء الفقهاء المالكية بالمناصب في الدولة شريطة اعتناق المذهب الشيعي[3].

قد يقول البعض ما علاقة ثورة أبي يزيد بفقهاء المغرب الأوسط؟ إنّ هذه الثورة تزعمها رجل من الخوارج الإباضية النكارية، إلا أنّها كانت نابعة من جبال الأوراس بالمغرب الأوسط بقيادة الفقهاء المالكية، وهذا الأخير في هذه الفترة زاد فيه عدد الفقهاء المالكية في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) مقارنة مع القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي)، وكان معظم الفقهاء المالكية للمغرب الأوسط ينتقلون إلى افريقية للعلم فمنهم من بقي ومنهم من عاد إلى وطنه، فكتب الطبقات ذكرت بعض الوجوه البارزة من الفقهاء المشاركين في هذه الثورة. وافريقية كانت تعج بهم لاعتبارها محطة عبور إلى المشرق أولا ثم مقصد لطلبة العلم من جميع أنحاء بلاد المغرب والمشرق، فكتب الطبقات ذكرت فقط الذين تخلفوا عن الثورة وكان السبب قاهر يعيقهم من المشاركة، وهو فقيه وحيد اسمه أبو ميسرة أحمد بن نزار لعماه، فذهب ابنه بدله[4]، كما أنّ مطاردة أبي يزيد مخلد بن كيداد من طرف المنصور وزيري بن مناد كانت في مناطق من المغرب الأوسط منها باغاية وقلعة كناية التي تحصن فيها[5].

يعتبر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي بالنسبة للمغرب الأوسط فترة ازدهار مدنه: تاهرت، وتلمسان، ووهران، وباغاية، والمسيلة وبونة، وتيجس وغيرها، التي نبغ منها عدد كبير من فقهاء المالكية، فالفقهاء المالكية في بداية الدعوة الفاطمية وما لقوه من محن، لم يكشفوا عن هويتهم خوفا من أن يصيبهم أدى مثل ما أصاب غيرهم[6]. وقد يكون ممن شارك في هذه الثورة فقهاء من المغرب الأوسط.

---

[1] المالكي، المصدر السابق، (ط. بيروت)، ص17-18؛ دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج2، ص327.

[2] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص429 ؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص289.

[3] القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص363؛ بوبة مجاني، النظم، ص66.

[4] نفس المصدر ، ج3، ص319-359-358؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص37.

[5] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص250-251؛ وعن المطاردة انظر الملحق (9).

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص150-151.

وإن كانت هذه الثورة هي ثورة الخوارج إلاّ أن شرعيتها أخذتها من الفقهاء المالكية خاصة سواء من المغرب الأوسط أو إفريقية، وحتى من الأندلس، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل يمكن للفقيه أن يمارس السياسية؟

بناء على ما تقدم يمكن للفقهاء أن يمارسوا السياسة، بفضل دعوتهم استطاعوا أن يكسبوا عددا كبير من النّاس سواء كانوا فقهاء أو من العامة، لأنّهم يرون أنّ في الاستجابة طاعة لأولي الأمر لقوله تعالى﴿ يَأَيُهَا الذّينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرّسُول وأُولِي الأَمر مِنْكُمْ﴾ ،[1] ومعنى أولي الأمر هم الحكام والعلماء [2].

وذكرت بعض الدراسات أنّ الحضور السياسي المالكي لم يكن واردًا لدى الفقهاء الأوائل كعلي بن زياد ، وابن الأشرس، والبهلول بن راشد أي قبل عصر سحنون[3]، وقبل قبوله ولاية منصب القضاء الذي يمكن اعتبار هذا الصنيع من الدولة الأغلبية اعترافا ضمنيا بأهمية الحضور المالكي[4]، فأصبح الفقيه يساعد السلطة السياسية ويُتيح له مراقبته دون تعدي حدوده، ويظهر هذا جليا في مدينة تلمسان الذي وصفها البكري بقوله:" دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك"[5]،

سمى الباحث بولطيف الطور الأول الذي شهده فقهاء المالكية في ظل الدول، والإمارات المغربية المعاصرة طورا تأسيسيا[6]، وأما في ظل الدولة الفاطمية يعتبره الطور الثاني الذي عانى فيه الفقهاء المالكية، وكان تعاملهم مع السلطة بتحفظ.

وما يمكن استخلاصه أنّ الفقهاء المالكية عندما شاركوا في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي، كانت ناجحة واستطاعوا تعبئة الرأي العام وعندما انسحبوا منها وتركوا الساحة لأبي يزيد فشلت وكان من نتائجها تغيير السياسة الفاطمية نحو الفقهاء المالكية الذين اكتسبوا بعض الثقة فكلُفوا من طرفهم بمناصب في القضاء.

---

[1] سورة النساء، الآية 59.

[2] لخضرمحمد بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي(510-668هـ/1116-1269م)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،2009/1429م، ص62.

[3] قام الباحث مراد دماح ببحث عن سحنون الرجل السياسي وقسم مراحل حياته إلى ثلاثة: أولها: مرحلة العزوف وهي اختيار سحنون اعتزال السياسة، وثانيها: مرحلة ولوج عالم السياسة وتبدأ بأنصاله بآل حميد وتنتهي بحشره في محنة خلق القرآن وثالثها: مرحلة اكتمال شخصية سحنون كمصلح سياسي كحامل للواء حزب السنة وكقوة سياسية موازية لسلطة الأمر(أنظر: ملتقى سحنون، ص178 وما بعدها).

[4] لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص72-73.

[5] المصدر السابق، ص77.

[6] لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص75.

ثالثا:المذهب المالكي ومحنة الفقهاء المالكية.

1 - الأموال

إنّ السياسة المالية التي شرعها عبيد الله المهدي عند مبايعته بالخلافة هي تتمة لما كان في مرحلة الستر، فمن مهام الدعاة إرسال الأموال التي يجمعونها إلى الإمام فقد كتب الحاجب جعفر بن علي في سيرته: " وكانت الأموال والذخائر تحمل من كل بلد من قبل الدعاة إليه إلى السلمية... قد حفر سردابا في أرض الصحراء إلى جوف داره بسلمية... وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال، فينفتح لها باب السرداب في الليل، وتنزل فيه أحمالها عليها حتى تحبط في داخل الدار...."[1].

فالمغرب الإسلامي عامة عانى من السياسة المالية التي فرضتها الخلافة الفاطمية، ومرحلة الدعوة في كتامة أولى مراحلها، فما غنمه أبو عبد الله الشيعي من الفتوحات وضعه في أيدي المشايخ والأولياء من كتامة، وأرسل لعبيد الله المهدي الأموال إلى المشرق ثم إلى سجلماسة[2] ، وبناء على تأويلهم للآية الكريمة﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُول وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [3] ، "وأولي الأمر" هم الإسماعليون وطاعتهم واجبة، وحق لازم في كل شيء،[4] وحسب رأيهم أنّ طاعة عبيد الله المهدي واجبة كما كانت طاعة الرّسول- صلى الله عليه وسلم-، وأنّ الصدقات والغنائم هي من حقوقهم ويجب ردها إليهم لأنهم يعتبرونها من حقوقهم التي اغتصبت منهم.

والصدقات لقوله تعالى﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5] ، أي أن الله فرض على المسلمين إخراج ذلك ودفعها إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبعد موته أصبحوا يدفعونها إلى عمال من ولوه أمرهم بعده، ولما رأى بنو أمية يستأثرون

[1] الحبيب الجنحاني: السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، مجلة الأصالة، العدد 49-50، السنة السادسة رمضان-شوال 1393هـ سبتمبر -أكتوبر 1977،ص47.

[2] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص173؛ الحبيب الجنحاني، السياسة المالية ، ص52.

[3] سورة النساء، الآية 59.

[4] القاضي النعمان : كتاب الهمة في آداب الأئمة، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، الإسكندري، 2002م.ص38.

[5] سورة التوبة، الآية 60.

الزكاة ولا يدفعونها إلى مستحقيها، أفتوا بوجوب دفعها ولو إلى إمام جائر، أو عامل ظالم وقال بعضهم:" ادفعوا إليهم ولو شربوا الخمر وأكلوا لحم الخنزير" ... [1] .

كما جعلوا هذه الصدقات محرمة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى أهل بيته خاصة وحلال لسائر المسلمين، حتى ولو كانوا من أهل البيت فقيرا أو مسكينا أو عاملا على الصدقة أو من المؤلفة قلوبهم أو غارما أو ابن السبيل أو مجاهدا، فقد جعلهم الله أمناء على قبض الصدقات من أهلها[2]، وأنّ الله عوض الرسول-صلى الله عليه وسلم- والأئمة من أهل البيت من بعده بالخمس فاعتمدوا في ذلك على قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ...﴾[3]، ولقول جعفر الصادق في ذلك:" الخمس لنا أهل البيت ليس للناس معنا فيه شيء ونحن شركاؤهم في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدناه معهم والخمس لنا دونهم نعطى منه يتامانا وفقرءنا ومساكيننا وابن سبيلنا وليس لهم ولا لنا في الصدقات شيء"[4].

ولما سيطر الداعي أبو عبد الله الشيعي على إقليم الزاب شرق المغرب الأوسط، ليسهل له السبيل للوصول إلى إفريقية، ونزل أولى مدنه: طبنة سنة 293هــ-905م[5]، تظاهر بإقرار العدل بين النّاس[6]، ولما أتاه والي المدينة مع بعض عمال الجباية وأعطوه الأموال التي جمعوها من الأهالي، دار بين الداعي وبينهم حديث عن مصدر هذا المال وعن الطرق الشرعية التي يفرق بها على مستحقيه[7].

سأل أبو عبد الله الشيعي:"أحدهم من أين جمعت هذا المال؟" فقال له:" من العشور" فقال أبو عبد الله :" إنّما العشور حبوب وهذا عين!"، ثم قال لقوم من ثقات طبنة:" اذهبوا

---

(1) القاضي النعمان، الهمة، ص66-67؛ الداوودي: المصدر السابق، ص101 وما بعدها؛ الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص48.

(2) القاضي النعمان، الهمة، المصدر السابق، ص68.

(3) سورة الأنفال، الآية 41.

(4) يرى الشيعة أن المؤمنين يدفعون الخمس من المال الذي غنموه إلى إمام ذلك الوقت من أهل البيت، بالإضافة إلى زكاة أمولهم، وليست الغنيمة ما اكتسبه المرء في الحرب بل كل ما كسبه المرء فهو غنيمة ، قال جعفر الصادق في ذلك:" أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله حقا عليهم فمن منعنا حقنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب"(القاضي النعمان، الهمة، ص69؛ الداوودي، المصدر السابق، ص 65 وما بعدها من عدة صفحات؛ الحبيب الجنحاني، السياسة المالية، ص48-48؛).

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص141.

(6) العدوي، المرجع السابق، ص258.

(7) لم يذكر القاضي النعمان هذه الرواية عن أهل طبنة إلاّ أنّ أبا عبد الله الشيعي أمن الذين لم تصلهم العساكر عند فتحها(افتتاح الدعوة، ص173 وما بعدها).

بهذا المال، فليرد على كل رجل ما أُخذ منه واعلموا أنهم أمناء على ما يخرج الله لهم من أرضهم، وسُنَّةُ العشور معروفة في أخذه وتفرقته على ما ينص كتاب الله عزوجل:"، ثم قال لآخر:" من أين هذا المال الذي بيدك؟" قال:" جبيته من اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم". فقال:" وكيف أخذته عينا، وإنّما يأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من المال ثمانية وأربعين درهما، ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما، ومن الفقير اثني عشر درهما!" فقال له:" أخذت العين عن الدراهم بالصرف الذي كان يأخذه عمر رحمه الله، فقال أبو عبد الله الشيعي:" هذا مال طيب!" ثم أمر أحد الدعاة بأن يفرقه على أصحابه، وقال لمن أتاه بمال الخراج:"هذا لا خير فيه ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في أموالهم!" ثم أمر ثقات أهل طبنة بردّه على أهله، وقبض مال الصدقة من الإبل والبقر والغنم، بعد أن قيل له إنّما قبضت الأنعام على الأسنان الواجبة في الصدقات، ثم بِيعت وجُمعت أثمانها. فرضي بذلك وجوَّزه[1].

رضي أهل طبنة بما قام به أبو عبد الله الشيعي، لأنّه طبق عليهم أحكام الكتاب والسنة، خلاف ما كان يقوم به حكام الدولة الأغلبية من سياسة الجور في تعاملهم المالي الذي أثقل كاهل النّاس[2].

وبعد طبنة فقد حالف أبا عبد الله الشيعي انتصاراته كثيرة، والذي ساعده هو الانقسام والدسائس في البيت الأغلبي، وتأييد النّاس له ، خاصة قبيلة كتامة[3] التي استثنيت من السياسة المالية المتعسفة والتي استمرت حتى بعد قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب[4]. إلا أنّ المعز لدين الله الفاطمي لمّا قرر العودة إلى المشرق أرسل أحد الصقالبة ليخبرهم بقراره، وكان رد شيخ كتامة بالرّفض، إذ أنّهم يرون أنهم هم الذين فتحوا المغرب بسيوفهم وسوف يفتحون المشرق أيضا [5]. كما أعفي من كتامة الذين

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص142.
[2] دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، ج2، ص328.
[3] كانت أوّل غنيمة تحصل عليها أبو عبد الله الشيعي وأصحابه ، عند ملاقاته هو ومن كان معه من جند كتامة مع إبراهيم ابن الحبشي قائد جند زيادة الله سنة 292هـ- 904م في كينونة وكانت الغلبة لعبد الله، فأخذت كتامة الغنيمة والأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة، فكانوا يرون بهذا تحقق أمالهم التي وعدهم بها أبو عبد الله الشيعي(أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص138).
[4] بوبة مجاني، النظم، ص63.
[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص98؛ بوبة مجاني، النظم، ص63.

قدموا خدمات للدولة خوفا من زوال مناصبهم التي تحت رئاستهم كأبي القاسم المطلبي[1].كما أعفي الأستاذ جوذر من الضرائب رغم ثرائه[2].

طلب عبيد الله المهدي من أبي عبد الله الداعي لما خرج من سجلماسة أن يمر على تاهرت ثم كتامة (إيكجان) فأمر بإحضار الأموال التي كانت في أيدي الدعاة والمشايخ الذين لم يعجبهم أول تصرف من عبيد الله المهدي فقد ذكر القاضي النعمان "... كان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة وتوهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله الشيعي يأمرون وينهون ويقبضون ويبسطون"[3] ثم وصل المهدي طريقه إلى افريقية سنة 297هـ/909م[4] ، واستقبله فقهاء القيروان فطلبوا منه الأمان على أموالهم[5] فأعرض عنهم[6]، وما ذكرته المصادر السنية تثبت أنّ عبيد الله المهدي، قام بعدة إجراءات في السياسة المالية قصد تمويل مشروعه التوسعي إلى جانب التغريم والمصادرة، فرض التقسيط وفرضوا الضرائب غير المباشرة مثل القبالات والمكوس الموظفة على التبادل التجاري، وجعلوا طريق الحج من المهدية ومقابل ذلك يدفعون ما عليهم من المغارم[7] وقد مست أبو يزيد مخلد بن كيداد وكانت من بين أسباب قيام ثورته[8].

واستولى الخليفة المهدي على قصر زيادة الله وما تبعه من أحباس وأخلاه من سكانه [9]، وأخذ القاضي المروذي الأحباس من الأموال والسلاح والحصون التي على البحر[10]، فالأحباس من المسائل المختلفة فيها بين الفاطميين والمالكية، فالفاطميون لا يقولون بها[11] أما الشيعة فنسب القاضي النعمان الأحباس لعلي- رضي الله عنه- لأنّه

---

[1] ذكر ابن عذاري أنّ وفاته كانت سنة 318هـ-930م ويكنيه بأبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن علي بن زيد بن كنانة بن هاشم بن المطلب(أنظر: المصدر السابق، ج1، ص199).

[2] الجوذري(أبو علي منصور العزيز): سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، ص 95 ؛ بوبة مجاني،النظم، ص63.

[3] ويقصد القاضي النعمان: المنافقون الذين ثاروا على عبيد الله المهدي بالتآمر مع عبد الله الشيعي وأخوه أبي العباس (إفتتاح الدعوة، ص166؛ إدريس القرشي، المصدر السابق، ص،167-289).

[4] نفس المصدر ، ص291.

[5] ابن عذاري،المصدر السابق، ج1، ص158.

[6] نفسه.

[7] نفس المصدر، ج1، ص187.

[8] نفس المصدر، ص193-194؛ الدرجيني، المصدر السابق، ص96-97.

[9] نفس المصدر، ص188.

[10] المالكي(ط.بيروت)، المصدر السابق، ج2، ص56.

[11] الهنتاتي:الأحباس بإفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ/12م، الكراسات التونسية، العدد 174، الثلاثية الثالثة، 1996م، ص97.

عمل بها[1]، وفي المغرب كانوا يرون أنّ الأحباس التي عقدتها المالكية -في نظرهم-غير شرعية[2] فيستولون عليها ويدخلونها في بيت المال، وفي حالة عزلهم من الوظائف الدينية (القضاء، إمامة في المسجد...) لرفضهم التشريق، يحرمون من الانتفاع ببعض موارد الأحباس[4].

واقتصرت السياسة المالية التي انتهجتها الخلافة الفاطمية ضد علماء المالكية خاصة،[5] لأن المناصب العليا كانت من نصيبهم كالقضاء والإفتاء وكانوا يمتلكون الضياع والأراضي الخصبة، ويملكون الحوانيت ويحتكرون بعض السلع الرائجة في أسواق افريقية، ولأنهم يكوّنون الطبقة الأكثر خطرا على الدولة ويؤكده ما ذكره القاضي النعمان لما ذهبوا لاستقبال عبيد الله المهدي:" وتلقاه أهل القيروان باحتفالهم وكم كان من بينهم يومئذ شيوخ ووجوه وفقهاء لهم مناظر وعقول ورجاجة، وألسنة، وكذلك كان من قبلهم من قبل ذلك الزمان فانقطع ذلك منهم بظهور أولياء الله فيهم، ومن كل من خالف أمرهم من أمثالهم"[6]، وتعدوا في حدود الإرث فقد جعلوا من مات وترك ولا وريث له ورثه عبيد الله المهدي[7].

وكان صراع بين الخلافة الفاطمية والأموية حول المسالك التجارية للذهب بين بلاد السودان والمغرب الإسلامي، ذكرت بعض الدراسات أنّ لولا هذا المورد الثري لما استطاع الفاطميون جمع الثروات الذهبية الضخمة مهما بلغت سياستهم المالية ونظامهم الجبائي دقة وإتقانا"[8] ، والسيطرة على المسالك جعل الصراع يدوم طويلا بينهما، خاصة أنّ المسالك الجنوبية عن طريق ورجلان عزلت إفريقية عن الصحراء بعد ثورة يزيد مخلد بن كيداد[9].

(1) أوقفت فاطمة الزهراء-رضي الله عنها حوائطها السبعة على زوجها علي ثم على الحسن ثم الحسين ثم الأكبر من ولده،وأوقف علي- رضي الله عنه- عدة أمواله ذكرها في كتاب وصيته ...(أنظر: القاضي النعمان، الدعائم، ج2، ص341 وما بعدها؛ الهنتاتي، الأحباس، ص98).

(2) القاضي النعمان، الدعائم،ج2، ص576.

(4) الهنتاي، الأحباس، ص97 وما بعدها من عدة صفحات.

(5) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص9-11؛بوبة مجاني، النظم، ص69، الهنتاتي، الأحباس ، ص165،

(6) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص291.

(7) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص268.

(8) سمحت لهم هذا الثروة بجمع أموال طائلة في خزانتهم ما سمح للمعز إرسال ميزانية خاصة مع جوهر الصقلي في حملته لفتح مصر سنتي 358هـ-968م و359هـ-967م (أنظر: الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص59).

(9) نفس المرجع ، ص59.

ورغم ما قامت به الخلافة الفاطمية ضد الفقهاء المالكية من جهة والعامة من جهة أخرى إلاّ أنّ هذه السياسة أدّت إلى التحالف بين الفقهاء المالكية والعامة، وما جعلهم يتحالفون أيضا مع الإباضية النكارية في ثورة يزيد مخلد بن كيداد اليفرني[1]، الذي لم يفلت هو أيضا من سياسة الفاطميين المالية الجائرة التي مسته، هذا ما ذكرته بعض المصادر السنية، أمّا الشيعية فذكرت أن عبيد الله المهدي جدد الأمان لمن بقي من بني الأغلب ومواليهم ورجالهم وأتباعهم الذي أعطاهم إياه عبد الله الشيعي:" ومن كان يدخل عنده يقربه ويدنيه ويؤنسه ويحسن إليه فنشر العدل فيما بينهم، وأنصف في المظالم، وكان يباشر سماعها بنفسه ويأخذ رقاع أهلها إذا ركب وإذا جلس ويسمع شكواهم وينصفهم من ظلما تهم بوجه الحق وسبيل العدل"[2].

2 - التشريق

بعدما عرفت بلاد المغرب توسعا للمذهب المالكي على أيدي سحنون بن سعيد وتلاميذه في النصف الثاني من القرن الثالث (التاسع الميلادي)، مرّ الفقهاء المالكية بصعوبات في العهد الفاطمي، التي تمثلت في الدعوة الدينية الجديدة، المخالفة للاتجاه السني حيث يعتبرها البعض من الاتجاهات" المبتدعة"، قامت على الجنس البربري وميزته عن الجنس العربي، الذي يرى في الاتجاه السني وسيلة للدفاع عن مصالحه فلذلك من الطبيعي أن يحدث التناقض بين الفاطميين وأصحاب المذهب المالكي[3].

عارض الفقهاء المالكية الشيعة مند مرحلة التأسيس، وكان رائد هذه المقاطعة -إن صح التعبير- جبلة بن حمود الصدفي (299هـ-911م)، فقد انفرد برفضه الخروج لاستقبال عبد الله الشيعي وتهنئته بالانتصار [4] ، بينما خرج بقية شيوخ القيروان من المدنيين والعراقيين[5]، حضر هذا الفقيه أول خطبة جمعة تقام للعبيديين على المنبر في جامع القيروان، فلما سمع منهم مالا يجوز سماعه قام وكشف عن رأسه ومشى حتى خرج من الباب وهو يقول:" قطعوها قطعهم الله" فقاطع من ذلك اليوم الفقهاء المالكية من حضور

---

(1) الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص96- 97 ؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص237 وما بعدها.

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ، ص305-306؛ إدريس القرشي، المصدر السابق، ص177-178.

(3) الهنتاتي، المرجع السابق، ص156.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص227؛ فرحات الدشراوي، المرجع السبق، ص244.

(5) مؤلف مجهول: كتاب العيون، تحقيق عمر السعدي، الكراسات التونسية، العدد 79-80، تونس، 1972، ص81؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص150.

جمعتهم[1]، فأرسلوا في من يتتبع تحركاته في المسجد الذي يقيم فيه صلاته بعد تركه لمسجد القيروان[2]، وعندما سئل عن ذلك قال:" كنا نحرس عدوًا بيننا وبينه البحر والآن حل العدو بساحتنا وهو أشد علينا من الروم فكان إذا أصبح وصلى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة أين يقيم العبيديون ومعه سيفه وفرسه وسهامه ويظل طول نهاره جالسا ثم يرجع إلى داره فلما سئل عن ذلك قال:" أحرس عورات المسلمين منهم"[3]، وأطلق البعض على أتباعهم بنو عدو الله، وسموا مدينتهم المهدية باسم " المردية"، وكانوا يكنون عنها بالمهدومة[4]، حتى وصل بهم الأمر إلى الطعن في نسبهم.

ضرب الفقهاء المالكية وطيف بهم في الأسواق لأنهم يفتون بمذهب الإمام مالك رحمه الله ويطعنون في الشيعة[5]، وقتل عبيد الله المهدي بعض الفقهاء لتفضيلهم بعض الصحابة على علي - رضي الله عنهم- [6]، وسجن بعضهم لتأليفهم كتاب " الإمامة" و"الرد على الرافضة"،[7] وذكرت بعض الروايات السنية أنّه بلغ عدد الذين سجنوا وقتلوا من العلماء والعباد في سجن المهدية الذي سمي " بدار النحر"أو دار البحر بأربعة ألاف[8]، وقال عنهم القاضي عياض إنّ الأمر :" غلظ على المالكية من هذا الحيز، ومنعوا من التحليق والفتيا فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرًا وعلى حال خوف وريبة" فكان المالكية في حالة شديدة من التستر[9]، لما صدر عن الشيعة ودعاتهم من أفعال مخالفة لمبادئ الدين الإسلامي، فنصبوا حينا الأعمى السباب في الأسواق للسب بأسجاع لقنها، وسب النبي بألفاظ حفظها[10] التي كانت صريحة منها إسقاط الرجم على المحصنين في الزنا، وإسقاط المسح على الخفين، وتحليل المطلقة ثلاثا، وأمروا بقطع

---

[1] المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج2، ص43؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص252؛ الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص273.

[2] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص41.

[3] نفس المصدر، ص272؛ القاضي عياض، المصدر السابق ج2، ص251؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص184.

[4] قال القاضي عياض:" يريد ابن الحارث بالمردية " المهدية"، مناقضة اسمها الذي سماها به بنو عبيد إذا كان عش كفرهم، ودار ضلالهم، ووجدت أبا عمران الفقيه يكنى عنها بالمهدومة نظيرا لها"(أنظر: المصدر السابق، ج3، ص315).

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص265؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص345؛ الجودي، المصدر السابق، ص100.

[6] نفس المصدر، ج1 ،ص187.

[7] وقيل أنّ هذا الكتاب لمحمد بن سحنون التنوخي(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 4، ص524.

[8] المالكي، المصدر السابق،(ط. بيروت)، ج2، ص277.

[9] القاضي عياض، المصدر ، ج3، ص310، 318.

[10] نفسه.

صلاة التراويح[1]، وأحدثوا في الصلاة أمورا لم تكن معروفة لدى السنيون مثل القنوت في الصلاة الجمعة قبل الركوع[2]، وسبوا أصحاب[3] النبي- صلى الله عليه وسلم- وأزواجه حاشا علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري. وزعموا أنّ الصحابة ارتدوا بعد الرسول- صلى الله عليه وسلم- وإحاطة البنات بالميراث، ومنعوا الفقهاء المالكية من الإفتاء إلاّ بمذهبهم[4]، وأباحوا للناس المحرمات وأشياء غيرها، حتى مدح بعض الشعراء عبيد الله المهدي بالكفر:

حَلَّ بِـــرقَادة المسيـــــحُ   حَلَّ بـــها آدم ونـــوحُ

حلَّ بها أحمد المصطفَـــى   حَلَّ بهَا الكَبشُ والذَّبيحُ

حلَّ بهـــا الله ذو المعَالي   وكلُّ شيء سِواهُ ريـــحُ

وكتب آخرون بيتين تلطفوا في وصولها إلى عبيد الله المهدي من حيث لا يعلم وهي:

الجورَ قــد رضينـــــاَ   لا الكفـــر والحماقَـــه!

يـــا مُدَّعــــــي الغُيُـــوب   منْ كَاتِـــب البطاقَـــة؟[5]

غضب كثيرا، وأمر بالبحث عن كاتبها سرًا، إلاّ أنّه فشل في ذلك .

وفي سنة 309هـــ-921م أرسل عبيد الله المهدي منيب بن سلمان المكناسي وغيره من دعاة التشريق إلى الأطراف لنشر دعوتهم، فتوجه هذا الداعي إلى ناحية تاهرت وأراد أن يختبر النّاس في تقبل الدعوة الشيعية والقدرة على تحمل الأخطار التي يمكن مواجهتها، فنشرها بين العامة فأظهرته، وكشف منيب بجبل الونشريس ما أمره عبيد الله به ومن بين هذه المحرمات كان الرجل يدخل إلى حليلة جاره، فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ثم يخرج، فيبصق في وجهه، ويصفع قفاه ويقول له:" تَصَبَّرْ" فإذا صبر أصبح

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص128.

[2] يكون القنوت في ركعة الوتر، وحسب الشيعة " يسلم في ركعتين (الشفع) ويأمر إن شاء وينهي ويتكلم بحاجته ويتصرف فيها، ثم يوتر بعد ذلك واحدة يقنت بعد الركوع فيها ويجلس ويتشهد ويسلم، ثم يصلي ركعتين جالسا ولا يصلي بعدها صلاة حتى يطلع الفجر، فيصلي ركعتي الفجر" (القاضي النعمان، دعائم، ص205)، أما المالكية فترى أنّ الوتر سنة مؤكدة ، ولا قنوت في الوتر، وإنما هو مندوب في صلاة الفجر فقط، أما الحنفية: أنّ الوتر واجب عندهم، وهو ثلاث ركعات بتسليمة واحدة في آخرها، فإذا فرغ المصلي من القراءة في الركعة الثالثة وجب عليه أن يرفع يديه ويكبر كما يكبر للافتتاح ثم يقرأ القنوت(عبد الرحمان الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة، الدار المتوسطية للنشر والتوزيع، تونس، 1427هـ/2006م، ص222 وما بعدها).

[3] إنّ سب الصحابة محرم لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-:" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم :" لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالدي نفسي بيده ! لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مدّ أحدهم، ولا نصيفه" (مسلم: صحيح ، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم الحديث 6487، ص1113).

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص159، الجيدي، محاربة المذهب المالكي ، ص72.

[5] نفس المصدر ، ج1، ص160.

في نظرهم كامل الإيمان ويسمى من الصابرة، لكن الناس لم يتقبلوا شناعة هذه الأفعال التي لا يقبلها لا الدين ولا العقل، فالدين يعتبر هذه الفعلة الشنيعة زنى التي يعاقب الشرع فاعلها لقوله تعالى:﴿ الزَّانِيَة وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ولاَ تَأْخُذُكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ..﴾[1] فقاوم النّاس أتباع هذه الدعوة وقاتلوهم حتى كفوا عن إظهار هذه الشناعات مرة ثانية[2] وفي سنة 310هـ-922م وقُتل بجبل الأوراس أبو معلوم الكتامي من قواد عبيد الله المهدي، الذي أخرج أهلها من ديارهم وكلّفهم ما لا يطيقونه، وأمرهم بإخراج عيالهم إلى المهدية، فخافوا منه وتظاهروا بالطاعة له وبدؤوا يقومون بما أمرهم، وانتظروا الفرصة للتخلص منه، وفي إحدى الليالي ترصدوا له و لجند كتامة الذين معه فقتلوهم جميعا[3].

وحدث نفس الشيء بمدينة القيروان، وباجة، وتونس، جاهر المتشيعون بتحليل المحرّم، وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر، في رمضان جهارا[4]، فانتشر خبرهم بين العامة والخاصة حتى وصل إلى ابن القاسم ابن عبيد الله المهدي وهو في الفيوم (منطقة بمصر). فأمر عبيد الله المهدي عماله في كل المناطق، التي ظهر فيها التشريق أن يضعوهم في السجن[5]، فمات أكثرهم من بينهم أحمد البلوي النخاس الذي كان يصلي إلى رقادة أيام كان عبيد الله المهدي يقيم بها، وهي منه في المغرب، فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية، صلى إليها و يقول:" لست ممّن يعبد مَن لا يُرى!" وكان يوقف عبيد الله إذا لاقاه ويقول له:" ارْقَ إلى السماء! كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق!؟، وكان يقول لأهل القيروان في عبيد الله:" إنّه يعلم سرَّكم ونجْوَاكم"[6]، وهذه الصفات الإلهية خاصة به سبحانه وتعالى.

وقتل في القيروان من تشرقوا من المغرب الأوسط ممّن اتهموا بالميل مع أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس منهم محمد بن أبي سعيد الميلي، صاحب السوق ومحمد بن أبي

---

(1) سورة النور،الآية 2.
(2) ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص185.
(3) نفس المصدر ،ج1، ص187.
(4) نفس المصدر، ص186.
(5) B. Alfred, op, Cit., p193.
(6) ابن عذاري، المصدر السابق، ص186 ؛ الجيدي، محاربة المذهب، ص72.

رجال من باغاية، وأبو إبراهيم المعروف بابن البجاوي القرشي الفِهري وجماعة من بني الأغلب وقوادهم[1].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص168.

الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدن التي رحل إليها	المصدر
إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي أبو اسحاق	307هـ - 919م	تنس	الأندلس- (مدينة الزهراء)	الضبي، بغية الملتمس، ص187؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص48 ؛أعلام المغرب العربي، ج1، ص36 ؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص11؛ الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص136.
أبو محمد عبد الله التاهرتي	ق313هـ-925م	تاهرت	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص182.
أحمد بن فتح بن الخراز التاهرتي	332هـ-943م	مليلة	فاس - قرطبة- إفريقية	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص61؛ أعلام المغرب العربي، ج2، ص287؛ البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص 110-111؛ ابن عذاري: البيان، ج1، ص103؛ الباروني، أزهار الرياضة، ج2، ص77.
عبد الله بن عيسى ابن محمد بن أبي رمين المرى	359هـ-969م	تنس	بجانة- قرطبة	ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص191؛ القاضي عياض، ج4، ص680.
محمد بن فرج بن سبعون أبو عبد الله البجلي	367هـ -917م	بجاية	مكة - مصر - قرطبة	المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص511-512؛ ياقوت الحموي، ج2، ص132. ذكر وفاته سنة 368هـ-378م.
أحمد بن الحسين بن محمد بن تميم بن مر الطبني.	390هـ -999م	طبنة	الأندلس - المشرق- قرطبة.	ابن الفرضي،تاريخ علماء الأندلس، ص62؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص23؛ ابن حزم، الرسائل، ج1، ص260-261.

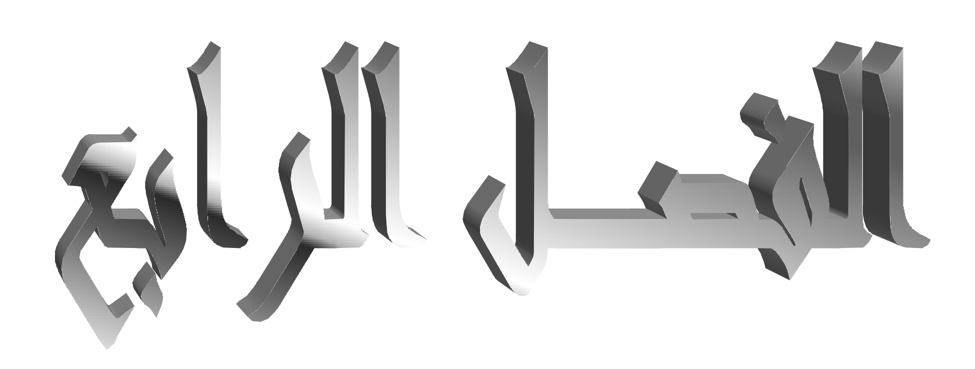
زكريا بن بكر بن أحمد الغساني	393هـ - 1002م	تاهرت	الأندلس- مصر	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص130؛عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص74؛الباروني، أزهار الرياضة، ج2، ص75؛ الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص136
أحمد بن مخلوف المسيلي	393هـ-1002م	المسيلة	أفريقية- قرطبة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،(ط.دار الهيئة) ص63.
محمد بن الحسين مالك التميمي الحصّاني[1] الطبني الزابي.	394هـ - 1003	طبنة	الأندلس	الضبي، بغية الملتمس، ص 58- 59.
أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي	ت395هـ- 1004م	تاهرت	الأندلس	الضبي، بغية الملتمس، ص171-172؛ ابن بشكوال، الصلة،ج1، ص84، عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص35.
أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي ا لمقري	401هـ- 1010م	باغاي	الأندلس - مصر	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص680؛ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج1، ص325؛ عادل النويهض،أعلام الجزائر، ص28 ج1، ص325.؛ أعلام المغرب العربي،ج3، ص9-10.
عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي التميمي	401هـ - 1010م	طبنة	قرطبة	ابن بشكوال الصلة،ج1، ص309.
أحمد بن نصر الداودي الأسدي	402هـ - 1011م	المسيلة	تلمسان- طرابلس	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص623؛ابن فرحون، شجرة النور الزكية، ص94، عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص47، أعلام المغرب العربي، ص14.

الاسم	التاريخ	المكان		المصدر
أحمد بن أبي توبة	406هـ - 1015م	دكمة	لا يوجد	ابن عذاري، البيان، ج1، 264؛أعلام المغرب العربي، ج3، ص16.
محمد بن عبد الله التلمساني أبو عبد الله	ق4هـ -10م	تلمسان	لا يوجد	الضبي، بغية الملتمس ص84.
قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي	ق4هـ- 10م	تاهرت	الأندلس	الضبي، بغية الملتمس، ص394؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص131؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص331.
سعيد بن خلف الوهراني	ق 4هـ - 10م	وهران	لا يوجد	عادل الويهض، أعلام الجزائر، ص208، الهنتاتي، المذهب المالكي في بالغرب الإسلامي، ص137.
محمد بن نصر بن أبي البار الميلي	ق4هـ- 10م	ميلة	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص462.
أحمد بن أبي عون الوهراني	ق4هـ - 10م	وهران	قرطبة	أعلام المغرب العربي، ج2، ص295؛ الهنتاتي، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ص136
ابن الصبار	ق 4هـ - 10م	ميلة	القيروان	أبو العرب، طبقات، ص217، الأصالة: العدد7، 1972، ص6.
محمد بن نصر بن أبي البار الميلي	ق4هـ- 10م	ميلة	القيروان	المالكي، رياض النفوس، ج2، ص462.

الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري -العاشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
أحمد بن دحيم	308 هـ - 920م	قرطبة	بجاية - مكة- بغداد - الأندلس.	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص419-420.
فضل بن سلمة البجائي	319هـ - 931م	البيرة	القيروان- بجاية- المشرق- بجانة (الأندلس)	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص123؛ابن فرحون، الديباج المذهب، ص315؛ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 277-278؛ الضبي، بغية الملتمس، ص387-388؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص130.
حفص بن محمد بن حفص اللوقي التميمي	325 هـ- 936م	قرطبة	بجاية	الضبي، بغية الملتمس، ص233.
أبو عثمان سعيد بن فحلون بن سعيد	346هـ - 957م	البيرة	بجاية (الأندلس)- المشرق	ابن فرحون، الديباج المذهب ص203-204.
علاء بن محمد	347هـ- 958م	تدمير	بونة	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص262.
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم	351هـ - 962م	قرطبة	بجاية- البيرة	القاضي عياض:ترتيب المدارك، ج4، 440-441.
محمد بن عبد الله ابن يحي بن يحي المعروف بابن عيسى القاضي	354هـ- 965م	قرطبة	بجاية - افريقية- المشرق	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3،ص 406 وما بعدها.
محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن خير الفزاري	ق4هـ - 10م	البيرة	بجاية	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص444.

أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي	ق4 هـ- 10م	طليطلة	المسيلة- طرابلس - المدينة المنورة	ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص20 وما بعدها
أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري	ق4هـ- 10م	صقلية	قلعة بني حماد، العراق- القيروان.	القاضي عياض، ج4، ص792-793.
خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني	ق 4هـ - 10م	الجزيرة الخضراء	بجاية- قرطبة	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص452.


الفصل الرابع

الفصــــــل الرابــــــع

المالكية في المغرب الأوسط في العصر الزيري والحمادي

أولا : المذهب المالكي في الدولة الزيرية

1- الزيريون وعلاقتهم بالفاطميين

2- الفقهاء المالكية وبنو زيري

3- دور الزيريين في القطيعة

ثانيا: المذهب المالكي في الدولة الحمادية

1 - صدى القيروان في القلعة

2 - بنو حماد والمذهب المالكي

2 - دور فقهاء المالكية في استقرار الحكم الحمادي

3 - أهم الفقهاء المالكية في دولة بني حماد

أولا: المذهب المالكي في الدولة الزيرية

1- الزيريون وعلاقتهم بالفاطميين

أكد Aimèe Launois أنّ الزيريين كانوا على المذهب السني المالكي قبل مجيء الفاطميين إلى افريقية، وقد طرح عدة تساؤلات من بينها هل ابتعد الزيريون عن مذهبهم المالكي؟ أم أنهم لم يحصلوا على حكم إفريقية إلا بشرط تنازلهم عن مالكيتهم؟[(1)]

إنّ الحديث الذي دار بين المعز لدين الله الفاطمي وبلكين بن زيري والذي جاء في معظم المصادر سواء كانت سنية أم شيعية، لا يوجد بها ما يلزمه بأن يكون شيعيا أو أن ينشر الدعوة الإسماعيلية في المغرب، لكن من المؤكد أن الفاطميين لم يكونوا يفكرون إلا في أتباعهم على الأقل في الظاهر.

حقق الفاطميون هدفهم المتمثل في دخولهم مصر على يد قائدهم جوهر الصقلي[(2)]، الذي أسس مدينة القاهرة[(3)]، وعزم المعز لدين الله الفاطمي (341هـ/952م) على الرحيل إليها، ففكر فيمن يتولى أمر المغرب بعده حتى لا ينقطع الولاء للدولة الفاطمية بمصر.

ومن بين الأسباب التي جعلت المعز لدين الله الفاطمي يقتنع ببلكين بن زيري[(4)] دون غيره ليخلفه في المغرب[(5)]. ولم ينكر ما قام به أبو يوسف بلكين بن زيري أوّل

---

(1) Influence des docteurs malékites sur le monnayage Ziride de type sunnite et sur celui des almoravides, dans Arabica, revue d études arabes, T. XI, 1964, p129.

(2) هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب، مملوك رومي أصله من جزيرة صقلية، توجه إلى مصر ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي سنة 358هـ- 968م، فاحتلها في نفس السنة، وصعد على المنبر يوم الجمعة ودعا لمولاه المعز فأقيمت الدعوة للمعز في الجامع العتيق، وسار جوهر إلى جامع طولون وأمر بأن يؤذن فيه لا "بحي على خير العمل" وهو أوّل ما أذّن ثم أُذن بجامع العتيق وجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم، ولما استقر جوهر بمصر شرع ببناء القاهرة وتوفي سنة 381هـ- 991م، ومدحه الشعراء منهم محمد بن هاني الأندلسي من قصيدته:

يقول بنو العباس قد فتحت مصر ... فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وقد جاوز الإسكندرية جوهر ... تطالبه البشرى ويقدمه النصر

عزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في سائر أمورها، بسبب سؤاله للمعز عن نسبه وما أجابه به بعد دخوله إلى القصر، سنة 364هـ- 975م(أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص375 وما بعدها من عدة صفحات، وج5، ص228؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص135-136)

(3) هي مدينة بجانب الفسطاط يجمعهما سور واحد، في سنة 358هـ- 968م اختطها جوهر الصقلي في الموضع الذي أمره به المعز لدين الله (أنظر: النويري، المصدر السابق، ص169؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص102 وما بعدها؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص301).

(4) هو أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، جد باديس، ويسمى أيضا يوسف، لكن اشتهر باسم بلكين توفي سنة 373هـ- 983 م في وركلان (أنظر: ابن خلكان، نفس المصدر، ج1، ص286؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص80).

(5) لم يقع عليه الاختيار في البداية، فقد طلب أولا من صاحب المسيلة جعفر بن حمدون فوافق إلا أنّه عرض على المعز أن يترك معه أحد أولاده أو إخوته ليجلس في القصر وهو يدبر ولا يسأله عن شيء من الأموال، فكان ما جباه يكون مقابل ما أنفقه، وإذا أقدم على أمر لا ينتظر موافقتهم، كما أنّه ينصب القضاة وعمال الخراج، فغضب المعز من هذا الرّد، بقوله:" يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي فيه شريكان في أمري، واستبددتَ بالأعمال والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك" (أنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق،ج1، ص99؛ هادي روجي إدريس:الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن12م، ترجمه حمادي الساحلي، در الغرب الإسلامي، 1992م، المرجع السابق، ج1، ص77).

ملوك بني زيري(362-373هـ/972-981م) ووالده زيري بن مناد في بقاء قوتهم وسيطرتهم على المغرب، فقد ساعدت قبيلة صنهاجة[1] الفاطميين في محاربة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني[2]، كما أرسلت المؤونة إلى القائم بأمر الله الفاطمي عندما كان محاصرًا في المهدية، وممّا زاد في إعجاب المعز ببلكين بن زيري هو خروجه من أشير لطلب قَتلة أبيه زيري بن مناد، فحارب زناتة، وهزمها [3]، فرد المعز لدين الله الفاطمي ما كان لأبيه المسيلة وأعمالها التي كانت لجعفر بن علي بن حمدون الأندلسي[4].

ولما عرض المعز على بلكين بن زيري خلافته في المغرب، فكان ردّه:" يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يا مولانا بلا سيف ولا رمح..." ثم تابع الحديث فقال:"... بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره، والخير لمن تثق به، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم، فمن استَعصى عَليهم أَمَرُوني به حتى أَعمل فيه ما يجب، ويكون الأَمر لهم، وأنا خادم بين ذلك"[5]، فاستحسن المعز قول بلكين، فسلّم له إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب[6]، إلاّ جزيرة صقلية وطرابلس[7]، كأن المعز يريد أن يبقي هذه الأخيرة للفاطميين أنصارًا فيها غير بلكين بن زيري، لخشيتهم منه من أن يدّبر لهم خديعة ويعلن فيما بعد استقلال المغرب عنهم.

وقبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر أمر كل النّاس بالسمع والطاعة لبلكين بن زيري ، وأوصاه بوصايا كثيرة آخرها أنّه قال له:" يا يوسف إن نسيت ممّا أوصيتك به فلا تنسى ثلاثة أشياء "ألاّ ترفع الجباية عن أهل البلاد، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تُول أحدًا من إخوتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، واستوصى بأبي

---

(1) إنّ مواطن قبائل صنهاجة عند ابن خلدون هي:" المسيلة إلى حمزة إلى الجزائر والمدية ومليانة من مواطن بني يزيد وحصين والعطاف من زغبة....وبطون كثيرة من صنهاجة أعقابهم هنالك من متنان وأنوغة وبنو مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطوية وبنو يفرن وبنو خليل، وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها..."(المصدر السابق، ج6، ص202).

(2) ابن الأثير، المصدر السابق،ج 7، ص333.

(3) النويري، المصدر السابق،ج24، ص167-168؛ ابن الأثير، نفس المصدر، ج7، ص334.

(4) ابن الأثير، نفس المصدر، ج7، ص334.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص99.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص229؛ ابن الأثير، المصدر السابق،ج7، ص330.

(7) النويري، المصدر السابق،ص24، ص169؛ وعند ابن الأثير إضافة إلى صقلية طرابلس الغرب وأجدابية وسرت (نفسه) .

مضر خيرًا"[1]، وبعد عودة بلكين من توديع المعز لدين الله، خرج إليه أهل القيروان فهنئوه وأظهروا له السرور. والتفت إلى تنظيم شؤون البلاد فأرسل العمال، وجباة[2] الأموال إلى سائر البلدان، وعقد الولايات للعمال، فاستقامت له الأمور في المغرب[3].

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الفاطميين لم يكن هدفه منذ البداية البقاء في بلاد المغرب، بل العودة إلى المشرق، لإقامة خلافة شيعية في قلب الكون بعد إسقاط الخلافة السنية[4]. استنادا إلى ما قام به القاضي النعمان من تقسيم طبقات النّاس إلى خمسة: تتصدرهم طبقة الجند، ثم أعوان الوالي، من قضاة، وعمال، وكتاب، ونحوهم، ثم أهل الخراج، ثم التجار، وأخيرا الطبقة الدنيا أو السفلى وهم أهل الحاجة والمسكنة[5]. وهذه التقسيمات تخص المرحلة المغربية ذات الطبيعة العسكرية، وأساس كل دولة هو المال، وعند استقرائنا لأحداث المغرب، نجدها قد اعتمدت أولا على الدعوة حتى اكتسبت جموعا من النّاس ثم انتقلت إلى السياسة العسكرية التي تستند أساسا على المال، ذلك ما يظهر من قول القاضي النعمان:" ولا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج والفيء الذي يقومون به على جهاد عدوهم..."[6]. وهو ما تجسد في السياسة المالية التي قامت بها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وأثقلت بها كاهل النّاس خاصة في بداية دعوتها.

قام عبيد الله المهدي بالقضاء على أبي عبد الله الشيعي وأخيه العباس مع أكثر مشايخ كتامة والقواد، بعدما قامت الخلافة الفاطمية، فالمهدي رأى في بقائهم خطرا عليه وعلى دولته، خاصة بعدما قاموا به في مدينة تنس ضده من تشكيك في نسبه فقالوا:" إنّ هذا ليس الذي كنّا نعتقد طاعته وندعو إليه لأنّ الإمام المهدي يأتي بالمعجزات ويطبع بخاتمه البلاط"[7].

---

[1] النويري، المصدر السابق،ج24، ص170؛ أما المقريزي فكان نصه أكثر وضوحا من النويري فقال:" إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحد من إخوتك وبني عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرًا"(المصدر السابق، ج1، ص101؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص96؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص81).

[2] قبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، ولى أبا مضر زيادة الله علي بن عبد الله بن القديم على جباية الأموال بإفريقية وقال لبلكين:" إني تركت زيادة بن القديم عونا لك على جميع الأموال بافريقية كبّره" (أنظر: النويري، نفس المصدر، ج24، ص167؛ هادي روجي إدريس، نفس المرجع ،ج1، ص80).

[3] النويري، نفس المصدر ، ج24، ص170؛ هادي روجي إدريس، نفس المرجع، ج1، ص81.

[4] بوبة مجاني، النظم ، ص5.

[5] القاضي النعمان، دعائم ، ج1، ص357.

[6] نفس المصدر، ج1، ص366.

[7] الداعي إدريس، عيون الأخبار، ص90.

وأكدت بعض الدّراسات أن رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ- 973م كان سببه مقاومة الفقهاء المالكية لدعاة الشيعة[1]، فقد كانت بينهم مناظرات قادها أولاً الفقيه أبو عثمان سعيد بن الحداد، الذي كانت في مناظراته أعظم جهاد لمن خالف أهل السنة، وقبله الفقيهان الممسي وربيع القطان ومن تحالف معهما من فقهاء المالكية، في ثورة مخلد بن كيداد اليفرني، رغم أنّه نكاري إباضي، فقد قتلا بسبب إنكارهم الدعوة الشيعية وهذا دليل قاطع على شدة عداوة الفقهاء المالكية للشيعة.

من الأسباب التي جعلت عبيد الله المهدي يفكر في البحث عن بلاد أخرى أكثر أمنا من المغرب، لتستقر فيه دولته، فلم يتحقق له ذلك، فغير وجهته إلى مصر فأرسل بجيوشه إلى فتح مصر مرتين: الأولى سنة 302هـ-914م، والثانية سنة 306هـ- 918م بقيادة ابنه القائم بأمر الله لكن كلتا المحاولتين باءتا بالفشل، حتى تحقق الفتح على يد القائد جوهر الصقلي [2].

وذكر حسين مؤنس في مقدمة كتاب رياض النفوس أنّه :" لا سبيل إلى فرض دولة على النّاس يقاطعونها مقاطعة تامة ويعيشون بعيدا عنها"[3]، لمقاطعة أهل المغرب من فقهائها وعامتها الدولة الفاطمية. وقد فسر البعض أنّ سبب رحيل الفاطميين هو فقر بلاد المغرب، وعدم كفاية مواردها إلا أنّ هذا السبب غير مقنع، لأنّ بعض المصادر ذكرت أنّ المعز لدين الله جمع أموالا ضخمة في خزينته بين سنتين 339هـ-950م و361هـ-971م، الذي سمح له بمد القائد جوهر الصقلي في حملته على مصر 358هـ969م و359هـ-970م بملغ قدرته المصادر ب24 ألف ألف دينار[4] وما أنفقه بمناسبة ختان أبنائه وسائر الأطفال ببلاد المغرب من برقة إلى أقصى سجلماسة...، وما حوته مملكته وجزيرة صقلية مدة شهر فقط ، وقد بلغ ما أُنفق في جزيرة صقلية وحدها من المال سوى الخلع " خمسون حملا من الدنانير، وكل حمل عشرة آلاف دينار، وأرسل مثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله[5].

---

[1] المالكي، المصدر السابق(ط. القاهرة)، ص17.
[2] نفس المصدر ، ص18.
[3] نفسه.
[4] الجنحاني، السياسة المالية، ص59.
[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص94؛ الجنحاني، نفس المصدر ، ص59.

ولما عزم الفاطميون على الرحيل إلى مصر، أتى بلكين بن زيري إلى المعز لدين الله الفاطمي "بألفي جمل لحمل أمواله من إبل زناتة" [1]. وقد وصف المقريزي هذه الثروة قائلا:" ولما عزم المعز على الرحيل إلى مصر أتاه بلكين بألفي جمل من إبل زناتة، وحمل ما له بالقصور من الذخائر، وسبك الدنانير على شكل طواحين وجعل على كل جمل قطعتين، في وسط كل قطعة ثقبا تجمع به القطعة إلى أخرى، فاستعظم ذلك الجند والرعية، وصاروا يقفون في الطرق لرؤية بيت المال المحمول"[2] .

خفت شدة الفاطميين ضد المالكية في عهد الدولة الزيرية، و بدا ذلك في خروج أهل القيروان لملاقاة بلكين بن زيري، فتلقاهم أحسن قبول وأنزلهم أجمل نزول[3]، كما حضر بلكين بن زيري صلاة الجنازة على الفقيه أبي سعيد خلف بن عمر(371هـ/981م) مع جميع عسكره وأهل إفريقية من المذهبين، من المخالف والموافق[4]، يدل هذا على التوافق بين المذهبين المالكي والشيعي[5].

لقد ظهر بلكين بن زيري بمظهر المتفاني في الولاء للدولة الفاطمية بمصر، فعمل على نشر المذهب الإسماعيلي بين الأهالي، وأنفق أموالا كثيرة على المشارقة(المتشيعين)، وولّاهم مناصب عالية في الدولة، وسار إلى ناحية المغرب فكلما مر من منطقة أقام على منابرها الدعوة للخليفة الفاطمي، حتى وصل إلى منطقتي باغاية وتاهرت من المغرب الأوسط، وعيّن عليهما عمالا، فثار أهل المنطقتين عليه، إلاّ أنه استرجعهما، ثم واصل مسيرته نحو المغرب، حتى وصل إلى مدينة تلمسان فحاصرها وعفا أهلها من القتل ونقلهم إلى أشير، وفي نفس السنة رجع إليها واستقر فيها.[6] وكان المعز لدين الله الفاطمي قد نصحه بعدم التوغل في المغرب.

كلف المنصور عبد الله الكاتب المختال صاحب إفريقية لعقد مناظرات بين علماء الشيعة والفقهاء المالكية ليشرقهم، فكان أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان(ت.371هـ-983م) من الفقهاء المالكية الذين تصدروا هذه المناظرات، وهو" من

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص168؛ المقريزي، المصدر السابق ، ج1، ص100؛ إدريس القرشي، المصدر السابق، ص 717؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص330.

[2] المقريزي، المصدر السابق؛ إدريس القرشي، نفسه؛ الجنحاني، السياسة المالية، ص60.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 229.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص491.

[5] الهنتاتي، المرجع السابق، 172.

[6] النويري، المصدر السابق، ج24، ص171؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص81.

العلماء الراسخين والفقهاء البارزين، ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار لعلمه بالذب عن أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك"[1]. فقد أشارت بعض المصادر على أنّه كان يحب أن يواجه المشارقة لوحده، حتى لو "بيع روحه من الله دونهم " [2]، من أجل أن يعلو الإسلام.

وجل مناظرات بين علماء الشيعة والفقهاء المالكية كانت حول فضائل أهل البيت، وقد جرت إحداها بين الفقيه ابن التبان وعبد الله الكاتب، وكان نصها أنّ عبد الله الكاتب سأل ابن التبان فقال له:" يا محمد من أفضل أبو بكر أم علي؟ قال ليس هذا موضعه، فقال لابد! قال:" أبو بكر أفضل من علي"، فقال عبد الله:" يكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل سادسهم؟ فقال أبو محمد أيكون علي أفضل من اثنين الله ثالثهما؟ إني أقول لك مابين اللوحين[3] وتقول لي أخبار الآحاد؟، فضاق عبد الله وقال:" من أفضل عائشة أو فاطمة فقال: أحد من سؤالك أولا [4] فقال :" لا بد فقال عائشة وسائر أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم أفضل من فاطمة، قال:" قال فمن أين؟ فقال:" قال الله تعالى:﴿ يَا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[5]. فغَلَب الفقيه ابن التبان عبد الله الكاتب لاستدلاله بآيات قرآنية، فقام بعده دعاة آخرون فأكملوا المناظرة إلاّ أنّهم لقوا ما لقاه عبد الله الكاتب من ابن التبان [6]، وانتهى بهم الأمر أن أعطى البيعة لابن التبان فقال له التبان:" شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نشرتني في اثنين ما فَارَقْتُ مذهب مالك!...[7].

إنّ نص المناظرة يدل على أنّ عبد الله الكاتب (المختال) كان يدعو الشيعة الفاطمية، لكنه يُستغرب في نفس الوقت ما فعله مع مضر زيادة الله بن القديم الذي شاركه في إدارة إفريقية وكانت بينهما فتنة كبيرة انتهت بموت بن القديم، وأصبح بمفرده على رأس إدارة

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص521.

(2) نفسه.

(3) يقصد هنا الآية الكريمة رقم 40 من سورة التوبة، بعد قوله تعالى:﴿ ... ثَانِي اثْنَين إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا...﴾ أي الرسول -صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وهما في غار حراء يوم الهجرة.

(4) علق عليه محمد الماضور في تحقيقه لكتاب المعالم أنها وجدت في النسخ بهذا الشكل "احد من سؤالك" وقال إنّ الأقرب إلى الصواب هو: أي هل لك بد من هذا السؤال بدليل جوابه ب "لا بد " (أنظر:الدباغ، المصدر السابق، الهامش رقم 93، ج3، ص92).

(5) سورة الأحزاب، الآية 32.

(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص522، الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص92-93؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص211 وما بعدها.

(7) نفسه.

إفريقية،[1] وبقاء بلكين في المغرب الأوسط وسكوته عما قام به عبد الله، فهل هو عدم رضاه بأن يتولى شؤون إفريقية ممّن خلّفهم الفاطميون في المغرب؟ أو أنّ يظهر بمظهر الخصم اللدود للشخص الذي يحظى برعاية الخليفة الفاطمي؟ ويفسر روجي إدريس ذلك" أنّه بالرغم من تواطئه مع عبد الله الكاتب، فقد أراد أن يبقى خارج النزاع حتى يضفى عليه الخصومة لإفريقية المحض"[2]، كما أنّه يميل للاعتقاد أنّ أعيان القيروان قد ساندوا طموح ممثّل بلكين بن زيري، ولا يستبعد أن يكون هذا الانقلاب يستجبا لمطامع المذهب المالكي الذي كان ينتظر بفارغ الصبر فرصة التحرر من الشيعة[3]، فقد يكون ما قاله صحيح حيث أنّ فقهاء المالكية في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) برز الكثير منهم كالفقيه ابن التبان ومحمد بن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي ممن عايشوا وعارضوا الوجود الشيعي [4]. فكيف لا يعارضون من خلفوهم؟ وبما نفسر بقاء بلكين بن زيري في أشير وعدم انتقاله إلى إفريقية التي كانت محطة أنظار الفاطميين؟.

بعد وفاة المعز لدين الله في سنة (365هـ-976م) واصل بلكين بن زيري ولاءه للخليفة الفاطمي الجديد العزيز بالله نِزار[5]، ففي سنة (367هـ- 978م) بعث بلكين إلى العزيز أموالا طائلة جباها من إفريقية وأعمالها، أخذها من أعيانها ما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان، وقد قدرت هذه الأموال التي جمعها من القيروان وحدها أكثر من أربعمائة ألف دينار عينا[6].

وقد نتج عن السياسة المذهبية والمالية التي مارسها بلكين بن زيري ضد الفقهاء المالكية وغيرهم من عامة النّاس خاصة بافريقية، أنّهم ينظرون إليه أنّه الزنديق

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج22، ص171-172؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص84.

[2] روجي إدريس، نفس المرجع ، ج1، ص84.

[3] نفسه

[4] عاش ابن أبي زيد القيرواني والقابسي معظم حياتهم في فترة الخلافة الفاطمية في المغرب، وعايشوا ثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد اليفرني) أنظر: Deux juriste Kairouanais,OP, Cit., p123.

[5] هو العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله ابن منصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، ولد العزيز يوم الخميس 14 محرم سنة 344هـ-956م بالمهدية، وبويع سنة 365هـ- 976م، كان قائدا شجاعا حكما مديرا وخليفة عادلا كريما يعفو عند المقدرة، حسن الخلق قريبا من النّاس، وكان أديبا فاضلا، وبنى قصر البحر وقصر الذهب وجامع القرافة، قيل أنّه كتب إلى صاحب الأندلس المرواني يهجوه ويذم نسبه فكتب إليه المرواني فقال: " عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وأجبناك، فاشتد ذلك عليه ووجد يوما رقعة على منبر الخطبة فيها:

انا سمعنا نسبا منكـرا   يتلى على المنبر بالجامـع

فإن كنت تدعي صادقا   فانسب أبا بعد الأب الرابع

(أنظر:المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص236؛ ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص121؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص157 وما بعدها من عدة صفحات).

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص230؛ المقريزي، نفس المصدر، ج2، ص247-248؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص87.

الضال[1]. أمّا المنصور بن بلكين بن زيري (374- 386هـ/984-996م)، فشبهت بعض الدّراسات سياسته بسياسة أبي عبد الله الشيعي حين دخل المغرب وبدأ في نشر دعوته، أو مثل عبيد الله المهدي حين خرج من سجن سجلماسة، ودخول القيروان، فقد كان في استقبال من وجوه من الفقهاء، فأحسن إليهم وظهر لهم كأنّه المهدي المنتظر، الذي ينتظره جميع النّاس لعدله واستقامته بين جميع النّاس.

دفع المنصور عشرة آلاف إلى الوافدين عليه من قضاة وشيوخ القيروان وغيرهم في مدينة أشير مكافأة لهم لتهنئته بالولاية، ولما استقبلهم قال لهم:" لقد شق علي تعبكم في حركتكم، غير أنّ سروري في رؤيتكم"[2]، واستدعاهم مرة أخرى وقال لهم:" إنّ أبي وجدي أخذ النّاس بالسيف قهرًا، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان وما أنا في هذا المُلك ممّن يُولَّي بكتاب ويُعزل بكتاب، لأني ورثته عن أبائي وأجدادي وورثوه عن أبائهم وأجدادهم حِمْير".[3]

بقي المنصور بن بلكين على ولائه للعزيز الفاطمي، ففي سنة 376هـ-983م أرسل الخليفة الفاطمي من مصر، الداعي أبو الفهم الخرساني إلى افريقية ثم انتقل نحو كتامة داعيا لهم، فتطورت به الأمور حتى صار يجمع العساكر ويركب الخيل وعمل بنودا وضرب السكة واجتمع إليه خلق كثير من كتامة[4]، وبعد سنة أرسل الخليفة العزيز رسولان إلى المنصور بن بلكين فقالا له:"ألاّ يعرض لأبي الفهم ولا لكتامة "، فأحسّ المنصور بالخطر الذي سيواجهه من المشرق بسبب هؤلاء الدعاة ودعوتهم فسبهما وأهانهما، والسبب في ذلك ما فعله الداعي أبو الفهم في كتامة، ثم خرج المنصور متجها نحوها مع الداعيان فقام بقتل أبي الفهم، ثم أمرهما بالذهاب إلى مصر وإخبار العزيز بما شاهدوه[5]. وغدر بعبد الله الكاتب، لأنّه في نظره السبب الذي جعل دعوة أبي الفهم تنجح في كتامة، ثم قام بمحاربة الكتاميين في ميلة وسطيف وكل منطقة وُجدوا فيها، فقاتلهم أبشع قتال ثم عاد إلى أشير[6].

---

[1] المالكي، المصدر السابق(ط. القاهرة)، ص20.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص240؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص180.
[3] نفس المصدريين السابقين.
[4] نفس المصدر، ج1، ص241-242؛ نفس المصدر ، ج24، ص182.
[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا ،ج1، ص263.
[6] النويري، المصدر السابق، ج24.

2 - الفقهاء المالكية وبنو زيري

منذ أن دخل الفاطميون المغرب، والفقهاء المالكية لم ينقطعوا عن معارضتهم لهم، ففي البداية كان نشاط الفقهاء المالكي سرا بين العامة فكانوا يحضرون حلقاتهم العلمية في المساجد للاستزادة بفقه مالك -رحمه الله- ونصب الفقهاء أنفسهم علي العامة، فكلما قصدهم أحد في علم أو في فتوى في مسألة فقهية أو عقائدية لبوا طلبه، بل كانوا يرفعون مظالمهم إلى السلطان.

ولما تولى المنصور بن بلكين الحكم، ودخل قصره بالمنصورية، خرج إليه أهل القيروان فلقوه، فاستقبلهم وثنى عليهم، ووعدهم خيرًا، فكان المنصور صادقا بعض الشيء فيما وعدهم به[1]. وثبت ذلك لما قام بقتل عبد الله الكاتب فجاءه القاضي وشيوخ القيروان واجتمعوا عنده ليحتجوا قتل أبي عبد الله الشيعي وأخوه العباس فقال لهم:" ما قتل عبد الله على مال ولا شيء اغتنمته وإنما خفته على نفسي فقتلته"،[2] فقد رفعت إليه قضية عبد من عبيده، قذف بعض الصحابة -رضي الله عنهم- فأمر بقتله وصلب جثته، وأن ينادى على رأسه في القيروان ليكون عبرة لغيره[3]، وطلب من البوني وابنه أموالا كثيرة مفخرة له أمام ضيوفه فأنكراه وقال لهما المنصور:" لو أنّ عبدا من عبادي طلب منه بيوت مال لوجد ذلك"، فأمره بقتل البوني[4]، فتصرفات المنصور تؤكد ما ذكره Golvin من أنّه واعيا بالأخطار التي يمكن أن تلحقه، فحاول" أن ينشر الوئام بين الطرفين(المالكي والشيعي).

ويزيد تأكيدا قتله للداعي أبي الفهم الذي أقام الدعوة للشيعة في كتامة إحياء لما كانت عليه من قبل فدخل من ميلة وخربها ونقل أهلها إلى باغاية وكان كلما مر من بيت أو قصر للكتاميين أحرقه بمعية الرسولين اللذين أرسلهما الخليفة الفاطمي فقال لهما:" هؤلاء زعمتما أنهم يمضون بي في عنقي إلى مولاكما"[5]، وثارت كتامة مرة أخرى فقتلهم ورجع إلى أشير. وبناء على سيرته المميزة قال عنه النويري:" كان ملكا كريما جوادا

---

(1) النويري، المصدر السابق، ج24، ص177- 178؛ وانظر أيضا: L. Golvin: Le Margreb central a l`époque des Zirides, gouvernement de l`Algérie sous- direction des beaux-arts mission archéologiques, Paris, 1957, p64.

(2) النويري، المصدر السابق، ج24، ص169؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص143-144.

(3) ابن عذاري، نفس المصدر ، ج1، ص246.

(4) نفسه.

(5) النويري، المصدر السابق، ج24، ص173-174.

صارما وكانت أيامه أحسن أيام وأطيبها وما زال مظفرا منصورا لا ترد له راية"، أما ابن عذاري قال عنه:" كانت أيامه أحسن أيام"[1].

وبعد الفتنة التي وقعت في تونس(406هـ-1016م) [2] والمتمثلة في قتل أهلها للروافض (الشيعة)، نسب أهلها للفقيه محرز بن خلف التونسي[3] الزاهد المستجاب الدعوة حمل الناس عليها فطهر الله الأرض منهم، ورفعت القصة إلى باديس بن المنصور فحقد عليهم، وعزم على الأخذ بالثأر منهم، وقال باديس في حينها :" تكون الأرض ولا تكون تونس" فأخبر أهل تونس الفقيه بما حدث فقال:" بل تكون الأرض ولا يكون باديس، فأخذ في الدعاء عليه..."[4] وتوفي باديس بن المنصور بعدها قبل أن يعاقب أهل تونس.

وفي رواية أخرى ذكرها القاضي عياض أن شيخا مؤدبا أخذ على بعض الطلبة دراهم جورا وظلما، فكلف الشيخ الفقيه المتعبد أبا محرز بن خلف بكتابة رسالة يخبر فيها باديس، فقال الفقيه:"... أنا رجل قد عرف كثير من النّاس اسمي، وهذا من البلاء، وأنا أسأل الله تعالى أن يتغمدني برحمة منه، وفضل، وربما جاء المضطر يسأل الحاجة، فإن تأخرت، خفت، وإن سارعت، فهذا أشد، وقد كتبت إليك في مسألة رجل من الطلبة، طولب بدراهم ظلما، ولا شيء له، وحامل رقعتي يشرح لك ما جرى، فعامل فيه مما لابد من لقائه..."، فأخذ باديس الكتاب، وقبّله، وقال:" هذا صديق الله" وأمر الكاتب أن يكتب سجلا، لجميع الطلبة بالحفظ، والرعاية، وأن يصرف عن جميع طلبة الشيخ ما تسبب إليهم باديس من المظالم[5].

لحق يوما رجل ظلما من باديس بن منصور فذهب إلى أبي محرز العابد يشتكيه، فأخذ رقعة وأرسلها إلى باديس ذكره ووعظه ثم قال له:" ربما أتى المضطر يسأل الحاجة فإن رددته خفت وإن التزمت ذلك فهذا أشد..."، كأن أبا محرز لا يستطيع أن يعطي حكما في

---

(1) النويري، نفس المصدر ، ج24، ص174-175؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص247.

(2) قتل العامة في هذه الفتنة المشارقة، فكان يؤتى برجل فيسألونه أمام الشيخ أبو محرز بن خلف وبحضور شهود، فإذا ثبت أنه من المشارقة يقتل، وإن لم يثبت عليه ذلك يترك (أبو طاهر الفارسي: مناقب محرز بن خلف، تحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، Presse universitaire de France ، 1959م ، ص143).

(3) هو أبو محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي المعروف بالعابد من صلحاء علماء افريقية، كان متقشفا فاضلا زاهدا في الدنيا، ومن الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وكان يفعل ما يراه الشرع حتى لو عرض نفسه لحد السيف فيقول:" الصراط أحد من السيف"(أنظر: أبو الطاهر الفارسي، نفس المصدر: ص156؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص712-713).

(4) أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص155؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص713.

(5) هناك روايتان وفيهما اختلاف طفيف (أبو طاهر الفارسي، نفس المصدر، ص157 وص 140؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص713-714؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص 216).

هذه المسألة فجعل السلطان شريكه فتابع رسالته بالوعظ فقال:" خف مما لا يحتاج عون عليك بل لو شاء إتلافك أخرجه عن نفسه حتى لا يكون هلاكك على يده سالم تسلم فأنت على رحيل فخذ الزاد...".[1]

وفي رسالة أخرى بعث بها المعز بن باديس سنة 417هـ- 1026م إلى الشيخ الزاهد محرز بن خلف في مسألة ظهير فبدأ بذكر ما كان به السلف الصالح من إكرام أهل الدين والعلم واليقين لأنّه:" من اتبع طريقهم أخلص من الشك واقتدى، ومن قصد إلى طريقتهم أخرج من الضلالة إلى الهدى، وأنقد من الجهالة والردى..."[2] ثم ذكره في بعض الأمور من العقيدة فقال:" فإن القصد أن يؤولوا إلى معرفته ومعرفة إثبات براهينه وترقبه ووحدانيته وتحقيق حقائق ربوبيته وجبروته، ويحافظ على أوليائه..." ثم تلا قوله تعالى:﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[3]...ثم قال له:" أنتم أفضل أوليائه فهذه الرسالة هي بيان معاملة المعز للشيخ العابد محرز بن خلف بالإضافة إلى أنها دليل قاطع على سنيته.

وفي سنة 437هـ-1046م أصدر الفقيه أبو إسحاق الجبنياني فتوى من مدينة باغاية من المغرب الأوسط استفتى فيها وكانت المسألة : مسألة طلاق ومراجعة وذكر السائل أو وليّ النكاح وكان مشرقيا فأجاب الشيخ أبو إسحاق " إنّ هذه الفرقة على قسمين أحدهما كافر مباح الدم، والقسم الآخر وهو الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم" فأكثر عليه جميع فقهاء افريقية بالقيروان وغيرها واحتجوا عليه بأن جماعة من أهل الزهد والعلم والعبادة بالقيروان كانوا أشد الناس مباينة بالعداوة والتكفير لبني عبيد وأتباعهم... فأرسلوا ليعاود النظر وأن يرجع في القول فأبى... وهنا لا يهم الحكم في هذه المسألة قدر ما يهم أنّها رفعت إلى المعز بن باديس فجمع بعض الجمع في المقصورة وناظروه فأظهر الجبنياني الإنابة إلى قولهم والرجوع".[4]

---

[1] أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص140 وما بعدها؛ انظر: الملحق رقم 5.

[2] نفس المصدر، ص148.

[3] سورة يونس، الآية 63 .

[4] اللبيدي: مناقب الجبنياني، تحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، Presse universitaire de France ، 1959م،ص85-86؛ الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص177-178؛ هادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص225-226؛ وأنظر أيضا: H. R Idris : Une des phases de la lutte du malikisme contre le Shiisme sous les Zirides (XI siècles), les cahiers de Tunisie, 4e trimestre N16, 1956, p.512

عَمِل فقهاء المالكية ما بوسعهم لكسب ثقة الزيريين، فجعلوهم من المقربين إليهم ومن الموثوق بهم، فالفقيه فتوح بن غزال الباغائي(ت.446هـ-1054م)[1] من مدينة باغاية من المغرب الأوسط، تمتع بمكانة خاصة لدى المعز بن باديس، كان يقوم بدور مخبر للمعز فكان يتبادل معه الرسائل ويخبره ما يحدث في صقلية [2]. ويشاوره في شؤون إفريقية، وبرزت رئاسته، فغار منه كبار الدولة، ولما كان بصقلية انتهى به الأمر إلى غدر من عرب وعجم بها، فأغّروا العامل فقتله بالرّماح بحضرتهم، فانتهبت أمواله، وكشف عياله، وبينما السلطان مشغولا بفتنة القيروان، إلاّ أن أصحابه من الفقهاء ثاروا له ولقي حتفهمن كان السبب في قتله.[3]

والفقيه المالكي أبو الحسن بن أبي الرجال الذي كان وزيرًا في بلاط المعز بن باديس، وكان ممّن تولى تربيته على مذهب الإمام مالك وعلى السنة والجماعة، دون علم الشيعة ولا أهل القيروان، فأصبح معروفا بالورع والتقوى والتقشف والتفقه في الدين، وكان أشد كراهة للمذهب الشيعي[4]، حتى قيل في حقه أنّه من حرض المعز بن باديس على إعلان القطيعة للفاطميين على المنابر والولاء للعباسيين.[5]

ولم يقتصر البلاط الصنهاجي على الفقهاء المالكية فقط، فالأدباء والشعراء كان لهم نصيب في ذلك، فالأديب، والباحث، والشاعر، والمؤرخ، والناقد أبو علي الحسن بن رشيق من مواليد المسيلة (المحمدية)، مدح الأمير المعز بن باديس، فقربه إليه وجعله كاتبا له، فاشتهر في القيروان وخارجها، وبقي في البلاط إلى أن غزا الهلاليين إفريقية ففر منها إلى صقلية، كانت له كتب عديدة منها ماهي خاصة بالشعر " كالعمدة في صناعة الشعر ونقده" و" النموذج الزمان في شعراء القيروان"، وكتابا في التاريخ " ميزان العمل في تاريخ الدول" و " تاريخ القيروان" وشرح موطأ مالك"...[6]

---

[1] فقيه من مدينة باغاية من المغرب الأوسط، كان فاضلا يرجع إليه أهل بلده في أمرهم، وكان فقيها على صقلية وباتصال دائم مع المعز بن باديس، ففي منتصف شعبان 406هـ-1015م، وكان الأمير في ذلك الوقت مشغولا بفتنة المهدية فأغر به من كانوا يحسدونه على منصبه (أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص777).

[2] هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، ولد بالمنصورية من مدن إفريقية يوم الخميس 5 جمادي الأولى سنة 398هـ- 1007م، ملك بعد أبيه إفريقية وما ولاها من بلاد المغرب، بويع بالمسيلة " المحمدية" في يوم السبت 3 من ذي الحجة سنة 406هـ-1015م، لقبه الخليفة الحاكم العبيدي من مصر " شرف الدولة" سنة 406هـ-1015م، كان ملكا جليلا محبا للعلماء توفي سنة 454هـ- 1062م بالقيروان بمرض أصابه في الكبد(أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 233 وما بعدها، ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص294).

[3] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص777.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص273-274؛ وأنظر أيضا: B. Alfred, Op, Cit., p198.

[5] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص619.

[6] عادل النويهض، المرجع السابق، ص62.

ويتبين ممّا سبق أنّ ولاء الزيريين للفاطميين في بلاد المغرب سياسيا فقط، لأنّهم لم يشددوا على الفقهاء المالكية، ولم يهتموا أكثر بنشر المذهب الشيعي، كما كانوا من قبل، وذلك ما أكدته بعض المصادر، وأنّه لما ثارت العامة في المهدية ضد الشيعة، قام رجل من النصارى المقربين إلى بلاط الأمير الصنهاجي باديس بن منصور فاعتدى على صبية من المالكية فقام بقتله[1].

3 - دور الزيريين في القطيعة

لقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ انفصال الزيريين عن الفاطميين على أقوال متعددة، فالقول الأوّل أنّها في سنة (435هـ-1043م)[2] ، أمّا القول الثاني فكان في سنة(440هـ-1043م)[3] ، أمّا القول الثالث في سنة(443هـ-1051م)[4]، ورغم الاختلاف الذي نلاحظه في التواريخ إلا أن السيطرة الكاملة للمذهب المالكي كانت في عهد المعز بن باديس (406- 454هـ/1016-1062م)،[5] الذي رفض التشيع علنا، وهذا استجابة لرغبة أهل إفريقية المتمسكين بمذهب الإمام مالك [6].

ويرجع الفضل إلى الفقهاء المالكية الذين واصلوا ما قام به الإمام سحنون بن سعيد في انتشار وانتعاش المذهب المالكي في إفريقية وما وراءها، واعتبرت بعض الدراسات أن الفضل يعود إلى سحنون والأمير الزيري المعز بن باديس[7]، وحسب روجي إدريس أنّ "تعريب صنهاجة قد بلغ حدا يسمح لصاحب افريقية بالخروج عن طاعة الفاطميين، وما زاد في هذا التطور تقهقر الدولة الفاطمية واندلاع اضطرابات مضادة للشيعة في آخر عهد باديس بن منصور"[8].

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص916؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص140؛ وانظر أيضا: Une Phases de la lutte, Op, Cit., p.196.؛ وذكر ألفراد بل أنّ المذهب المالكي الذي ترسخ في المغرب لم تستطيع الشيعة أن تستأصله (أنظر : B. Alfred, Op, Cit., p193).

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص265، وفي موضع أخر يجعل سنة 440هـ-1048م تاريخ للانفصال ،(ج8، ص286)؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص209؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص105.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص277.

(4) خالف ابن التغري بردي كل المصادر التي تحدثت عن الانفصال، فذكر أن الانفصال كان على يد المعز بن باديس كما أنّ المعز لدين الله الفاطمي سلم المغرب لمعز بن باديس وهذا لا يُحمل على الصحة(أنظر: ابن التغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص52؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج2، ص214).

(5) أنظر: H.R Idris : Sur le retour des Zirides q l`obédience fatimide, annales de l`institut d`études orientales, Alger, tome XI,1953, p.25.

(6) ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص294؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص234.

(7) Sur le retour des Zirides, Op., Cit., p.25.

(8) عكس ما ذهبت إليه دائرة المعارف الإسلامية من أنّ الخلافة الفاطمية قضت على المذهب المالكي والحنفي خلال قرنين(المرجع السابق، ج2، ص327؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص215 وأنظر أيضا: Une phases de la lutte, Op, Cit., p.509.)

لمّا انتقل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، أظهر الشيعة مذهبهم، فسبوا الصحابة -رضوان الله عليهم- كما لم ينقطعوا عن إرسال الدعاة إلى المغرب يدعون النّاس إلى مذهبهم ويجبرونهم عليه، لقد ذكرت بعض المصادر أنّهم:"...بعثوا دعاتهم إلى إفريقية يدعون النّاس إلى مذهبهم الفاسد ويجبرونهم عليه، فلم يجبهم أحد إلى ذلك...:"[1]، وكان من دلائل رفضهم قتل أحد الدعاة في عهد باديس بن منصور (386-406هـ/996-1016م)[2].

وقد صدرت فتاوي من الفقهاء المالكية قصد توعية العامة ضد الشيعة، فقد كفّروهم واستحلوا دماءهم، ذكر القاضي عياض أنّه أجمع علماء القيروان، أبو محمد ابن أبي زيد وأبو الحسن القابسي، وأبو زكريا الطبني، وأبو بكر بن عذرة أن:" حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة، بما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل فيقتلون بالزندقة..."[3]، أمّا ابن أبي زيد القيرواني فقال:" مَن نوى الدخول في دعوتهم على أساس أنّه سيكره على ذلك، ثم لم يدخلها يعتبر كافرا"[4]، أما أحمد بن نصر الداودي فقد أفتى في خطباء بني عبيد فقال:" خطيبهم الذي يخطب لهم يدعو يوم الجمعة كافر يقتل، ولا يستتاب وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين، وتعتق أمهات أولاده...إن تاب قبل أن ظهر الندم، ولم يكن أخذ دعوة القوم، قبلت توبته...:"[5].

دخل المعز بن باديس المنصورية في سنة 407هـ-1016م[6]، راكبا فرسه فتجول في شوارع المدينة، والنّاس يسلمون عليه ويدعون له، ومرّ بجماعة فسأل عنهم فقيل": هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر" فقال:" رضي الله عن أبي بكر وعمر"[7].

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج1 ، ص27.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص674-675؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص27؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص172.

[3] نفس المصدر ، ج4، ص720.

[4] نفس المصدر، ص719.

[5] نفسه.

[6] اختلفت الرّوايات في اليوم الذي دخل فيه المعز إلى المنصورية، بين يوم السبت ويوم الجمعة، أما السنة فلا خلاف فيها(أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص268؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص200؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص89؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص180).

[7] ظهر بعض الاختلاف بين رواية ابن الأثير والنويري، فرواية هذا الأخير لما سأل عن الجماعة قيل له :" هؤلاء رفضة والذين قبلهم السنة" فقال:" وأي شيء الرّفضة والسنة" قالوا يترضون عن أبي بكر وعمر والرفضة يسبونهما"، كذلك جاءت كلمة " رفضة" بدلا من الرافضة"(أنظر: ابن الأثير، نفس المصدر ، ج8، ص114؛ النويري، نفس المصدر ،ج24، ص201؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص180؛ وكذا: B.Alered, Op, Cit., p.198).

وبعد الجولة انصرفت العامة إلى درب المقلى - مكان تجمع الشيعة- وقتلوا الكثير من الرّجال والنّساء والأطفال، وأحرقوهم بالنّار وانتهبوا ديارهم وأموالهم، وسمي الموضع ببركة الدّم، ومن بقي في المهدية من الشيعة تحصن في الجامع ورغم ذلك قتلوا عن آخرهم، وفي 12 من جمادي من نفس السنة خرج من تبقى من المهدية إلى قصر المنصور فحُصروا حتى اشتد عليهم الجوع، وكلما خرج واحد منهم تعرض للقتل والحرق مباشرة، فقتلوا عن آخرهم[1]. وذكرت بعض المصادر أنّ:" المسلمين -السنيين- سُرّوا بما رأوه فيهم، وذلك لما ظهرت الكتب التي وجدت في ديار المسَالِمة، وكان فيها من الكفر والتعطل للشريعة وإباحة المحارم شيء كثير..."[2]. وتوسع العامة في قتل الشيعة في جميع إفريقية وفي بقية المغرب فقد بلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثة ألاف.

وفي أواخر ذي الحجة 411هـ- 1020م تلقى المعز بن باديس من الخليفة الحاكم بأمر الله هدية ليس لها مثيل ولم تعط لأحد من الملوك من قبل، تمثلت في سيفه مكلل بنفيس الجوهر وخلع من اللّباس وسجل يضفي عليه اللقب الفخري: "شرف الدولة" [3]. ورغم ما صدر من المعز بن باديس من صمت تجاه العامة في تقتيلها للشيعة، فإنّ الخليفة الفاطمي بمصر علم بما حدث وأظهر التجاهل، حتى لا يضيع منه المغرب ولأنّ بني زيري يمثلون القوة الوحيدة الموالية للفاطميين في المنطقة، والتي تقف ضد التعصب السني والقضاء عليه.

ويبدو أنّ المعز بن باديس كان صادقا عندما قال:" رضي الله عن أبي بكر وعمر"، بالرّغم من صغر سنه فلم يتجاوز التاسعة، وقد ذكرت بعض الدّراسات أنّ الفضل يعود إلى وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال التاهرتي، الذي قام بتربيته [4]، و بلغ هذا الأخير منزلة كبيرة في البلاط الصنهاجي أيام المعز بن باديس، وقد ذكرت بعض المصادر أنّ الوزير "حرض المعز بن باديس وأدّبه ودلّه على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة" [5].

---

(1) النويري، المصدر السابق، ج24، ص201؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص114؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص268؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص181؛ B. Alfred, Op, Cit., p.198.

(2) ابن عذاري، نفس المصدر ، ج1، ص268-269.

(3) نفس المصدر، ج1، ص269؛ B. Alfred, Op, Cit., p.199.

(4) H.R. Idris : Sur le retour des Zirides a l`obédience fatimide, annales de l`institut d`études orientales, Alger, tome XI, 1953, p27

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص273؛ محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص66؛ Une phases de la lutte, Op, Cit., p. 508.

وليس ابن أبي الرجال وحده الذي ساهم في انتصار المذهب المالكي، حسب بعض المصادر فإنّ المعز بن باديس فتح بلاطه لفقهاء المالكية وتقرب منهم[1]، فالفقيه الحسن بن تمام المعروف بابن بنت المهدي[2]، الذي رفض صلاة العيد مع المعز بن باديس، لعدم ثبوت العيد في ذلك اليوم، صلى مع أتباعه وخطيب صلاة العيد بالأمس في اليوم الموالي، ويقال أنّ هذا الخطيب عزل لهذا السبب[3].

فالفقهاء المالكية لعبوا دورا هاما في ترسيخ المذهب المالكي، بفضل مقاطعتهم لصلاة الجمعة التي تعطلت دهرًا حسب ابن عذاري [4] من ناحية، ومن ناحية أخرى كسبوا ثقة المعز فأحسنوا معاملتهم له، فكان يستفتيهم في عدّة مسائل تتعلق بعلاقته مع الفاطميين، والذي نتج عنه في النهاية قطيعته للفاطميين، فبعض الدّراسات ترجع الفضل للفقيه أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت.432هـ- 1040م) المالكي في دفع المعز لإعلان القطيعة[5].

وأرسل المعز باديس إليه وإلى أبي عمران الفاسي ليستفتيانه في بعض المسائل عن الشيعة، منها أنّه دس سؤالا للفقيه أبي بكر عبد الله نصه:" ما يقول الفقيه في هذا الطرز التي فيها أسماء بني عبيد مثل الظاهر والحاكم وغيرهما يلبس أيصلي فيها؟" فرد عليه هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة"، وبعث بهذا السؤال إلى أبي عمران الفاسي فقال:" إنما يحب على من بسط الله يده أن يمنع ذلك"[6]. فأرسل في طلبهما ثم قال لأبي بكر:" لماذا أجبت بهذا؟ فقال له:" لأنّ السكة تضرب بأسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك " فرد عليه المعز أنّه أبقى السكة والبنود لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين[7]، فقد يكون اعتمد على القاعدة الأصولية "الضرورة تبيح المحظور"وهذه تدخل ضمن المصلحة العامة.

---

(1) أنظر: Une phase de la lutte, Op. Cit., p. 508.

(2) كانت للفقيه ابن المهدي مكانة عند المعز فكان يشاوره في أمور النّاس والعامة.(أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص-796-770؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص223 الهنتاتي، المرجع السابق، ص181).

(3) إنّ معارضة ابن بنت المهدي تعود لأسباب عقائدية، لأنّه مثلا لا يصح الصيام إلا بصيام الإمام والإفطار إلا بفطره (أنظر: القاضي النعمان، الدعائم، ج1، ص272؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص357).

(4) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 277.

(5) المالكي، المصدر السابق، (ط. القاهرة)، ص45؛ الهنتاتي، المرجع السابق، ص181.

(6) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص168.

(7) نفسه؛ ويرى روجي إدريس إلى أنّ ذلك يعود إلى سبب اقتصادي(Sur le retour des Zirides, Op., Cit., p30)

ثم بدأ المعز يبرر أفعاله فقال:" ألم أقتل المشارقة؟ ألم أفعل كذا، فقال وبقي عليك! أتأذن لي أن أتكلم فقال له لا، ثم تكلم أبو عمران فقال:" لِمَ لَمْ تكتب بمنع ذلك؟ وقد فسر ابن ناجي ما فعله أبو عمران لكي لا يستغل المعز التباعد الذي كان بينهما فيكون شهادة أحدهما على الآخر حجة على العامة، فعندما اختبرهما وجد دينهما أمتن مما كان يظن[1]، وقد أراد المعز إرسال الفقيه أبي بكر إلى صقلية رسولا فأجابه الفقيه أنّ :" أقلامنا لأمضى عند الله من رماحك" [2].

وأرسل المعز بن باديس إلى أبي عمران الفاسي طبيبا يهوديا يستفتيه في مسألة، وظن أبو عمران أنّه من المسلمين من رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين:" أكرمك الله إنّه من خيار أهل ملته، فقال أبو عمران ما ملته؟ فقالوا له هذا ابن عطاء اليهودي فغضب أبو عمران وقال له:" أما علمت أنّ داري كمسجدي فكيف اجترأت على دخولها؟ وأمره بالخروج وأمر أن يقول للمعز:" يبعث إلي برجل من المسلمين يأخذ جواب مسألته فإني لأَستحي أن أحملك أسماء الله وحكما من أحكامه"، فلما دخل اليهودي إلى المعز وأخبره بالقضية وقال له :" ما ظننت أنّ بافريقية ملكا غيرك إلا يومي هذا.." فقال له المعز:" إنما فعلت ذلك لأريك عز الإسلام وهيبة علماء المسلمين وما ألبسهم الله من شعائر الأولياء لعلك تسلم"[3] .

وقد أمر المعز بن باديس بلعنة العبيديين في الخطب وذلك يوم عيد الفطر سنة 440هـ-1048م بعدها أقيمت الدعوة للخلفاء الأربعة وللعباسيين، وكان نص الخطبة:" اللهم! ألعن الفسقة الكبار المارقين الفجار، أعداء الدين، وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك وناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك المبدلين لكتابك... اللهم العنهم لعنا وبيلا! وإنّ سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن منصور القائم لدينك والناصر لسنة نبيك..." واختتم الخطبة بقراءة:﴿ يَأَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...﴾[4]، هكذا ذكرت بإسقاط " قُلْ"، وذكرت بعض المصدر أنّه قام بحرق البنود ومحا اسمه من الطرز والسكة ودعا

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص168.
[2] نفس المصدر، ج3، ص167.
[3] نفس المصدر، ج3، ص161.
[4] سورة الكافرون، الآية 1-2.

للقائم الخليفة البغدادي[1]، وجاءه سنة 443هـ-1051م خطاب من الخلفية العباسي وكتاب يتعهد فيه الصحبة مع أبي الفضل عبد الواحد التميمي[2].

بلغ المذهب المالكي بإفريقية العصر الذهبي في عهد الأمير المعز بن باديس، وسببه ما قام به الفقهاء المالكية من تأثير في جميع الناس، فاتسع بهم انتشار المذهب في بلاد المغرب، ما أدى حتما إلى الإعلان الصريح للقطيعة على المنابر بأمر من المعز والدعوة للعباس بن عبد المطلب، كما أذن للعامة علنا بتتبع الشيعة وقتلهم حيثما وجدوا واستقبل أهل القيروان خبر القطيعة بسرور عظيم[3]. وبفضل قطيعة الفاطميين اكتسب المعز بن باديس الشرعية السياسية، فأصبح بذلك المذهب المالكي هو الرّسمي للدّولة الزيرية.

يبدو أنّ القطيعة للفاطميين مرت بمراحل عدة أهمها علاقة المعز بن باديس مع الفقهاء المالكية التي ظهرت في وقت مبكر قبل القطيعة، واستفتائهم في بعض مسائل عن الشيعة، وأخذه برأيهم حتى في تعيين ما يصلح للقضاء من الفقهاء المالكية[4]، وبناء علاقات مع الدول المعادية للخلافة الفاطمية-بيزنطة والأندلس- ففي سنة 424هـ-1032م وصلت إلى المعز هدية من السودان تمثلت في عدد كثير:" من الرقيق والزرافات وأنواع أخرى من حيوانات غريبة". وبعد سنتين أرسل له ملك الروم بهدية ليس لها مثيل:" من كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر وغيره"[5]. وأخيرا واستنادا على المسكوكات فإنها بقيت شيعية إلى غاية سنة 338هـ-1046م حسب المعلومات التي وصلتنا، وفي سنة 339هـ-1047م كانت للخليفة الفاطمي المستنصر لكن تغير طفيف، فبدلا من اسم الخليفة أو مدينة المنصورية وهي المكان التي سكت فيه، استبدلت ب "صبرة" وهي الاسم القديم للمدينة[6]، التي أصبحت مدينة "مركز قوة الإسلام" « Centre de la puissance de l`Islam » ، وهذه التسمية أصبحت على غالبية النقود بداية من سنة 441هـ-1049م.[1] وفي نفس السنة لم يظهر اسم الخليفة الفاطمي على

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص297؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211؛ وأنظر أيضا Sur le retour des Zirides, Op., Cit., p32؛ وكذا.Lounois A , Op., Cit., p139

(2) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص195-196؛ وأنظر أيضا: الملحق رقم 6.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق، ص277، 288، 278.

(4) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص188.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص275.

(6) Sur le retour des Zirides , Op., Cit., p29 ؛ وأيضا أنظر: Launois, Op., Cit., p140

(1) هي نفس السنة التي ذكرت عند ابن عذاري عندما أمر المعز بن باديس بتبديل السكة(المصدر السابق: ج1، ص278)؛ وهي نفس السنة التي يجعلها روجي إدريس للقطيعة الزيرية بناء على النقود التي سكها السنيون كانت ما بين 441هـ/1049 و449هـ /1057، وأنّ هذه العملة لم يرد اسم الخليفة العباسي عليها(Sur le retour des Zirides, Op., Cit., p37)

النقود السنية ولا حتى عبارات الشيعة وذلك إلى غاية سنة 449هـ-1057م[2]، ونقشت في الوجه الأوّل الآية القرآنية:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَل مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [3] أمّا الثاني : لا إله إلا الله! محمد رسول الله! [4]، وفي سنة 446هـ-1054م وسنة 447هـ-1055م ضرب ديناران بالمهدية التي كان عاملا عليها تميم بن المعز تحمل العبارة التالية" ضُرب في مدينة عزّ الإسلام والقيروان" وهي نفس العبارة المنقوشة على باب صبرة، وضربت قطعة أخرى بالقيروان سنة 448هـ-1056م[5]، وقد تكون هذه المراحل السبب في الاختلاف بين المؤرخين في تاريخ القطيعة.

---

[2] Sur le retour, Op., Cit., p29 ؛ وأيضا أنظر: . Launois, Op., Cit., p140

[3] سورة أل عمران، الآية85.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص278.

[5] روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص23-231.

ثانيا: المذهب المالكي في الدولة الحمادية

1 - صدى القيروان في القلعة

تنسب القلعة[1] إلى دولة بني حماد من آل زيري، وقد بناها حماد بن بلكين بن زيري[2] سنة 398هـ- 1007م[2]، في عهد باديس بن منصور بن بلكين بن زيري، ولها تسميات عدة: قلعة أبي طويل، قلعة بنو حماد، والقلعة، وتقع " بجبل كتامة"[3]، أو جبل عجيسة، نقل إليها حماد أهل المسيلة وحمزة (البويرة) بعدما خربهما، وجلب أيضا جراوة من المغرب الأقصى، شيد فيها بنايات ووضع أسوارا، واستكثر بها المساجد والفنادق[4]، وكان القصد إليها من أقاصي الأقطار، من طلبة العلم وأصحاب الصناعات والحرف، واستمرت إمارة حماد على الزاب والمغرب الأوسط أيام باديس بن منصور، وقد حاصر المعز بن باديس القلعة سنتين لاختلافه مع القائد بن حماد الأمير الثاني للدولة الحمادية سنة 432هـ-1040م [5]، وخوفا من زناتة بقي يتنقل بين مدينة آشير والقلعة والسبب في ذلك حربه ضد زناتة[6].

وبعد إعلان المعز بن باديس القطيعة للفاطميين وتأييده للخليفة العباسي القائم بأمر الله، عزم الوزير الفاطمي أبو الحسن علي اليازوري[7]، على تهجير القبائل العربية من

---

(1) إنّ النصوص التاريخية التي وصلت إلينا تعلمنا بأن القلعة تأسست سنة 398هـ-1007م، وأما عن السبب الذي من أجله بنيت وكيف؟ فهي عبارة عن معلومات عامة، (البكري: المصدر السابق، ص49؛ الإدريسي: المصدر السابق، ص117)؛ وقد تطرق الباحث علاوة عمارة في كتابه دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي: في مقاله: قلعة بني حماد نشأة وأفول حاضرة إسلامية عن الدراسات التي تناولت موضوع القلعة،(ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، من ص83وما بعدها من عدة صفحات) .

(2) هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي اتصف بالشجاعة، درس الفقه نظر في كتب الجدل في القيروان، بنى قلعة بنو حماد والتي أخذت إسمه، توفي في رجب سنة 419هـ - 1028م(أنظر: ابن الخطيب (لسان الدين الوزير الغرناطي): القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص85-86؛ H.R. Idris, art. «Hammadides », dans le E. I, T. 3, p140

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص227.

(3) نفسه، وظهر اسم قلعة بني حماد لأول مرة تحت اسم قلعة كتامة في النسخة الخطية المنشورة للسجلات المستنصرية، واسم قلعة كيانة في مخطوط مكتبة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن(أنظر: علاوة عمارة: المرجع السابق، من ص83 وما بعدها من عدو صفحات).

(4) ابن خلدون، ج6، ص227.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص275؛ ابن خلدون، نفس المصدر، ج6، ص210.

(6) ابن خلدون، نفس المصدر، ج6، ص227.

(7) تولى الوزارة سنة 442هـ-1050م ولقبه الحاكم الفاطمي المستنصر ب:" الوزير الأجل المكين، سيد الوزراء، وتاج الأمراء، قاض القضاة، وداعي الدعاة..." ، ولم يكن من أهل الوزارة ولا من الكتاب، فقد كان من أهل الزراعة والفلاحة بالشام(أنظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص210؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211).

بني هلال وبني سليم من الصعيد بمصر إلى إفريقية[1]، لتأديب المعز بن باديس، الذي كان يخاطبه بهويته لا بوزارته. وأرسل المستنصر كتابا إلى المعز بن باديس يرغبه ويرهبه بقوله:" هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء..." وتوعده بإرسال الجيوش فقال له المعز:" إنّ آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليه من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم[2].

وعد الخليفة الفاطمي المستنصر العرب القيروان أن أحرزوا النصر وأمرهم :" بالعيث والإخراب"[3]، فدخل العرب المغرب من ناحية برقة سنة 443هـ- 1050م، واستمر الهلاليون في السير نحو افريقية فدخلوها سنة 443هـ -1051م فقلل المعز بن باديس من خطورة زحفهم، وأراد أن يستعملهم ضد بني حماد[4]، وأخرج إليهم بعض الفقهاء ومعهم مكاتبات وشروط ووصيا" فأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع إلى الطاعة"[5] ، لكنهم لما صادفتهم أوّل قرية اعتقدوا أنها القيروان فاتجهوا نحوها[6].

جمع المعز من جيشه ثلاثين ألفا فارس ومثلهم من الراجلين وسار بهم إلى حيدران[7]، أما عدد فرسان العرب فثلاثة ألاف فارس، فدار القتال بينهما وانتهت المعركة بهزيمة المعز في " يوم العين"[8] فدخلوا القيروان، وانتهبوها واغتنموا الخيل، والعدة، والأموال... وقال فيهم الشاعر علي بن رزق قصيد، أحد أبياتها:

ثلاثون ألفا منكم هزمتهم   ثلاث ألاف إن ذا لَمُحال[9]

وباغتهم المعز مرة ثانية وهم في مصلى القيروان مقيمين للصلاة فانقطعوا عنها وقاتلوه فغلبوه[10]، فأشار المعز على رعيته بالانتقال إلى المهدية لعدم قدرته على

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص288؛ وللمزيد عن الهجرة الهلالية (أنظر: علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب، في دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص7 وما وما بعدها من عدة صفحات؛ وأنظر أيضا: B. Alfred, Op, Cit., p. 199.).

[2] النويري، المصدر السابق، ج24، ص210.

[3] نفس المصدر ، ج24، ص211.

[4] نفسه؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص288.

[5] ابن عذاري، نفس المصدر ، ج1، ص289.

[6] نفس المصدر .

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص211 ؛ النويري ذكرها " حندران" (المصدر السابق، ج24، ص214).

[8] سمى النويري ذلك اليوم ب" أبا العين" (نفس المصدر ، ج24، ص211).

[9] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص290؛ وذكرها النويري " غلبتهم" (نفس المصدر ، ج24، ص215).

[10] النويري، نفس المصدر ، ج24، ص216.

حمايتهم، وبدأ الناس ينتقلون إليها حتى سنة 449هـ- 1057م [1]، فهدم العرب" الحصون والقصور، وقلعوا الثمار، وخربوا الأنهار..." [2].

وانتقل الكثير من أهل القيروان إلى ناحية بني حماد بالمغرب الأوسط فتحصنوا بالقلعة لكونها تقع في جبال وعرة تمنع العرب من اختراقها ولكونها أمنع الحصون[3]، فأصبحت القلعة عامرة بهم، وكثرت بها الأموال، وأخذت القلعة مكانة القيروان[4]، بعد الخسارة التي تلقتها من العرب الهلاليين، وبعد وفاة المعز بن باديس خلفه ابنه تميم، فبلغه أنّ الناصر بن علناس يغتابه في مجلسه ويذمه وأنّه عازم على المسير إليه فيحاصره بالمهدية، فدار بينهما قتال سنة 457هـ- 1065م.

وأقنع تميم بن المعز العرب بالخطر الذي سيواجهه من الناصر بن علناس وأنّه لا يريد حصار المهدية وقال لهم:"أنتم تعلمون أنّ المهدية حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبرحة يحميها أربعون رجلا..."، [5] فزودهم بالمال والسلاح، فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر[6]، وتحالف مع الناصر بن علناس صنهاجة وزناتة وبني هلال، والأثبج وعدي[7] أما تميم بن المعز فتحالف مع رياح وزغبة وسليم، فالتقى الجمعان في سبيبة[8] بين تبسة والقيروان فانهزم الناصر بن علناس نتيجة لاختلال التحالف ومؤامرة تميم ضده مع العرب فاتجه نحو قسنطينة وتقاسمت العرب ما غنموه وأعطوا تميما الطبول والبوقات والفازات بأبغالها[9]، فردها إليهم ولم يقبلها، فملكت العرب البلاد وأصبحوا أغنياء بعدما كانوا فقراء.

وبعد الأحداث التي شاهدتها القيروان ثم القلعة من بعدها، بدأت القلعة تفقد مكانتها السياسية، وبنيت بجاية على الساحل لعدة أسباب منها التحصن من خطر العرب الهلاليين بعد معركة سبيبة[10] وهو السبب المتفق عليه بينهم جميعا، أما السبب الأخر فهو السيطرة

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص217؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 294.
[2] البكري، المصدر السابق، 39؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص297.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق،ج ، ص372.
[4] النويري، المصدر السابق، ج24، ص217.
[5] نفس المصدر، ج24، ص221؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص372.
[6] نفسه.
[7] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص299.
[8] ذكرت " سبتة" عند ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص373؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230.
[9] النويري، المصدر السابق، ج24، ص223.
[10] علاوة عمارة، المرجع السابق ، ص89؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص99.

على التجارة البحرية، ففي القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي) وحسب وصف البكري :" مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب".[1]

وبعد وفاة الناصر بن علناس خلفه ابنه المنصور (481-498هـ/1089-1105م)[2] الذي بقي في القلعة ثلاث سنوات شُيِّد فيها عدة قصور قبل أن يشيد قصور بجاية والجامع الأعظم، وهذا الانتقال لم يكن له الأثر البالغ في ازدهار القلعة لبقاء عناصر من الأسرة الحمادية فيها لحماية ممتلكاتها[3].

2 - بنو حماد والمذهب المالكي

لم يرغب أهل المغرب في الدعوة الشيعية، فعمل كل من الفقهاء والعامة[4] على استئصالهم بشتى الأساليب، فمنهم من رأى في التعليم والجلوس للدرس، طريقة لمحاربتهم، فقد جلس أبو إسحاق الجبنياني لتعليم صبيان كتامة دون مقابل فتخرج كل واحد منهم وأصبح عالما[5]، ومنهم من اختار التقتيل.

فلما أظهرت الشيعة الفساد وأضروا الناس في المسيلة وأشير[6]، قام حماد بارتكاب مجازر ضدهم ولاحقهم في بلاد المغرب، وامتدت هذه المجازر إلى القيروان والمهدية[7]، وكسبوا هذه الشرعية من الفقهاء المالكية[8]، والسلطة الصنهاجية[9]، وليخمدوا نار الفتنة قام المعز بن باديس بقتل فقيه من زعماء السنة هو أبو علي بن خلدون الذي كان أشد على أهل البدع والروافض، يلجأ إليه أهل السنة ويستندون إلى أقواله[10]. ولما زاد في اشتعال نار الفتنة، جاء برجلين وقال أنّهما من قتلا الفقيه أبا علي بن خلدون[11].

---

[1] وذكر البكري أنّ أبا يزيد مخلد بن كيداد تحصن بها عند ملاحقته من طرف القائم بأمر الله الفاطمي (المصدر السابق، ص49)؛ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص89.

[2] أنظر عنه ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 94؛ H.R. Idris, art. «Hammadides », dans le E. I, T. 3, p141

[3] علاوة عمارة ، المرجع السابق، ص89.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص625.

[5] نفس المصدر، ج4، ص516.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص209.

[7] أبو طاهر الفارسي، المصدر السابق، ص143؛ المالكي، المصدر السابق(ط. القاهرة) ، ص21؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص625.

[8] نفس المصدر، ص156؛ القاضي عياض، نفس المصدر ، ج4، ص712-713.

[9] القاضي عياض، نفس المصدر ، ج4، ص619.

[10] نفس المصدر ، ج4، ص624.

[11] نفس المصدر ، ج4، ص626.

أما حماد فقد كان رجلا قوي النفوذ وصعب المراس، درس الفقه بالقيروان، وقرأ كتب الجدل، وكان محافظا على السنة، فقد روى عنه ابن حزم أنّه كان يصوم رجب وشعبان ولا يشرب الخمر[1]. ما جعله قويا فعلت مرتبته أمام بني عمومته من أبناء زيري فسعوا إلى باديس حتى فسدت العلاقة فيما بينهم، فطلب منه أن يسلم عمل تيجس وقسنطينة لابن المعز بعد ما قلد الحكم ولاية العهد لابنه[2]، بعدما كان قد اتفق معه على أنّه كلما فتح مدينة يتولاها هو، رفض حماد طلبه وخالف باديس فقتل الرافضة وأظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة[3]، وعاد إلى دعوة العباسيين وذلك سنة 405هـ- 1015م، ثم حارب باجة فدخلها ودس إلى أهل تونس بالقيام بثورة ضد المشارقة(الرافضة)، فلما علم باديس خرج إليه وخالف أصحابه ضده، ففر حماد وأخذ باديس أشير، وثار ضده أهل المعسكر، وحاصر باديس المسيلة بينما هو يسير نحو القلعة، فحاصره فيها، حتى أرسل له ابن القائد بهدية إلى المعز ليطلب منه الصلح، فأرسل المعز من يقف على صحة أمره وصدق نواياه، ولما تأكد منه حصل بينهما الاتفاق ، وكتب منشورا لأبنه القائد بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمة وبلزمة وسوق حمزة... وذلك سنة 408هـ-1017م [4] وفي سنة 419هـ-1027م توفي حماد وخلفه ابنه القائد الذي كان جبارا[5].

زحف المعز بن باديس إليه االقائد وحاصره سنة 434هـ-1042م فحاصره مدة طويلة لما علم بقطيعته للفاطميين، فصالحه القائد وبعدها ثم رجع القائد إلى طاعة العبيديين لما لقاه من المعز[6]. إن الرجوع إلى طاعة العبيديين كان في الظاهر فقط، فالفقهاء المالكية كانوا في تزايد مستمر هذا يفسر بانتشار المذهب المالكي في معظم مدن المغرب الأوسط خاصة في بجاية التي عرف فيها الاستقرار النهائي للمذهب المالكي.

من خلا قراءتنا للمصادر التي أرخت للدولة الحمادية كانت قليله مقارنة مع الزيريين وغيرهم، تمثل هذه المعلومات خاصة الجانب السياسي في علاقتهم مع الزيريين أو محاربتهم للزناتة، أما الجانب الثقافي فقد مثله الفقهاء المالكية خاصة بمنعزل عنهم، فكتب

---

[1] ابن حزم، الرسائل، المصدر السابق، ج2، ص91.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص228؛ وانظر الملحق (10).

[3] نفس المصدر ، ج6، ص229.

[4] النويري، المصدر السابق، ج24، ص206.

[5] نفس المصدر ، ج24، ص208.ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص229.

[6] ابن خلدون، نفس المصدر ، ج6، ص229.

التراجم مليئة بمعلومات عنهم وعن علاقتهم بالعامة أو بالعلماء مشرقا أو مغربا وحتى بعلاقتهم مع حكام الدولة الزيرية، وخير مثال على ذلك ابن أبي الرجال والحسن بن الرشيق وغيرهم فنجد هذه العلاقة بالحكام الحماديين منعدمة أو أنّ المصادر غير متوفرة ولم تصلنا.

لكن الشيء الذي لا يجب أن ننكره هو الحرية والتسامح التي أعطتها الدولة للفقهاء المالكية في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) و القرن الخامس والنصف الثاني من القرن السادس، الذي بدا ظاهرا في الإنتاج الفكري والعلمي للعلماء عامة من فقهاء وأدباء وشعراء وأطباء وغيرهم.

إنّ اهتمام الحماديين بالسياسية هو طموحهم في التوسع بنفوذهم أكثر في بلاد المغرب، فقد وصلوا إلى مدينة تونس شرقا وإلى مدينة تلمسان غربا[(1)]. ومن ناحية معاملتهم مع الفقهاء وردت رواية وحيدة عند ابن عذاري أيام الفتنة التي كانت بين حماد وباديس وملاحقة هذا الأخير لحماد في مدينة دكمة، فقد نقم على أهلها وقتل منهم ثلاث مائة رجل فخرج إليه الفقيه أحمد بن ثوبة، فخوفه بالله ووعظه وقال له:" يا حماد إذا لقيت الجموع هربت منها، وإن قاومتك الجيوش فررت عنها! وإنما قدرتك وسلطانك على أسير يكون في يديك، لا ناصر عليك! "، فلما سمع كلامه أمر بضرب عنقه، وفعل نفس الشيء مع شيخ صالح وجماعة من التجار الغرباء[(2)].

3 - دور الفقهاء المالكية في استقرار الحكم الحمادي

لم تكن الدولة الحمادية تحكم وحدها المغرب الأوسط ، فقد كانت للفقهاء المالكية مشاركة غير مباشرة، تقلد بعضهم مناصب عالية في الدولة، فالفقيه أبو القاسم ابن عبد الملك بُعث رسولا من طرف القائد ابن حماد الصنهاجي سنة 438 هـ-1046م إلى ابن عمه المعز بن باديس، فخاطبه فأبلغ فأحسنه وألطف، فلقي مسرة من السلطان،[(3)] فقد يكون استعمل أسلوب الخطابة الذي لا يحسنه إلاّ من وُصف بفقه وورع مثله، فالفقيه لم يكن يهمه المال بقدر ما يهمه خدمة من يمثل المذهب المالكي، فالفقهاء كانوا يتطوعون لهذه المناصب، فنفقة سفرهم وإقامتهم من مالهم الخاص. كما شغل الفقهاء من المغرب

---

(1) علاوة عمارة: مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف في الجزائر الحمادية، المرجع السابق، ص102؛ وانظر ا
(2) المصدر السابق، ج1، ص264؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص151.
(3) القاضي عياض، المصدر السابق،ج 4، ص779.

الأوسط منصب القضاء كعلي بن أحمد البوني، كان قاضيا على مدينة صبرة(المنصورية) في إفريقية في ولاية المعز بن باديس.[1]

وفي الدولة الحمادية لم تقتصر المناصب على أهل بجاية دون غيرهم، فمنهم -على سبيل المثال لا الحصر- الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن دليم (ت.351هـ-1059م) من أهل قرطبة. واستمرت الدولة الحمادية على هذا المنوال في تنصيب قضاة مالكية، فقد بذلوا مجهوداهم في نشر تعاليم المذهب المالكي في المغرب الأوسط.

وجُعلت رئاسة الفقهاء لأحد منهم وهو أبو حفص عمر بن أبي الحسين بن الصابون فأصبح بمثابة رئيس المدرسة المالكية بالمنطقة [2]، كما يعود الفضل إلى فقهاء بجاية والذين تتلمذوا عنهم، منهم الفقيه فضل بن سلمة البجائي (ت. 319هـ-931م)، بدوره تفقه عن جماعة من أصحاب سحنون، كان يُرحل إليه للسماع منه، والتفقه عنه، قال محمد ابن عيسى عنه " ما علمت أنّ أحدًا تقدّمه بالقيروان بالحظ"، وقال أبو محمد بن حزم الظاهري عنه:" كان من أعلم النّاس بمذهب مالك" [3]، والفقيه سعيد بن عثمان بن منازل من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)يعرف بابن الشقاق[4]، كان لا يشغله عن منصبه كقاض، إلاّ الدّرس أو المناظرة في المذهب مع الفقيه أحمد بن واضح وغيره[5]، والقاضي عبد الله بن محمد (ت.351هـ-1059م)[6] وغيرهم.

عند استقرائنا لتاريخ وفاة فقهاء بجاية نجد أغلبهم من القرن الرّابع الهجري (العاشر الميلادي)، أي أنّ مدينة بجاية كانت تعج بالمذهب المالكي بفضل فقهائها قبل إعلان القطيعة للفاطميين، وقبل استقلال الحماديين عن بني أعمامهم من بني زيري.

فبجاية كانت مقصدا للفقهاء من بلاد المغرب، ومن الوافدين عليها من الأندلس، فقد ذكرت كتب الطبقات والتراجم ذلك خاصة الفقهاء الذين أخذوا العلم عن فقهاء المالكية من المغرب الأوسط، كفضل بن سلمة وأبو نصر الداودي وغيرهم، فالفقيه محمد بن عيسى

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص197.
[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص779؛ علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 134.
[3] أنظر: الفقهاء المالكية الذين استوطنوا بجاية في القرن الرابع والخامس الهجريين (العاشر الحادي عشر الميلاديين) في الجداول.
[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص445.
[5] نفس المصدر ، ج3، ص445-446.
[6] نفسه

بن محمد بن عبد الله بن خير الفزاري الذي سمع ببجاية من فضل بن سلمة وغيره [1]، وأبو عبد الرحمن المعروف بالعجوز السبتي، من أجل فقهاء بلده، كانت له رياسة في العلم، ويعتبر ممن ساهموا في نشر المذهب المالكي في المغرب الأقصى، وإليه كانت الرحلة في زمانه، تفقه عن الفقيه أبو عمران بن أبي سوار من قلعة بني حماد[2]. وسبقهم الزواوي الذي سمع من الإمام مالك، وبعده بكر بن حماد التاهرتي الذي سمع من سحنون ابن سعيد، وأخذ عنه أبو العرب صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية المشهور، إذن لا نستبعد من أنّ فقهاء المغرب الأوسط لعبوا دورا هاما في نشر المذهب المالكي بداية من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، كما لا يستبعد فضلهم في استقرار الحكم الحمادي بالمغرب الأوسط وما كتبته المصادر إلا دليلا قاطعا.

4 - أهم فقهاء المالكية في الدولة الحمادية

من المعلوم أنّ حكم الزيريين في المغرب لم يكن شيعيا مطلقا، فقد غلب عليه الطابع السياسي ما جعلهم ينجحون في بقائهم في الحكم مدة أطول لولا القطيعة التي أدت إلى زحف الهلاليين نحو إفريقية وما وراءها[3].

ولم يستطع الشيعيون القضاء على المذهب المالكي منذ دخولهم المغرب، فقد قاومهم الفقهاء المالكية والعامة، فمنهم من أراد أن تكون هذه المقاومة سلمية بمقاطعتهم، أو الفرار إلى مدن المغرب أو المشرق، أو بالتأليف في المذهب المالكي وبيان ما يعارض فيه مبادئ الشيعة. ومنهم من وجد في المقاومة الدموية السبيل الأنجع للقضاء على هذه الحركة التي لا تمت للإسلام بأية صلة.

شهدت مدن المغرب الأوسط منذ القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) عددا من الفقهاء الذين بفضلهم انتشر المذهب المالكي، وكان تمركزهم خاصة في مدن الزاب كالمسيلة وبسكرة ومدينة الرستميين تاهرت. أما في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فشهد ازديادا نسبيا في عددهم مع توسع هام شمل بعض المدن، فبالإضافة إلى مدن الزاب الأولى، عاصمة طبنة، ومدن ساحلية كوهران وتنس وبجاية، فهذا التزايد

---

[1] القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص444.

[2] نفس المصدر، ج4، ص778، 721..

[3] الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص196-197؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص291.

مستمر ولوحظ خاصة في فترة وجود الفاطميين وقبل رحيلهم إلى مصر وتاريخ وفاة الفقهاء يثبت ذلك.

أما في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر ميلادي) فاحتلت قلعة بني حماد الصدارة من حيث عدد الفقهاء المالكية فيها سواء كانوا من أبنائها أو من اللذين استوطنوها. بهذه القرائن نستطيع أن نقول إنّ ازدهار الحركة العلمية في الدولة الحمادية هو امتداد منذ القرون السابقة.

لقد أخذت العلوم الدينية مكانة فيها، فالمذهب المالكي كان يتصدر كل المذاهب السنية في بلاد المغرب، والسبب في ذلك الرّعاية التامة من فقهاء المغرب الأوسط أنفسهم، فبعضهم رحل إلى مدن المغرب الأخرى أو إلى المشرق للاستزادة من العلم ومنهم من بقي فيها ومنهم من عاد إلى بلده واستقر فيه حتى وافته المنية. أو من الذين استوطنوها وكان لهم دور ريادي في نشر المذهب المالكي واستقرار بها.

ومن فقهاء المغرب الأوسط الذين سكنوا قلعة بني حماد، عتيق بن محمد أبو بكر الردائي(ت.5هــ-11م) من قلعة بني حماد، كان شيخ القراء بالقلعة، له عدة رحلات، قرأ على الأهوازي (ت.446هــ- 1054م)بدمشق، وبمصر على ابن النفيس (ت453هــ-1061م)[1]، والفقيه أبو عثمان بن أبي سوار، من قلعة بني حماد، تفقه على شيوخ المغرب الأوسط، كما تفقه على الفقيه عبد الرحيم بن العجوز (ت.413هــ-1022م)[2] من شيوخ سبتة الذي انتشر على يده مذهب الإمام مالك بن أنس والذي طلب العلم بافريقية والأندلس ولازم محمد بن أبي زيد القيرواني خمس سنين وتفقه عن دراس [3].

والفقيه أبو القاسم بن أبي مالك من قلعة بني حماد، كان رسولا من طرف القائد حماد إلى المعز بن باديس سنة 338هــ-949م، ولحسن خطابه لقي مسرة عند السلطان وقام بهذه المهمة على نفقته الخاصة.[4]

---

[1] عادل النويهض، المرجع السابق، ص109.
[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص778.
[3] نفس المصدر ، ج4، ص778 و721.
[4] نفس المصدر ، ج2، 779.

والفقيه أحمد بن أبي يعلى الحمادي عربي الأصل (ت.5هـ-11م)، تفقه عنه كل من أبي عمر أحمد بن سعدي وأبي عبد الله الحسين بن أبي العباس عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي، من أصحاب محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي[1] .

والفقيه أبو حفص عمر بن أبي الحسين الصابوني (ت.5هـ-11م) من قلعة بني حماد، كان لا يضاهيه أحد في زمانه، فانفرد برئاسة جهته، وهو من الفقهاء المكثرين للمناظرات مع فقهاء القلعة وغيرهم. [2]

والفقيه أبو الفضل بن محمد المعروف بابن النحوي (ت.513هـ-1119م) التوزري،[3] من قلعة بني حماد تفقه عنه كثيرون ذكرتهم كتب التراجم والطبقات، تلقى علمه بالقلعة ثم انتقل إلى القيروان فأخذ عن فقهائها حتى استقر بعدها في القلعة يلقي الدروس على تلاميذته، وكان من أشهرهم عبد الله بن محمد بن علي المعروف بابن الرّمامة(ت.567هـ-1171م) من أبناء القلعة[4]، كان هذا الأخير رئيس المفتيين بفاس[5]، له عدة كتب أشهرها " تسهيل المطلب في تحصيل المذهب"و " التبيين في شرح التلقين"، وكان ابن النحوي مشهورا في بلاد المغرب فقد قال عنه أبو عبد الله محمد بن حماد:" ابن النحوي في بلادنا بمنزلة الغزالي في الشرق في العلم والعدل"، وتتلمذ على فقهاء منهم، اللخمي، والمازري، والرّبعي، والشقراطي، إضافة لكونه فقيها متخصصا في العلوم الشرعية فهذا لا يمنعه من أن يكون شاعرا صاحب قصيدة "المنفرجة" المشهورة

اشتـــدي أزمـــة تنفرجـــي　　　قـــد آذان ليـــلك بالبلـــح

قال عنه الحافظ ابن حرزهم:" أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل متى لقيته ولو لقيته في اليوم مائة مرة".[6]

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق ، ج4، ص621-622

(2) نفس المصدر، ج4، ص778.

(3) روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص374؛ وانظر أيضا: Idris R.H. : Le crépuscule de l`école malikite Kairouanaise fin de(XI siècles),dans les cahiers de Tunisie, N16, 1956, p501-502.

(4) هو محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي، يكنى أبا عبد الله ، أصله من قلعة حماد نشأ بها روى بها عن أبي إسحاق إبراهيم بن حماد وعن خاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشرة ، رحل إلى الأندلس سمع عن علي أبي يحي، وأخذ عن أبي الوليد، وأبي محمد بن عتاب، وابن رشد وغيرهم، وروى بمقرة عن أبي محمد عبد الله المقري، وعن ابن النحوي وأبي حفص التوزري عدة مؤلفات، كان قاضي على فاس، ولد في رجب سنة تسع وسبعين ومائة(أنظر: ابن بشكوال،الذيل والتكملة، ج8، ص502-503).

(5) الذيل التكملة، المصدر السابق، ج8، ص502 -503 ؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص259.

(6) ابن مخلوف، المصدر السابق، ص185.

وقصدها طلبة العلم من الأندلس ومن مدن أخرى، أشهرهم من الأندلس أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري(ت.450هـ-1048م) من أهل قرطبة رحل إلى القيروان فأخذ عن علمائها روايتهم وتآليفهم، وانتقل في الأخير إلى قلعة بني حماد، كثرت رحلاته مشرقا، ومغربا، حتى توفي فيها.[1]

وفي القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي) وبعد انتقال أصحاب القلعة إلى بجاية الحمادية انتقل معهم الفقهاء المالكية وأصبحت بجاية مركزا مشعا يُستقطب فيه العلماء من جميع الأمصار. فكانت تعطي الإجازات للفقهاء من الذين يرحلون إليها، منهم الفقيه يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف (ت.492هـ -1098م)، فقد أجاز له الفقيه من قلعة حماد أبو القاسم الجليل بن أبي بكر الربعي القيرواني وذلك في سنة 478 هـ-1085م.[2] ومن فقهائها أحمد بن واضح تفقه عن فضل بن سلمة، حافظا للفقه المالكي، يحسن المناظرات، أديبا، تفقه في القيروان على شيوخها، له عدة رحلات إلى المشرق[3]. والفقيه عبد الملك بن سياخنح من أصحاب فضل بن سلمة، حافظا للفقه متصرفا فيه، له رحلة إلى المشرق، أخذ العلم فيها وناظر ابن الحارث فيه.[4] ومن الفقهاء المالكية من سكن بجاية أو كان أحد قضاتها منهم الفقيه سعيد بن عثمان بن منازل من مدينة البيرة بالأندلس يعرف بابن الشقاق له سماع من فضل بن سلمة وابن فحلون وبالبيرة من ابن فطيس وابن عمر، فقيها، حافظا، عالما، لا شغل له إلا الدرس أو المناظرة، اشتهر في بجاية هو والفقيه أحمد بن مناصح،[5] كما تفقه ابنه عثمان بن سعيد(ت.464هـ-1071م) من فضل بن سلمة، وابن فطيس عثمان بن جرير وغيرهم[6].

ومن فقهاء المالكية من مدن المغرب الأوسط الأخرى على سبيل المثال لا الحصر، أبو مروان عبد الملك بن زيادة الطبني (ت.456هـ-1063م)،من قرطبة من بيت علم ونباهة وأدب وخير وصلاح، وأصلهم من طبنة، دخلوا الأندلس قديما[7]، ومن مدينة بونة

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق،ج1، ص59؛ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص260.

[2] الذيل والتكملة، ج8، ص430؛ وأنظر أيضا: .Deux juristes, Op, Cit., p. 189

[3] القاضي عياض، المصدر السابق، جج4، ص445-446.

[4] نفس المصدر ، ج4، ص446؛ وورد اسمه ابن سابح(الديباج المذهب، المصدر السابق، ص258)؛ وابن سياخنج (أنظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص224).

[5] نفس المصدر ، ج4، 445.

[6] نفسه.

[7] ابن حزم، الرسائل، ج1، ص260؛ ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص360؛ وأنظر أيضا: Deux juristes, Op, Cit., p.193.

مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني(ت.قبل440هـ-1048م) استقر فيها[1]، وبعد عودته من رحلاته مغربا ومشرقا، لازم أحمد بن نصر الداودي وتفقه عنه، وروى عنه أبو القاسم حاتم الطرابلسي وأبو عمر بن الحذاء وغيرهم، وهو من الفقهاء الذين يُشهد لهم بالحظ والتفقه.[2]

والفقيه عمر بن عبيد الله بن زاهر الأندلسي (ت.456هـ-1063م) [3]، ممّن استوطنوا بونة، روى عنه أبو عمران الفاسي، وأبو القاسم إسماعيل، وعن مروان بن علي الأسدي، فحين ذكره أبو مروان عبد الله بن زيادة الله الطبني ضمن شيوخه الذين لقيهم في المشرق وأثنى عليه[4]، عكف على التدريس والتأليف إلى أن توفي، له كتاب "تفسير الموطأ" قال أبو محمد بن عتاب:"ولي فيه زيادات"[5].

والفقيه علي بن محمد من مدينة تدمير بالأندلس، بعد رحلته إلى مدن المغرب والمشرق عاد إلى بونة واستقر فيها إلى أن توفي، تفقه عن ابن اللباد في القيروان، ومن مصر من جعفر بن عبد السلام البزاز، له كتب كثيرة دونها عن الذين رواها عنهم[6].

والفقيه المازري المعروف بالذكي[7] ت. 512هـ- 1118م الكتاني الإشبيلي سكن قلعة بنو حماد ثم رحل إلى العراق ثم إلى إصفهان، وفترة وجوده بالقلعة تعلم عن فقهائها وعو فقها القيروان منهم كسيوري الذي قال عنه أنّه :" أحفظ ما رأيت"، وكان عبد الله بن داوود يقول عنه:" شيخنا الذكي أفقه من أبي عمران الفاسي ومن كل مالكي ..." وفضله حتى على إسماعيل بن إسحاق القاضي.[8]

ومن مدينة المسيلة أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي (ت.431هـ-1039م)، من المتعففين والمتواضعين، حافظا للمسائل، دخل الأندلس، وولي الشورى في قرطبة، وهو من جلة مفتيها إلى أن توفي هناك[9]، والفقيه أبو محمد عبد الله بن حمو المسيلي(ت.473هـ-1080م)، من المقرئين في مدينة المريّة بالأندلس، حافظا

---

(1) القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص710.
(2) ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص170؛ الضبي، المصدر السابق، ص402؛ الحميدي، المصدر السابق، ص321.
(3) ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج2، ص398.
(4) نفس المصدر ، ج2، ص398.
(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21؛ عادل النويهض، المرجع السابق ص172.
(6) القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص355.
(7) الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص 203.
(8) نفسه؛ Le crepuscule de l`ècole Malikite, Op, Cit., p. 505.
(9) نفس المصدر ، ج4، ص716؛ عادل النويهض، المرجع السابق، ص69.

للفروع والأصول، وذكر ابن بشكوال أنّ القاضي عياض جعله "من قضاة سبتة وفر منه".[1]

ومن مدينة وهران الفقيه عبد الرحمن بن خالد البجائي الوهراني عالما بالحديث والرواية، رحل إلى العراق إلى مدن أخرى[2] ، والفقيه يحي بن عبد الله بن محمد ابن يحي القرشي الجمحي الوهراني(ت.430هـ-1038م) روى عن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي وابن العطار.[3]

زاد عدد الفقهاء المالكية في بجاية الحمادية حتى بعد المائة الخامسة، من أهلها أو ممّن أخذوا عن فقهائها، ونذكر منهم الفقيه موسى بن حماد الصنهاجي (ت.535هـ-1140م) تولى القضاء في مراكش وغيرها، كان فاضلا عادلا في أحكامه له رواية عن ابن النحوي [4]، محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشر الأنصاري سكن غرناطة، له عدة رحلات سمع في الإسكندرية من أبي عبد الله الرازي وأبي بكر الطرطوشي و بمكة من أبي الفتح ، أقام ببجاية سنة 537هـ-1142م وحدث بها[5]، وأبو إسحاق إبراهيم بن حماد، حدث عنه أبو عبد الله بن الرمامة[6]، القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي (ت.550هـ-1155م)، اختار بجاية موطنا له، ألف بها وصنف الدواوين وولى الخطبة وصلاة الجماعة، وجلس للوثيقة والشهادة، وولي قضاء بجاية مدة قليلة[7]. وأبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي ، جمع بين العلم والعمل والورع له مصنفات، له كتاب " التذكرة في أصول علم الدين"، وكتاب " النبراس في الرد على منكر القياس"، وكتاب"التفكير فيما يشمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" سلك فيه مسلك أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء و به سُمي بأبي "حامد الصغير"، وقد أدرك ببجاية وحدها تسعين مفتيا[8].

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص298؛ عادل النويهض، نفس المرجع ، ص100.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص316.

[3] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص666.

[4] نفس المصدر ، ص614.

[5] ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي: منشورات الهيئة العامة المصرية، 2008م، ص144.

[6] نفس المصدر ، ص61.

[7] الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن بن عبد الله، ت714هـ-1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن شنب، دار بصائر، 2007م، ص18 وما بعدها.

[8] وفي رواية أخرى سبعين (نفس المصدر السابق، ص13 وما بعدها).

الفقهاء المالكية في المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
عبد الرحمن بن خالد البجائي الوهراني	411هـ- 1020م	وهران	لا يوجد	الحميدي، جدوة المقتبس، ص316.
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداي الوهراني	411هـ -11م	وهران	قرطبة- العراق وغيرها	الحميدي، جدوة المقتبس، ص256؛الضبي، بغية الملتمس، ص319؛ ابن بشكوال،الصلة، ج1 ص311 وما بعدها ؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص386؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص86.
عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرون الوهراني	حيا سنة 429هـ-1037م	وهران	الأندلس	عادل النويهض، أعلام الجزائر ، ص106-107؛ ابن بشكوال، الصلة،ج1، ص298.
يحي بن عبد الله بن محمد ابن يحي القرشي الجمحي الوهراني	430أو431هـ/ 1038-1039م	وهران	لا يوجد	ابن بشكوال، الصلة،ج2، ص666.
أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي	431 هـ - 1039م	المسيلة	قرطبة	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص716؛عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص69.
أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي الطرابلسي	440 هـ - 1048م	المسيلة	طرابلس- تلمسان	ابن فرحون، الديباج المذهب، ص164
فتوح بن غزال الباغاني	446هـ- 1054م	باغاية	القيروان	القاضي عياض، ترتيب المدارك،ج4، ص777.
يحي بن عيسى بن علي بن محمد ابن أحمد المري أبو الحسن المعروف الصيقل	450هـ - 1058م	تلمسان	المرية	ابن الأبار، المعجم، ص322.

أبو مروان الطبني عبد الملك بن زيادة الله الطبني	456هـ- 1063م	طبنة	الأندلس- المشرق- القيروان	الضبي، بغية الملتمس، 330، 331؛ الحميدي، جدوة المقتبس، 265-266؛ ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص360وما بعدها؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص21.
الحسن بن الرشيق أبو علي	463هـ- 1071م	المسيلة	القيروان- الأندلس	عادل النويهض: أعلام الجزائر، 62.
يوسف بن علي بن جبارة بن محمد أبو القاسم	465هـ - 1072م	بسكرة	اصبهان- بغداد-	عادل نويهض، أعلام الجزائر، ص207؛ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج3، ص324 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص422 ؛ ابن بشكوالالصلة، ج2، ص680
أبو محمد عبد الله بن حمو	473هـ - 1080م	المسيلة	المرية - سبتة	ابن بشكوال،الصلة، ج1، ص298؛ عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص100.
أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي	513هـ - 1119م	قلعة بني حماد	لا يوجد	ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص185.
عتيق بن محمد	5هـ- 11م	قلعة بني حماد	دمشق، مصر	عادل النويهض، أعلام الجزائر، ص109.
أبو القاسم ابن أبي مالك	ق5هـ- 11م	قلعة بني حماد	القيروان	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص779.
أحمد بن واضح	5هـ - 11م	بجاية	القيروان	القاضي عياض ترتيب المدارك، ج4، ص445-446.

أحمد بن أبي يعلى الحمادي	5هـ- 11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص621.
أبو حفص عمر ابن أبي الحسين الصابوني	ق5هـ- 11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص778.
أبو عثمان ابن أبي سوار(سولب)	ق5هـ- 11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص778-721.
محمد بن عيسى بن حسين بن أبيس السعد ابن سيد الدار بن يوسف التميمي	ولد 428هـ-1036م	تاهرت	فاس	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص583.
علي (عمر) ابن أحمد البونة	ق5هـ- 11م	بونة	صبرة (إفريقية)	الدباغ، معالم، ج3، ص197.
عبد المالك بن سابح(ساخنج) (سياخنج)	ق5هـ- 11م	بجاية	الأندلس- الشام- مصر	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص446؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص224؛ابن فرحون، الديباج المذهب، ص258.
قاسم بن موسى بن يونس الطبني أبو محمد	ق5هـ-11م	طبنة	لا يوجد	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص474.
أحمد بن مناصح	ق5هـ- 11م	بجاية	لا يوجد	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص445.
أبو القاسم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي	ق5هـ - 11م	قلعة حماد	القيروان	الذيل والتكملة، ج8، ص430.
أحمد بن أبي توبة	ق5هـ-11م	قلعة بني حماد	لا يوجد	ابن عذاري، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص168.

الفقهاء المالكية الذين استوطنوا المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

اسم الفقيه	سنة الوفاة	المدينة الأصلية	المدينة التي رحل إليها	المصدر
علي بن محمد	407هـ - 1016م	تدمير	بونة- إفريقية- مصر	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص355.
عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعطي	432هـ - 1040م	الأندلس	بجاية	القاضي عياض، المدارك، ج4، ص746.
عبد الله بن حمود بن هلوب بن داود بن سليمان يكنى أبا محمد	434هـ- 1042م	الأندلس- طنجة- المشرق	تاهرت	ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص29.
إبراهيم بن جعفر الزهري(أحمد بن أبي جعفر) يعرف بالأشيري	435هـ- 1043م	سرقسطة	أشير	ابن بشكوال، الصلة،ج1، ص95.
عبد العزيز بن زياد الله التميمي الطبني	436هـ- 1044م	قرطبة	طبنة	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص370.
أبو عبد الملك مروان بن علي القطان	ت. قبل440هـ - 1048م	قرطبة	بونة- القيروان- المشرق	الحميدي، جذوة المقتبس، ص321؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص170؛ ابن الضبي، بغية الملتمس، 402؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، 423؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص710.
عمر بن عبيد بن زاهر	440هـ- 1048م	الأندلس	بونة - المشرق	ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص398.
أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري	450هـ-1058م	قرطبة	قلعة بني حماد - القيروان	ابن بشكوال، الصلة، ص59.
إبراهيم بن يحي بن محمد بن الحسين بن أسد التميمي السعدي أبو بكر الوزير	461هـ - 1068م	قرطبة	طبنة	ابن بشكول:الصلة ، ص95. - 96؛الضبي: بغية الملتمس، ص193-194؛الحميدي: جذوة المقتبس، ص149-150.

سعيد بن عثمان بن منازل	ق5هـ- 11م	البيرة	بجاية	القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص445.
عثمان ابن سعيد	ق 5- 11م	البيري	بجاية	القاضي عياض،ترتيب المدارك، ج4، ص445.
أبو عبد الله محمد بن يحي ابن الحسين التميمي	ق5 - 11م	الأندلس	طبنة	ابن حزم، الرسائل، ج1، ص260-261.

ملاحظة:

- ذكرت فقط الفقهاء المالكية في الدولة الحمادية خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حسب المصادر التي تحصلنا عليها والمذكورة في الجداول أعلاه.

خاتمة

يتبين من هذا البحث، أن المغرب الأوسط عرف المذهب المالكي في وقت مبكر فقد أخبرنا كل من المالكي صاحب كتاب "رياض النفوس" ومن قبله أبو العرب صاحب كتاب " طبقات علماء إفريقية وتونس" أن الفقيه أبا القاسم الزواوي الذي سمع من مالك بن أنس في المدينة من المغر ب الأوسط ، ويعود ذلك إلى الرحلات المبكرة التي عرفها تلاميذ المغرب الأوسط إلى الحجاز وإفريقية والاندلس والتي كانت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي).

وجاء بعده أبو الوليد بن مروان بن أبي شحمة ثم بكر بن حماد وابنه عبد الرحمن اللذين رحلوا إلى إفريقية ثم إلى المشرق ثم الاندلس، فأخذوا العلم عن علمائها الذين أخذوا علمهم مباشرة عن مالك الإمام دار الهجرة، أو عن تلاميذه كابن القاسم وابن وهب وغيرهم، فأصبحوا يروُّون ما سمعوه منهم، وجلسوا للإملاء والدرس في المساجد.

وتطورت المجالس العلمية فيما بعد فأصبحت تقام مناظرات بين الفقهاء المالكية وبين غيرهم من أصحاب المذاهب... وكان يتصدر المالكية ابن الصغير، الذي كانت له مناظرات مع الإباضية وغيرهم من أصحاب المذاهب الذي كان المغرب الأوسط يعج بهم.

وتعتبر التجارة أحد أسباب دخول المذهب المالكي بداية من عهد عبد الرحمن بن رستم الذي كانت تربطه علاقات جيدة بالدولة الاموية في الأندلس، التي فرض فيها الحكم ابن هشام مذهب الإمام مالك دون سواه، كمذهب الأوزاعي والحنفي والشافعي وغيره ولا يفتى إلا به. فازدهر النشاط التجاري في الدولتين وأصبح الأندلسيون يفدون إلى المغرب الأوسط، واستقر بعضهم في مدنه الساحلية، والتي كان لهم الفضل في بنائها كمدينة وهران وتنس وغيرهما...، فأصبحت فيما بعد من أهم المدن التي أنجبت عددا لابأس به من الفقهاء المالكية، فكان لهم دور كبير في نشر المذهب المالكي في المغرب الأوسط.

ومما زاد من انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى الذي كان تحت حكم العلويين المالكيين بفضل إدريس الثاني الذي أمر بالعمل به، وبفضل الوفود التي جاءت إلى الأقصى من القيروان والأندلس حتى ضاقت بهم مدينة وليلى فبنى إدريس مدينة فاس، وكانت هذه الوفود تحمل معها المذهب المالكي، ما أدى إلى انتشاره في المغرب الأقصى كله بما فيه الجهة الشرقية منه، والتي تشمل تلمسان وغيرها، وأصبحت فيما بعد دارا للعلماء والمحدثين ودليل ذلك الفقيه أحمد بن

نصر الداودي الذي اشتهر بالمغرب الأوسط خاصة بمدينة تلمسان، فالتلاميذ يرحلون إليه للاستزادة من علمه ويأخذون بفتاويه.

ويعود الفضل الأكبر ودون منازع في دخول المذهب وانتشاره في المغرب الأوسط إلى الإمام سحنون بن سعيد التنوخي صاحب "المدونة" وهي ثاني كتاب بعد موطأ الإمام مالك، وهو أصل كتاب "الأسدية" لابن الفرات بعد تنقيح وتعديل، فلما تولى سحنون القضاء فض حلق المخالفين في المساجد وأمر بالإفتاء إلا بمذهب الإمام مالك بن أنس، وساعد في انتشار المذهب في عهده قضاة الأقاليم الذي كان يرسلهم إلى مناطق الزاب، (الجهة الشرقية للمغرب الأوسط)، ولم كان يختبرهم في مذهبهم قبل توليتهم، مثال ذلك سليمان بن عمران الذي اختبره عندما أرسله إلى مدينة بجاية.

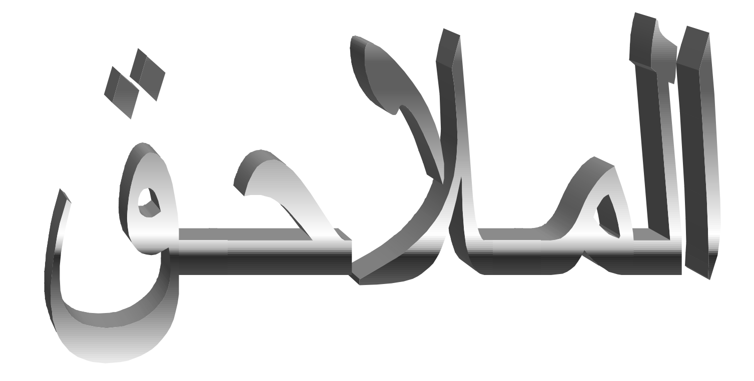
وفي القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي)، أثبت الفقهاء المالكية صمودهم ضد الشيعة، التى لم تستطيع إستئصال المذهب المالكي، الذي كان بعيدا كل البعد عن التأويل، ورغم وقوف الأحناف مع الفاطميين لاتفاقهم معهم في مسألة التفضيل، إلا أن المالكية وقفت ضدهم في المغرب الأوسط، وإفريقية بشتى أنواع المقاومة، وأخذ التأليف قسطا أكبر ومثاله رسالة ابن أبي زيد القيرواني التي تعتبر ثالث تأليف بعد المدونة في الفقه المالكي، فقد عرفت انتشارا في جميع الأقطار، وألف بعدها كتاب آخر سماه "النوادر والزيادات" في المذهب المالكي، أما في المغرب الأوسط فقد أخذ أحمد بن نصر الداودي القسط الأكبر في التأليف فاشتهر بكتبه " الأموال" و"النصيحة" وغيرهما.

ويعود الفضل في هذا الإنتاج إلى الدولة الفاطمية وبغير قصد كما يقول المثل "مصائب قوم عند قوم فوائد"، أما في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فقد لعبت القلعة دورا كبيرا في نشر المذهب ودليله استقلال بني حماد عن بني عمومتهم الزيريين، وإعلان القطيعة للفاطميين في وقت مبكر قبلهم، ماجعل الفاطميين يرسلون عرب بني هلال إلى المغرب، لما أعلن الزيريون بدورهم القطيعة.

وأصبحت بجاية فيما بعد مقصدا للفقهاء المالكية من مختلف المدن، والتي ظهر فيها فقهاء لا يضاهيهم أحد كأبي الفضل بن النحوي، الذي تفقه عنه كثيرون من الفقهاء كابن رمامة مفتي فاس، والمازري (الذكي) الذي سمي بالذكي لذكائه، وأنّه أفقه من أبي عمران الفاسي في وقته، كما أصبح للفقهاء رئاسة فيها يعطون الإجازات للفقهاء سواء كانوا من بجاية أو من غيرها، واستمرت القلعة كمركز لاستقطاب الفقهاء بعد القرن السادس

والسابع الهجريين(الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) وكانت النتيجة نبوغ علماء كالغبرني وأبي مدين وغيرهما.

والنتيجة الأساسية التي أختم بها هو أن المغرب الأوسط من الدول التي لم تعرف استقرارا في الحكم من ناحية، ومن ناحية أخرى رغم تنوع سكانه من عرب وبربر، وتنوع في مذاهبه من إباضية، وصفرية، وواصلية، ومعتزلية، وشيعية فكل ذلك لم يقف حائلا أمام دخول المذهب المالكي، وانتشاره في وقت مبكر، ويعود بالدرجة الأولى إلى الفقهاء المالكية وإلى الدولة الحمادية.


الملاحق

الملحق (1)

رسالة إدريس الأوّل إلى مصر داعيا إلى الالتفات حول أهل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله رب العالمين لا شريك له الحي القيوم، والسلام على جميع المرسلين وعلى من اتبعهم وآمن بهم أجمعين، أيها الناس إنّ الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، وخصه بالرسالة وحباه بالوحي، فصدع بأمر الله وأثبت محبته وأظهر دعوته وأن الله جل ثناؤه خصنا بولايته وجعل فينا ميراثه ووعده فينا وعدا سعى له به، فقبضه إليه محمودا لا حجة لأحد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فللّه الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين فخلفه الله جل ثناؤه بأحسن الخلافة، وغذانا بنعمته صغارا وأكرمنا بطاعته كبارا وجعلنا الدعاة إلى العدل، القائمين بالقسط، المجانبين للظلم، ولم نمل، إذ وقع الجور، طرفة عين عن نصحنا أمتنا والدعاء إلى سبيل ربنا جل ثناؤه، فكان مما خلفته أمته فينا أن سفكوا دماءنا وانتهكوا حرمتنا وأيتموا صغيرنا وقتلوا كبيرنا واثكلوا نساءنا حملونا على الخشب وتهادوا رؤسنا على الأطباق فلم نكل ولم نضعف بل نرى ذلك تحفة من ربنا جل ثناؤه وكرامة أكرمنا بها، فمضت بذلك الدهور، واستملت عليه الأمور وبى منا عليه الصغير وهرم عليه الكبير...)[1]

---

[1] عبد الهادي التازي: إدريس الأكبر فاتح المغرب وثيقة تاريخية عن دعوته لم تنشر ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة، مجلة المناهل، العدد 11، السنة الخامسة، الرباط،1398هـ/1978م، ص112-113.

الملحق (2)

مناظرة بين ابن الصغير المالكي ورجل من وجوه الإباضية

من هوارة يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع

قال أبو الربيع لابن الصغير:"... من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق أنّ الرجل إذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أن لا خيار لها في نفسها وأنتم تقولون إنّ الرجل إذا زوج أمته وعتقت أنّ لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة لأنّ الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وإنما كان الحكم لسيدها فلما عتقت وصار الحكم إليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وأنّ الحكم لأبيها فلما أدركت صار الأمر إليها فَلِم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد؟فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به عليه فاعتلوا بعلله وغير علله وزادوا ونقصوا. وقد جمعت ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم، أو ما ذكروه، فقلت له ولغيره ممن كلمني، إنّا إنّما أجزنا نكاح الصغار لأنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- تزوج عائشة بنت أبي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع فقال لي دعنا من هذا فإني لا أجامعك عليها، ولكن كلّمني من القرآن أو من باب النظر، مع أنّي لم بينت لك الخبر ما كان لك فيه حجة، لأنّك تعلم أنّ الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته، وأحل له الموهبة وغير ذلك، فإن كان عندك حجة غير هذه فأذكرها وإلا فلا تقم لك حجة؟ قلت له فإن أوجدتك صحة عقدها من القرآن أترجع ؟ فقال لي من القرآن فقلت نعم فكرر على ثلاثًا وفي كل ذلك أقول نعم، فقال فاذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ إلى ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[1] فقال لي عجبا منك، أنا أسألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات وعدة اللائي لم يحضن؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد، قال وما غاب عني من ذلك؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره؟ قال من طلاق، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح؟ قال لا، قلت في المويسات فمنهن اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحيض مثلهن؟ قال نعم، قلت واللائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فأوجب الله عليهن عددا قال نعم، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق؟ قال من طلاق، قلت فيكون طلاق من غير نكاح؟ فسكت ولم يرد جوابا. فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه

---

[1] سورة الطلاق، الآية 4.

فقال لي مضى في المطالبة لك، فقلت فاذكر لي ما مضى فيه؟ قال قول الله﴿ وَالَّلاَئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[1] المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار، قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة أكثر مما لزم صاحبك، قال وكيف ذلك قلت "لم" لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع " لم"، " لا" فيقال لا تحيض فلأنه إذا نفوا عنها المحيض أي ليست ممن تحيض، وإذا قيل لم تحض فلأنه معناه أنها لم تحض بعد وأنها ستحيض في المستقبل. وربما حرَّف خطباؤهم اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه[2].

---

[1] سورة الطلاق، الآية 4.

[2] ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406هـ-1986م، ص118 وما بعدها.

الملحق (3)

نسخة الكتاب الذي بعث به أبو عبد الله الشيعي إلى البلدان بالأمان

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلى على رسوله محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين. أما بعد فالحمد لله الناصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده وخاذل أعدائه بعد الإعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحق وأتباع الباطل في موطن من مواطن التحاكم إلا وهب لأنصار دينه النصر وأيّدهم بالعزّ وأنزل بأعدائه البأس والنّقمة والدّمار والهلكة إظهار لفضل منزلة الحق عنده وإذلالا لمن عند عن سبيله وصدف عن حقه حمدا يرضاه ويتقبله ويحسن المزيد عليه من فضله.

وإني لم أزل بحمد الله ونعمته مذْ قمت لله بواجب حقّه ذابًّا عن دينه طالبا ثأر أوليائه آمر بالمعروف وأدعو إليه وأنهى عنا لمنكر وأحذر منه أحيي ما أماته الظّالمون من معالم الحق وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أقدم الموعظة إلى بني الأغلب، وبالإنذار بانتقاض أطرافهم وتطرّق مدائنهم، طمعا في إنابتهم إلى الحق، ورجوعهم إليه، وإقرار به ودخولهم تحت لوائه، متوقفا عن التقحم عليه رحاء حقن دماء المسلمين. فكلما ازددت في الرفق بهم بصيرة ازدادوا في الضلال تماديا وعلى ظلم عباد الله تعاونا وعلى المعاصي جراءة وفي الغيّ إقداما وبالإملاء لهم اغترارًا قد اتخذوا ما الله دولا وعبادة بينهم خولا لا يرجعون إلى تقية ولا يرعون الله آلا ولا ذمة.

ولمّا يئست من إنابتهم، وانقطع طمعي من توبتهم، رأيت أنّه لا يسعني ترك مناجزتهم فقصدت ببعض جيوشي المنصورة وعساكري المؤيدة مجتمع جيوشهم بالأربس واثقا بالله متوكلا عليه منتجزا بما وعد أولياءه فيمن نصب لهم وعاداهم وتولى سواهم فمنح الله أولياء دينه أكتافهم فقتلوهم ابرح القتل ققي كل واد ومغارات ومدغل. وتفرق من سلم شذوذا قد استأصل الله شأفتهم وكسر شوكتهم واجتاح ناجمهم ووصل فلهم إلى المخذول زيادة الله فاسلم ملكه وخرج هاربا - قد أوبقته ذنوبه ومعصيته وأسلم أهله وماله وولده وأهل بيته وكان فراره أعظم الخير للمسلمين من حقن دمائهم، وقطع ظلمه وجوره عنهم.

فسدلت على حرمه ستر العفاف وحفظت منهن ما لم يحفظه من ذمارهن احتسابا لثواب الله وإتباعا لقوله -(جلى ذكره)-﴿ وَلاَ تَزِرُوا وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[1] بعد أن كنت عزمت

---

[1] سورة الأنعام، جزء من الآية 164؛ سورة الإسراء، من الآية 15؛ سورة فاطر، من الآية 18، سورة الزمر، من الآية 7، أما في سورة النجم، الآية 38 ، فقد وردت ﴿ ألاَّ تَزِروا وَازِرة وِزْرَ أُخْرَى﴾.

على الانصراف لأخفف الوطأ على أهل القيروان رفقا بهم واعذارا إليهم حتى أتاني رسولهم وتلقاني علماؤهم وشيوخهم يسألونني الأمان لهم والحوطة عليهم ويرغبون في ذلك إيّ. فأجبت سؤالهم وحققت آمالهم وسكنت دهماءهم وشملت بالأمان البريء والنطف والبرَّ والفاجر منهم من غيرهم بعد أن أحاطت بهم العساكر المنصورة والجيوش المؤيدة وتلافيت نفرة النّافر وقبلت فيئة الرّاجع وأقلت المستقبل طلبا لعظيم ثواب الله الجزيل. وأنتم- معشر أهل بلد كذا- داخلون فيما أدخلتم فيه وصائرون من الأمان والحفظ والحوطة إلى ما أمرتهم إليه ما قبلتم ذلك، وما أقبلتم عليه، وعرفتم فضل النّعمة عليكم به. فاسمعوا، وأطيعوا، واثبتوا، وأجيبوا، واحمدوا ربكم على ما وهب لكم ودافع عنكم، وكونوا في الحق أعوانا وعلى إماتة الباطل أنصارا، تظفروا بحظكم! واشكروا الله على إنعامه عليكم يُدم لكم ذلكم ويزدكم!ولا تكفروا فيوقع باسه بكم فإنه يقول وهو أصدق القائلين ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

وزاد في نسخة هذا الكتاب إلى أهل صقلية :" وأنتم - معشر أهل جزيرة صقلية- أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته، وأولى به وأقرب إليه، لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين وسوف أولا إن شاء الله جزيرتكم خيلا ورجالا من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله الدّين والمسلمين ويُذلُّ بهم الشرك والمشركين، والحول والقوّة لله العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل[2].

---

[1] سورة إبراهيم، الآية7.

[2] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة: تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1986م، ص 253 وما بعدها.

الملحق(4)

رسالة محرز بن خلف إلى باديس بن منصور

وحدثني من أثق به أنّ رجلا أتى المؤدب، نفع الله به، يستجير من مظلمة نالته من قبل باديس بن المنصور، فكتب برقعة فيها بعد البسملة والصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- خير الملة: من محرز إلى باديس. حقق الله الحق في قلوب المؤمنين من عباده، ونقل المذنبين إلى ما افترض من طاعته. أنا رجل قد عرف كثير من الناس اسمى، وهذا من البلاء، وأسأل الله، تعالى، أنّ يتغمدني برحمة منه وفضل. وربما أتى المضطر يسأل الحاجة، فإن رددته خفت، وإن التزمت ذلك فهذا أشد. وقد ورد على رجل يزعم أنّه طلب في دراهم ظلما وخوف، وليست عنده. فاعمل على رضى من لا بد لك من لقائه، واستحى ممن بنعمته وجدت لذاذة العيش. ولا يغرنك حلم الله، تعالى، عنك، ولا تعاد من أنت محتاج إليه. وحاذر بطانة السوء فإنهم يأكلون دراهمك ويقربون من النار لحمك ودمك. وشاور في أمرك من يتق الله. ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا. ومن يتق الله يجعل له مخرجا. واستعن بالله فإنه، من يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا. خاف ممن لا يحتاج إلى عون عليك، بل لو شاء اتلافك أخرجك عن نفسك. حتى لا يكون هلاكك على يدك. سالم تسلم. أنت على رحيل فخذ في الزاد. والسلام على من اتبع الهدى.[1]

---

[1] أبو طاهر الفارسي: المصدر السابق، ص140-141.

الملحق (5)

باب في ظهائر كريمة أمر بها المعز بن باديس للشيخ
الجليل أبي محمد محرز بن خلف، نفعنا الله به

نسخة ظهير كريم من المعز بن باديس للشيخ الصالح الولى أبي محمد محرز بن خلف، نفعنا الله به وببركاته وحشرنا معه في دار كراماته، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، النبي الكريم. هذا ظهير كريم من القائم الناصر لدين الله، المعز بن باديس للشيخ الصالح الكبير القدر محرز بن خلف، لطف الله به. قصد به وجه الله العظيم ورجاء. ثوابه الجزيل العميم، وما أمره به السلف المتقدم من كرام أهل الدين والعلم واليقين، لأن من تبع طريقتهم أخلص من الشك واقتدى، ومن قصد إلى طريقتهم أخرج من الضلالة إلى الهدى، وأنقذ من الجهالة والردىء فإن القصد أن يؤولوا إلى معرفته ومعرفة إثبات براهينه وترقبه ووحدانيته، وتحقيق حقائق ربوبيته وجبروته، ويحافظ على أوليائه. وقد ذكر الله العظيم في كتابه وتنزيله الكريم﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] وقال تعالى، عز وجل من قائل ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، فقد أعلى درجاتهم، وأعز منزلتهم، وأسبغ عليهم نعمه، وضاعف لهم مواهبه ووعدهم رحمته فقال عز وجل من قائل ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةِ فَقَدْ أُوتِى خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

فأنتم أفضل أوليائه، ومعدن أصفيائه وأتقيائه، لأن الله تعالى، جعل من عرف وتبصر وفتح على باطنه وقلبه بخصوصيتكم قد أفلح وأنجح. فالله يمن على من يشاء من عباده، ويختص من شاء بخصوصيته. وقد جعلكم من أهل خاصته بالعلم والعبادة والورع والزهادة ولحقكم بجميل ملاحقته، فأنتم أغصان بسقت، وفروع شجرته التي غرست في أطيف تربة، ثم سقيت من أعذب الماء وغذاؤها الهواء من الأرض إلى السماء، ثم نقلت إلى الحضرة السعيدة.

فاقتضى النظر بهذا الظهير لجماعتكم بحفظكم ورعايتكم وحمايتكم واجمال عشرتكم، وحسن معاملتكم، وحفظ الأنصار الصائرة إلى حضرتكم، وحصر الأيادي الممتدة إلى إساءتكم وأهلكم و أموالكم ورباعكم بحاضرة تونس وباديتها وأعمالها، شركائكم وأتباعكم،

---

[1] سورة يونس، الآية 62.
[2] سورة النحل، الآية 43.
[3] سورة البقرة، الآية 268.

ومن عرف بكم، وانتسب إلى نسبكم، وأوى إلى جنابكم، ورفع الأيدى عن زروعكم في قرية أو سانية وقرية الفول والخضراء وطراقش وماينة ومنزل خارجة وقرية الحمام وشبركة وما أضيف إلى مدينة تونس وحرم دياركم وفنادقكم وسويقتكم، ورفع الأيدي عن الاعتراض عليكم في دخول النساء إلى حمامكم وحوانيتكم وإخراجكم في محلكم وتسريح أعشاركم وجرائكم على فارط رسمكم، وجرى عادتكم، طائعين لجميع ما تضمنه هذا الظهير الكريم. فلا يغيره مغير عليكم، ولا يكدره مكدر لديكم، ولا يخيل عليكم فيه مخيل، ولا يتطاول فيه متطاول.

فمن وقف عليه من العمال و سائر الولاة فليعمل على ذلك الأمر. أمر بذلك القائم بالله، الناصر لدينه. وليعمل به ممتثلا لشرائطه وأمره إن شاء الله، تعالى، واقفا عند حدوده وزواجره، غير عاجل لنفسه بالعقوبة لمخالفته أو مخالفة شيء منه، إن شاء الله، عز وجل.

وكتب من سجل صحيح تأريخه لعشر بقين من ربيع الآخر سنة سبع عشر وأربعمائة.

وهذا ما بلغنا من أخباره و أذكاره، نفعنا الله به وبأمثاله، بجاه سيدنا محمد وآله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.[1]

---

[1] أبو طاهر الفاريسي: مناقب أبي محرز بن خلف، ترجمه هادي روجي إدريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 1956، ص147 وما بعدها.

الملحق (6)

خطبة القاضي أبو عبد الله محمد بن جعفر الكفي سنة 440هـ-1048م لإعلان القطيعة الفاطميين التي أمر بها المعز بن باديس بلعن العبيديين في يوم عيد الفطر

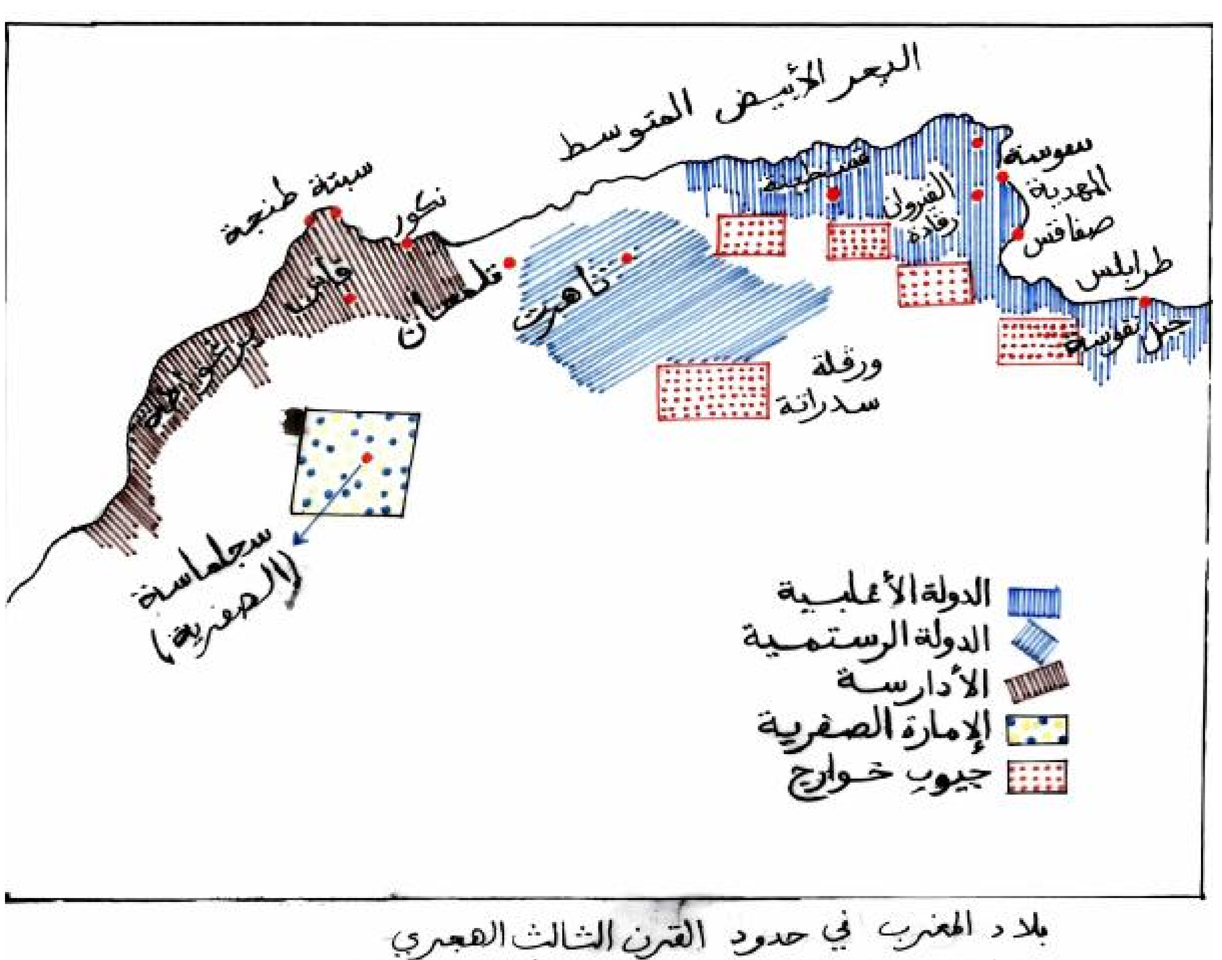
اللهم والعن الفسقة الكفار المرائين الفجار أعداء الدين وأنصار الشياطين المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك، اللهم العنهم لعنا وبيلا، واخزهم خزيا عريضا طويلا، اللهم وإن مولانا وسيدنا أبا تمام المعز بن باديس ابن المنصور القائم بدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أولئك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك، مباينا لمن غير الدين وسلك غير سبيل المرشدين المؤمنين:﴿ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[1]، (هكذا باسقاط قل من أول السورة وترك لكم دينكم ولي دين لتعلق الأمر بالمراد).[2]

---

[1] سورة الكافرون، الآية 1-2.

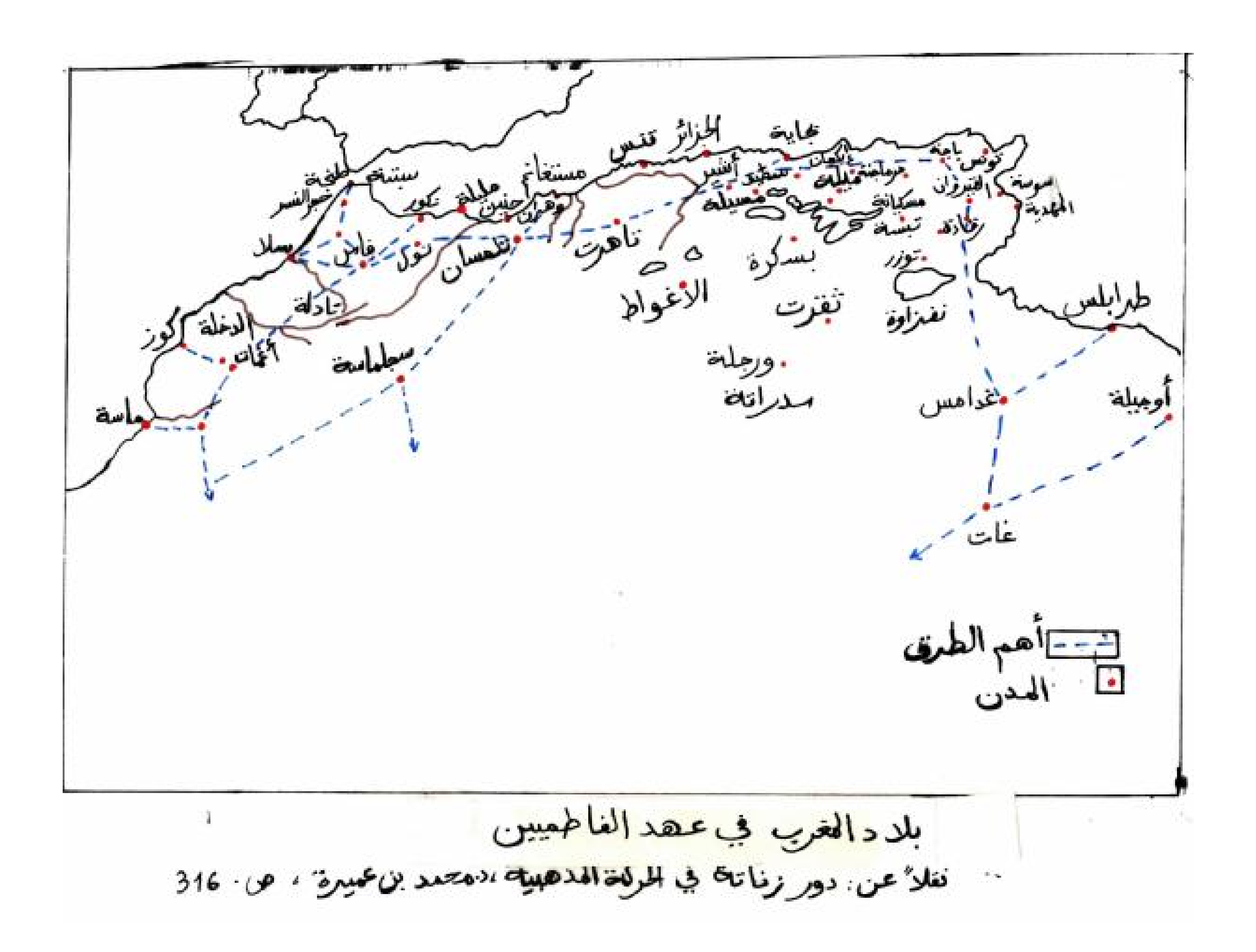
[2] الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص196-197.

الملحق (7)



بلاد المغرب في حدود القرن الثالث الهجري
نقلا عن: د. محمد بن عميرة، دور زناتة، ص317

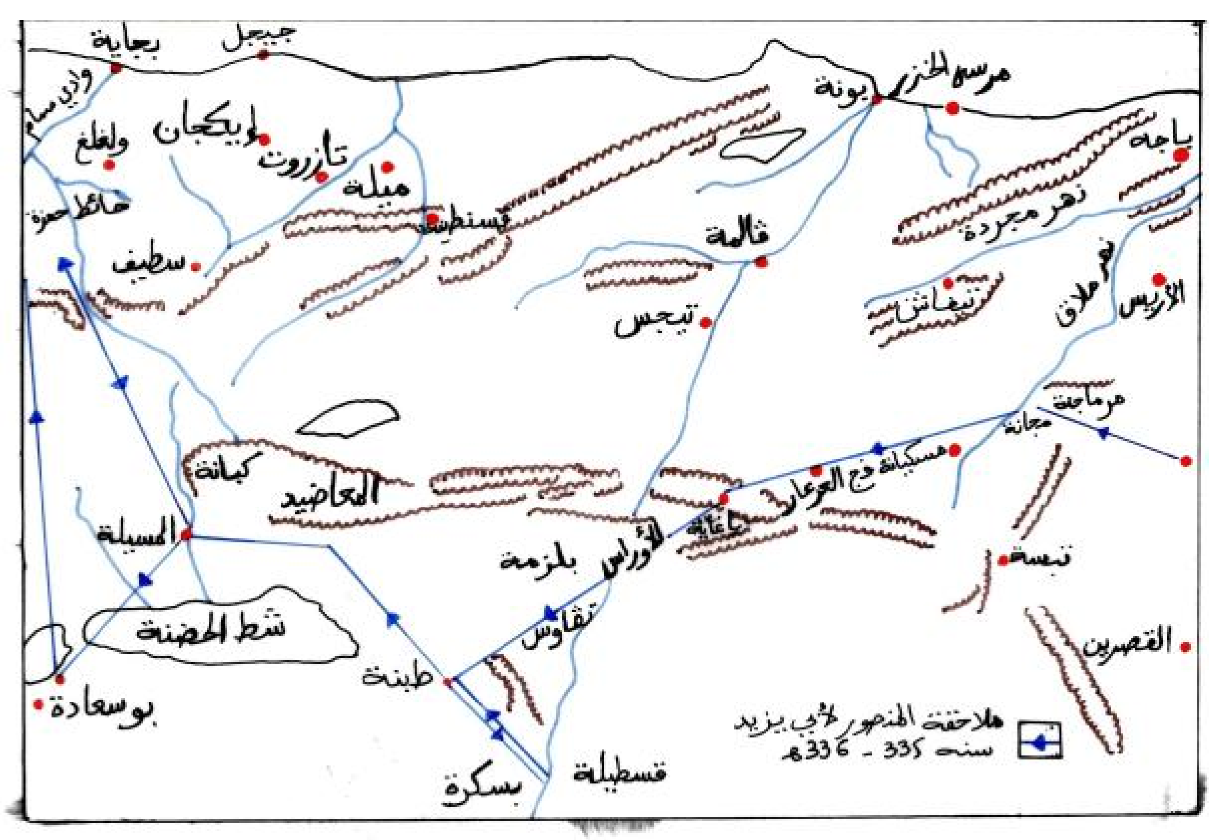
الملحق (8)



بلاد المغرب في عهد الفاطميين

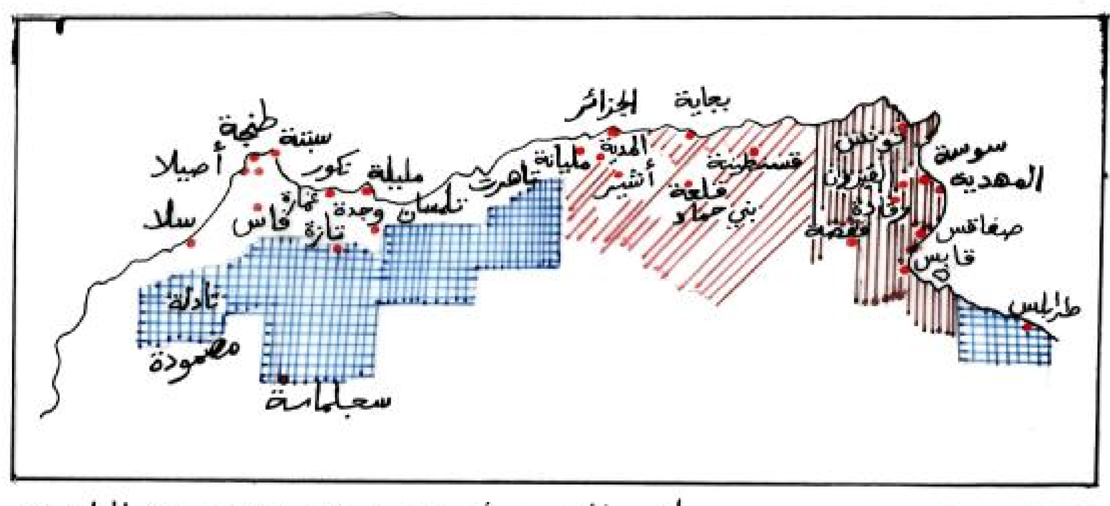
نقلاً عن: دور زناتة في الحركة المذهبية، د. محمد بن عميرة، ص 316

الملحق (9)



مطاردة المنصور لأبي يزيد في المغرب الأوسط 335 ـ336هـ
نقلاً عن: إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص. 388.

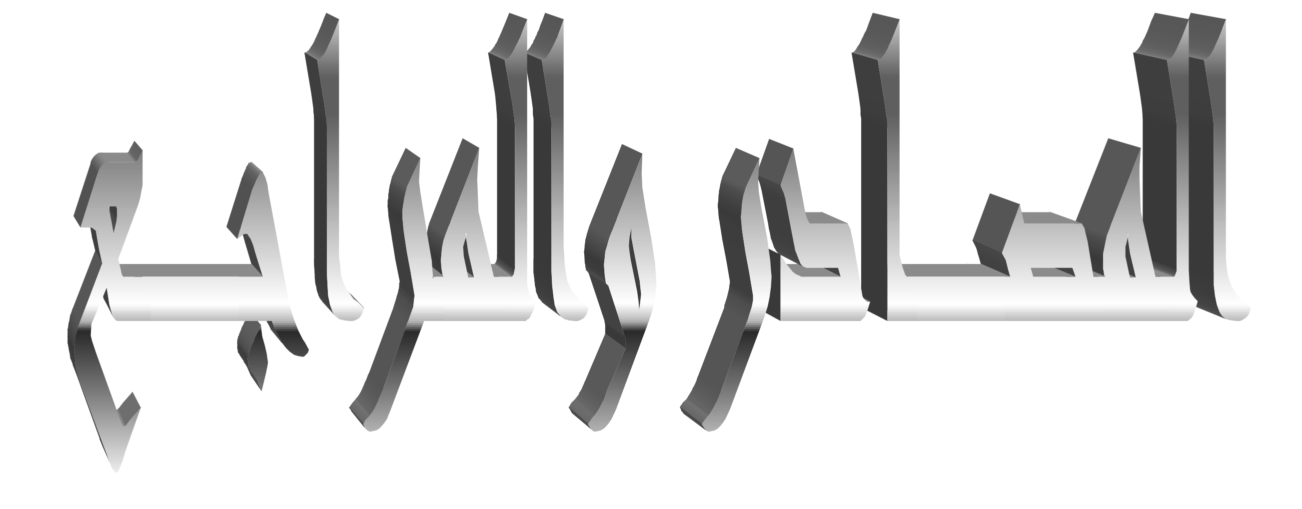
الملحق (10)



بلاد المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي

نقلا عن :د.محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية، ص.318.

- الإمارة الزيرية
- الإمارة الحمادية
- الإمارة الزيانية
- قبائل مستقلة


المصادر والمراجع

- **المصادر**:

1 - القرآن الكريم

- حرف أ -

- ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي،ت658هـ-1260م): **الصلة**، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

- الآمدي (سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي محمد): **الإحكام في أصول الأحكام**، ضبطه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

- ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ- 1238م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.

- إدريس(عماد الدين، ت872هـ-1488م): **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

- الإدريسي(عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس، ت 6هـ-12م): **المغرب العربي من نزهة المشتاق**، حققه وترجمه إلى الفرنسية محمد حاج صادق، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1983م.

- الأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت330هـ-941م): **مقالات الإسلاميين**، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط2، 1405هـ- 1985م.

- الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي،ت346هـ - 957م): **مسالك وممالك**، تحقيق، ي، دي خويه، إصدارات فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1413هـ-1992م.

- حرف ب -

- الباروني(سليمان بن الشيخ عبد الله، ت 1259هـ-1940م):**كتاب الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية**، القاهرة،د.ت.

- البخاري(أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ت256هـ-869م)، **صحيح البخاري**، ط2، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، 1419هـ-1999م.

- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت578هـ- 1183م) **كتاب الصلة**، منشورات دار الهيئة، مصر، 2008م.

- البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني): **الفرق بين الفرق**، ط2، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، 1413هـ-1993م.

- البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد487هـ-1094م):**المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك**، نشره البارون دوسلان، الجزائر، 1957م.

- حرف ت -

- الترميذي (محمد بن عيسى بن سورة، ت279هـ-892م): **السنن**، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ/1997م.

________: **صحيح سنن الترميذي**، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1422هـ-2000م.

- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت874هـ-1469م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدّمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1992م.

- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا أحمد الصنهاجي السوداني، ت963هـ- 1555م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، وهو على هامش الديباج المذهب لابن فرحون، د.ت.

- التنسي (أبو عبد الله، ت899هـ-1494م): **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقبان**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- حرف ج -

- الجزنائي (على، ت766هـ-1365م)، **جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م.

- الجودي(أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي القيرواني، ت1373هـ- 1943م): **تاريخ قضاة القيروان**، تقديم وتحقيق أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، 2004م.

- الجوذري(أبو علي منصور العزيز): **سيرة الأستاذ جوذر**، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.

- حرف ح -

- الحجوي (محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي، ت1376هـ- 1956م): **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة النهضة، تونس، د.ت.

- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت456هـ-1063م): **رسائل ابن حزم**، ط2، تحقيق إحسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م.

ـــــــ **جمهرة أنساب العرب**، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ-1998م.

- الحميدي (أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت488هـ-1095م): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.

ـــــــ تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ 1997م.

- ابن حنبل (أحمد ت241هـ- 856م): **المسند** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1413هـ/1992م.

- الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ابن عماد، ت1089هـ- 1687م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: دار إحياء التراث العربي، بيروت،د.ت.

- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله)، **معجم البلدان**، ط3، دار صادر، بيروت، 2007م

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي، ت بعد 367هـ - 977م): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

- ابن حيان القرطبي (أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ، ت422هـ-1031م): **المقتبس من أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1393هـ-1973م.

- حرف خ -

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت272هـ- 885م): **المسالك وممالك**، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ- 1988م.

- ابن الخطيب(لسان الدين، الوزير الغرناطي): **القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء المغرب، 1964م.

- ابن خلدون(عبد الرحمن، ت808هـ-1405م): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1422هـ-2000م.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت681هـ-1282م)، **وفيات الأعيان**، حققه، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- حرف د -

- الداوودي(أبو جعفر أحمد بن نصر، ت402هـ -1011م): **الأموال**، دراسة تحقيق مركز الدراسات الفقهية، محمد أحمد سراج و علي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1421هـ -2001م.

- الدّباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، ت696هـ-1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت 839هـ - 1435م) تحقيق الأوّل: إبراهيم شبوح، تونس 1313هـ-1993م.

الثاني: تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ومحمد الماضور.

الثالث: تحقيق محمد ماضور.

الرّابع: تحقيق محمد المجدوب وعبد العزيز المجدوب.

- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت670هـ/1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م.

- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني،ت1092هـ-1681م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، 1993م.

- حرف ز-

- ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، حي 724هـ-1324م): **الأنيس المطرب في روض القرطاس**، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م

- أبو زكريا (يحي بن أبي بكر) :**كتاب السيّر المعروف بتاريخ أبي زكريا**، تحقيق إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كان حيا 532هـ-1137م): **كتاب الجعرافية**، تحقيق حاج صادق، دمشق، 1968م.

- حرف س -

- بن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، ت230هـ-1286م): **الطبقات الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، 1418هـ-1997م.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، ت916هـ-1505م): **طبقات الحفاظ**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ-1994م.

ـــــــــــ **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.

- حرف ش-

- الشماخي (أبو العباس أخمد بن سعيد، ت928هـ-1522م): **كتاب السيّر، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ/9م**، تحقيق ودراسة محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995م.

- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد،ت548هـ-1153م): **الملل والنحل**، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، ،ط6، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ-1997م.

- الشيرازي(أبو إسحاق الشافعي، ت476هـ-1083م): **طبقات الفقهاء**، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م.

- حرف ص -

- ابن الصغير (حي القرن 3هـ-9م): **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ-1986م.

- الصنهاجي(أبو عبد الله محمد الحمادي، ت626هـ-1230م): **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- حرف ض -

- الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، ت599هـ-1202م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.

- حرف ط-

- أبو طاهر الفارسي: **مناقب محرز بن خلف**، ترجمة وتحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1956م.

- حرف ع -

- ابن عبد ربه (أبو أحمد بن محمد الأندلسي، ت328هـ-940م): **العقد الفريد**، ط2، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت،1427هـ- 2006م.

- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، ت712هـ-1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة، ج، س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي،ت333هـ-945م): **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتحقيق محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.

ـــــــــ : تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الوافي، القاهرة، 1965م.

ـــــــــ : **المحن**، تحقيق وهيب جبوري، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1408هـ-1988م.

- العسقلاني (ابن حجر ،852هـ-1448م):**الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ-1992م.

- القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت544هـ-1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، منشورات دار الحياة، بيروت، ودار الفكر، ليبيا، د.ت.

- حرف ف -

- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي بن علي محمد بن عمر صاحب حماه، ت732هـ-1331م): **تقويم البلدان** ، مكتبة المثنى، بغداد، دار لكتاب العربي اللبناني، 1840م.

- ابن فرحون (أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين، ت799هـ-1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن يحي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ-1996م.

- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت403هـ-1013م): **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1997م.

ـــــــــ ط2، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.

- حرف ق -

- ابن القاضي (أحمد بن محمد، ت1025هـ-1616م): **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، 1309هـ-1891م.

- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت276هـ-889م): **الإمامة والسياسة**، تحقيق، طه محمد الزيني، دار المعرفة، د.ت.

- القزويني (الخليل بن عبد الله بن خليل الخليلي، ت446هـ-1055م): **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، ضبطه الشيخ عامر أحمد خيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ-1993م.

- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، ت367هـ-977م):**افتتاح الأندلس**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- القيرواني ابن أبي زيد: **كتاب الجامع**، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، والمكتبة العتيقة، تونس ،1403هـ-1983م.

- حرف ك -

- الكتاني: **الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس**، 1307هـ-1889م.

- ابن الكثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي، ت774-1372م): **البداية والنهاية**، راجع نصه وضبطه وقدم له، سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 1426هـ-2005م.

- حرف ل -

- اللبيدي(أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت440هـ- 1049م): **مناقب أبو إسحاق الجبنياني**، تحقيق وترجمة هادي روجي إدريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 1956م.

- حرف م -

- الإمام مالك: **الموطأ رواية علي ابن زياد التونسي العبسي** ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1399هـ- 1978م.

ـــــــــــ **المدونة الكبرى** رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي، تحقيق عامر الجزار وعبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ-2005م.

ـــــــــــ **الموطأ**، رواية يحي بن يحي المصمودي، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الإحياء التراث العربي، لبنان،1424هـ-2003م.

- المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت474هـ-1082م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، من الفتح العربي إلى آخر سنة 300هـ**، تحقيق حسن مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة، 1951م.

ـــــــــــ تحقيق بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروات، لبنان، 1414هـ-1994م.

- ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت273هـ-886م): **السنن**، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1417هـ-1997م.

- ــــــــ **إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجة**، تأليف صفا الضوِّ أحمد العدوي، مكتبة دار اليقين، البحرين، 1422هـ-2001م.

- مجهول (كاتب مراكشي 6هـ- 12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وترجم قسم منه إلى فرنسية سعد زغلول عبد الحميد، إصدارات فؤاد سزكين، معهد التاريخ والعلوم العربية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1418هـ- 1997م.

ــــــــ **كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ق4هـ/10م)**، تحقيق عمر السعدي، الكراسات التونسية، العدد 79-80، تونس، 1972م.

- ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر بن قاسم،ت1360هـ-1941م)، **شجرة نور الزكية في طبقات المالكية**، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ- 2003م.

- المراكشي (عبد الواحد، ت647هـ-1249م) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تحقيق محمد السعيد عريان، القاهرة، 1963م.

- المراكشي(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي): **الذيل والتكملة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي المعروف بالبشاري،ت387هـ-997م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، حققه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ-1987م.

- المقري (أحمد بن محمد التلمساني،ت1041هـ-1632م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ- 1968م.

- المقريزي(تقي الدين بن علي، ت 845هـ- 1442م): **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1416هـ-1996م.

ــــــــ **المقفى الكبير**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ- 1991م.

- حرف ن -

- الناصري (أحمد بن خالد، ت1315هـ-1897م): **الإستقصا الأخبار المغرب الأقصى**، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، تحقيق محمد حجي، وإبراهيم بوطالب، وأحمد توفيق، 2001م.

- القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي)، كان حيا 363هـ- 974م)، **افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، شركة تونس للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1986م.

ـــــــــــــ **كتاب المجالس والمسايرات** : تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، تونس، 1978م.

ـــــــــــــ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت الرسول عليه وعليهم أفضل السلام**، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.

ـــــــــــــ **الهمة في أتباع الأئمة**، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، 2002م.

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت677هـ-733م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق حسين النصار ومراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة، 1403هـ-1983م.

- حرف و -

- الونشريسي (أحمد بن يحي، ت914هـ/ 1509م): **المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م.

- حرف ي -

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت284هـ - 898م): **البلدان**، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م

ب - المراجع العربية والمعربة

- حرف أ -

- آنخل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمه من الإسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ-2006م.

- إبراهيم العدوي: **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م.

- ألفرادبل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

- حرف ب -

- بحاز إبراهيم: **الدولة الرستمية**، ط2، نشر جمعية التراث، قرارة، الجزائر، 1414هـ-1993م

ــــــــــــــ : **القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية** (96-296هـ/715-909م)، الياقوت، الأردن، 2001م.

- بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون: **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ- 2000م.

- بوبة مجاني: **أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003م.

- حرف ت -

- التازي عبد الهادي: **جامع القرويين**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م.

- تيمور أحمد: **المذاهب الفقهية الأربعة**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1431هـ-2001م.

- حرف ج -

- الجنحاني الحبيب: **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب**، الدار التونسية للنشر، 1968م.

- جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984م

- الجيدي عمر: **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1407هـ-1987م.

- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1400هـ-1980م.

- حرف ح -

- حسين مؤنس: **فجر الأندلس**، الشركة العربية للنشر والطباعة، القاهرة، 1959م.

- حرف خ -

- الخضري بك محمد: **تاريخ التشريع الإسلامي**، دار شريفة للنشر والتوزيع، الجزائر،د.ت.

- حرف ز -

- أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة.د.ت.

______________: **مالك**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1952م.

- حرف س -

- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، منشأ المعارف بالإسكندرية، 1976م.

- سعد غراب: **العامل الديني والهوية التونسية**، الدار التونسية للنشر، 1990م.

- سيف الدين القصير: **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1993م.

- حرف ط-

- الطاهر بن عاشور محمد: **المحاضرات المغربيات**، جمع وإعداد عبد الكريم محمد، الدار التونسية للنشر، 1394هـ-1974م.

- حرف ع -

- عادل النويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين**، منشورات الكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م.

- عبد الحليم عويس: **صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ-1980م.

- عبد الحميد بن حمدة: **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، تونس، 1406هـ-1986م.

- عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية_**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- عبد العزيز مجذوب: **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية** ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1395هـ- 1975م.

- عبد الوهاب بن منصور: **أعلام المغرب العربي**، المطبعة المالكية، الرباط، 1399هـ-1979م.

- أبو العزم داود محمد: **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ-1985م.

- علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر الغرب الإسلامي**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

- بن عميرة محمد: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- حرف ف -

- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

- فيلالي عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنسر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

- حرف ك -

- كراتشكوفسيكي اغناطيوس اليانوفتش: **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1987م

- كنون عبد الله: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط3، دار الكتاب اللبناني، 1396هـ-1975م.

- حرف م -

- محمد الطالبي: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م**، ترجمة المنجي الصيادي، مراجعة وتحقيق حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1415هـ-1995م.

- محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع**، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، 1406هـ-1985م.

- مرمول محمد الصالح: **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

- مصطفى غالب: **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية، 1953م.

- المطوي محمد العروسي: **سيرة القيروان رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي**: دار العربية الكتاب ليبيا، تونس، 1981م.

- مناع القطان: **تاريخ التشريع الإسلامي**، ط26، مؤسسة الرسالة، ، 1419هـ-1998م.

- موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

- ـــــــــــ **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- ـــــــــــ **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**، نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية، الجزائر، 1991م.

- ميكلوش موراني: **دراسات في المصادر الفقه الإسلامي**: نقله عن الألمانية مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ-1988م.

- الميلي مبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة، الجزائر، 2004م.

- حرف ن -

- نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م.

- حرف هـ -

- هادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية(تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م)**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

- حرف و -

وهبة الزحيلي: **أصول الفقه الإسلامي**، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1418هـ-1986م.

ج - الدوريات والملتقيات

-حرف أ-

- أبو الأجفان: **رحلات الأندلسية إلى الحرمين**، ضمن السجل العلمي لندوة الأندلس، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1417هـ-1998م.

________ **المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان**، بحوث الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1425هـ-2004م

- حرف ت -

- ابن تاويت الطنجي: **دولة الرستميين أصحاب تاهرت**، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، عدد خاص بمناسبة خمس سنوات على إنشائها، العدد1-2، 1377هـ-1957م.

- التواتي بن تواتي: **الإمام مالك رائد مدرسة المدينة، أعمال الملتقى الوطني الثالث للمذهب المالكي**، 29-30 ربيع الأول الموافق ل 17-18 أفريل 2007م، تنظيم وزارة الشؤون الدينية، بالتعاون مع ولاية عين الدفلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، مليلة، الجزائر.

- حرف ج -

- الجنحاني الحبيب: **العلاقات السياسية والاقتصادية بين إفريقيا والمغرب الأوسط فيما بين القرن2-5هـ/8-11م**، كتاب الأصالة محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية، 11-14شوال 1389هـ/7-14ديسمبر 1978م، باتنة، الجزائر.

- ________ : **السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب**، مجلة الأصالة، السنة السادسة رمضان- شوال 1393هـ، سبتمبر- أكتوبر 1977م، العدد 49-50، الجزائر.

- حرف ح-

- حسن الحافظي علوي: **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1429هـ-2008م.

- حمزة أبو فارس: **مدونة الإمام سحنون**، محاضرات ملتقى الإمام سحنون 7-8-9-جمادي الثانية 1412هـ، 13-14-15 ديسمبر 1991م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 1993م.

- حرف خ -

- خالدي عبد الحميد: **الحياة العلمية ببجاية الحمادية وأثرها في الحضارة الإسلامية،** ضمن محاضرات الموسم الثقافي 1998-1999، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1420هـ-1999م.

- خلف محمد نجيب: **أوصاف الجزائر في كتابة أبي عبيد الله البكري،** ضمن مشاريع الوطنية للبحث في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007م.

- حرف ع -

- عبد الهادي حسيسن: **دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي،** مجلة دار الحديث الحسينية، الرباط، العدد3، 1982م.

- عمر الجيدي: **محاربة المذهب المالكي في المغرب،** مجلة دعوة الحق، العدد 225، أكتوبر-نوفمبر، الرباط.

ـــــــــــــ **المذهب المالكي،** مجلة دعوة الحق، العدد 226، الرباط، ديسمبر، 1982م.

- حرف ل -

- لقبال موسى: **من قضايا التاريخ الرستمي،** مجلة الأصالة، العدد 41، ملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورقلة، الجزائر، السنة السادسة محرم 1397هـ موافق لجانفي 1977م.

- حرف م -

- ماريا خيسوس فيغيرا: **محمد وعبد الرحمن في قرطبة،** مجلة الأصالة، العدد 45، السنة الخامسة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جمادي الأولى 1397هـ/ماي 1977م.

- محمد الشريف: **جغرافية التيارات المذهبية بالغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن4هـ/10م)،** ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2008م.

- محمد الطالبي: **الأوضاع التي مهدت لقيام دولة الفاطميين في إفريقية،** ضمن ملتقى القاضي النعمان، منشورات الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، تونس،1981م.

- محمد علي مكي: **التاهرتي شاعر المغرب،** ق3هـ-9م، مجلة العربي، العدد 53، 1962م.

- محمد المكي الناصري: **المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل،** ندوة الإمام مالك أمام دار الهجرة، فاس، 9-10-11-12جمادى الثاني 1400هـ/25-56-27-28 أفريل، 1980م.

- ميكلوش موراني: **مصادر جديدة حول رواية الكتب المدونة**، محاضرات ملتقى الإمام سحنون 7-9جمادى الثانية1412هـ/13-15ديسمبر 1991م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 1993م.

- حرف هـ -

- الهروس مصطفى: **قيام المدرسة المالكية بالأندلس**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومحاضرات، 1998م.

- الهنتاتي نجم الدين: **الأحباس بإفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ/12م**، الكراسات التونسية العدد 174، الثلاثية الثالثة، تونس، 1996م

- حرف و-

- وداد القاضي: **مؤرخ الدولة الرستمية**، مجلة الأصالة، العدد45، السنة الخامسة، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر ، 1397هـ- 1976م.

- حرف ي -

- يفوت سالم: **المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 118، الرباط، 2005م.

د - المعارف:

دائرة المعارف الإسلامية: صدرت بالألمانية والانجليزية والفرنسية، نقلها إلى العربية مجموعة من الأساتذة، واعتمدوا في الترجمة على الأصلين الانجليزي والفرنسي،1352هـ-1933م.

هـ - الرسائل

بوعقادة عبد القادر: **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد**، رسالة ماجستير في تاريخ الوسيط ، 2004م،

بوبة مجاني: **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296-362هـ/909-973م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، 1415هـ- 1995م.

دلال لواتي: **عامة القيروان في العصر الأغلبي (184-296هـ/800-908م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، 1423هـ-2002م.

بن عميرة محمد: **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، 2004هـ-2005م.

3 - المراجع باللغة الأجنبية

- Alfred (B)

La Religion Musulmane en Berbérie, ètablissement et dèveloppement de l`Islam en Berbérie du VII^e au XX^e siecle, libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1938.

- Abu L-Qasim AL- Labidi

Manaqib d`Abu Ishaq Al- Jabanyani, introduction et traduction par Hady Roger Idris, publication de la faculte des lettres et sciences humaines d`Alger, presses universitaires de France, Paris, 1959.

-Bousquet (G. H)

Art **Malikiyya** dans E.I ,T. VI.

- Brunschvig (R)

**Logique et le droit dans l`Islam**, dans l`études d`islamologie, édition G. p. Maisonneuve et la rousse, Paris, 1976.

Fiqh Fatimide et histoire de l`Ifriqiya.

- Chikh Bécri

Le kharijisme Berbère, annales de l`institut d`étude orientales, Edition typo, Alger, 1957.

- Golvin(L)

**Le megrib central a l`époque des Zirides**, Gouvernement général de l`Algérie sous- direction des beaux-arts missions archéologiques, paris, 1957.

- Idris (H. R)

Le crépuscule de l`école malikite Kairouanaise, les cahiers de. Tunisie revue de sciences humaines fin du (xi siecle), 4^e trimestre, N°=16, Tunis, 1956 .

**Sur le retour des Zirides a l`obédience fatimide**, annales de l`institut D`études orientales, Alger, T.XI, 1953.

Une des phases de la lutte du malikisme contre le shiisme sous les Zirides, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, 4^e trimestre, N°= 16, Tunis, 1956.

**Deux juristes Kairouanais de l`époqueZiride, Ibn Abi Zaid et Al-Qabisi (X^e-XI^e)** siecle, annales de l`institut D`études orientales, Alger, T.XII, 1954.

Note sur l`Identification de la Risala d`Ibn Abi Zaid al-Qairawani, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, Tunis, T.I, 1953.
Art **Hammadides** dans E.I ,T. III.

- Launois(**A**)

Influence des docteurs malikites sur le monnayage Ziride de type sunnite et sur celui des Almoravides, Arabica, revue d`études arabes, T. XI, 1964.

-Lewicki(T)

Art **Ibadiyya** dans E.I, T.III.

- Madelung (W)

Art Ismmaiiliyya dans E.I, T. III.

- Provençal(E)

Art Rustumides dans E.I, T. III.

- Schacht (J)

**Sur la transmission de la doctrine dans les écoles juridiques de l`islam**, dans les annales de faculté de lettres de l`université, d`Alger, T.X, 1952.

- Saidi (**O**)

Kitab al uyun wa-I-hadaiq fi Ahbar al haqaiq, T.IV:Extraits relatifs à l`Occident Musulman et en particulier a l`Afriqyya, les cahiers de Tenisie, revue de sciences humaines, T.XX, N79-80, 3^em^ et 4^em^ trimestre, 1972.

- Talbi - (M)

Chronique D`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert, les cahiers de Tunisie, revue de sciences humaines, T. XXVI, 3^em^ et 4^em^, trimestres, 1975.

Art **Rustumides** dans E.I, T.III.

-

- Le Tourneau (R)

La révolte de Abu-Yazid au X^em^ siècle, les cahiers de Tenisie, revue de sciences humaines, T.I. 1^er^ trimestre, 1953.

- Vonderheyden (R)

La Berberie Oriontale sous la dynastie des Benou`L-Arlab, (**184-296 H/800-909)**, Libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927.

- Yve(G)
Art **Al Marghreb** dans E .I ,T V.

فهارس الآيات

الآية	سورة	الآية	الصفحة
يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةِ	البقرة	268	171
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ	آل عمران	79-80	89
ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	آل عمران	85	142
يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	النساء	59	106
وَتَوكَّل عَلَى اللهِ إِنَّكَ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاَ	النساء	81	83
لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ	النساء	95	103
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاَ	الأنعام	115	83
وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ	الأنفال	41	108
فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ	التّوبة	12	102
قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ	التّوبة	14	102
إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ	التّوبة	40	102
إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ	التوبة	60	107
إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِه	التّوبة	91	96
أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ	يونس	62	134-171
لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	إبراهيم	7	169
فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ	النحل	43	171
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ	النور	2	115
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ	الأحزاب	32	129
وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَبِيِّينَ	الأحزاب	40	89
سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	القمر	45	83
هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخَرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ	الحديد	3	89
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ	الممتحنة	10	97
وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ	الطلاق	4	166
قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ	الكافرون	1 -2	140-173

فهارس الأحاديث

فهرس المذاهب والفرق

- حرف أ-

- حرف ح-

- حرف خ-

-حرف ر-

-حرف ز-

-حرف ش-

حرف ص-

-حرف ع-

-حرف م-

فهارس الأعلام

- حرف أ -

- حرف ب -

- حرف ت -

- حرف ج-

- حرف ح-

- حرف س-

- حرف ش-

- حرف ص-

- حرف ط -

- حرف ع -

- حرف غ -

- حرف ف -

-حرف ن-

فهارس القبائل والشعوب والأماكن

- حرف أ -

- حرف ب -

- حرف ك-

- حرف ل -

- حرف م-

الفهـــرس التفصيلـــي للموضوعـــات